



دولة ليبيا
جامعة الزاوية - كلية الآداب
إدارة الدراسات العليا والتدريب
قسم اللغة العربية وآدابها (شعبة اللغويّات)

رسالة بعنوان: الاستلزام الحواريّ في ديوان امرئ القيس
(دراسة تداوليّة)

مقدّمة استكمالاً لنيل درجة الإجازة العالية (الماجستير)

إعداد الطالبة: وفاء الطيّب السّيد كريمة

إشراف الدّكتورة: سمر محمّد تيسير النّويلاتي

العام الجامعيّ

1445هـ - 1446هـ

2024م - 2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

سورة يوسف، الآية: 2

الإهداء

إلى مَنْ ساعدني ومدَّ لي يدَ العَـوْنِ ،،
إلى مَنْ كانَ سراجاً أضاءَ لي الطَّريقَ ،،
إلى مَنْ ذلَّلَ لي المشقَّاتَ والصُّعوباتَ ،،
إلى مَنْ شجَّعني وساندني طيلةَ رحلتي البحثيةَ ،،
إلى زوجي أطال الله في عمـره ،،
وإلى بقيَّة أفراد أسرتي الحبيبة ،،

أهدي ثمارَ جهدي المتواضع.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسانَ مالم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه
ومن تبعه إلى يوم الدين، وبعد،،،

تحتلُّ اللُّغةُ مكانةً مهمّةً في حياة الشعوب والمجتمعات، وتُعدُّ من أهمِّ الوسائل الرَّئيسة للتَّواصل والتَّفاهم والتَّرابط بين البشر على مرِّ العصور والأزمنة، وهي أداةٌ للتَّعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وفهم نواياهم ومقاصدهم ومراميهم؛ ولغرض تحقيق الحوار الهادف والفعل مع الآخرين بكلِّ يسرٍ وسهولةٍ.

عنى اللُّغويون قديمًا وحديثًا عنايةً شديدةً باللُّغة وألُوها رعايةً واهتمامًا كبيرين، أمثال: سيبويه، وابن جنِّي والجرجاني، والجاحظ، والسكاكي وغيرهم، فهؤلاء العلماء عرّفوا فكرة التَّداويّة وإن كانت بمصطلحاتٍ مختلفةٍ فالجُمْلُ والعبارات اللُّغويّة لم يكن الغرض من دراستها دراسةً صوتيّةً حرفيّةً فقط، بل كان الاهتمام منصبًا كذلك حول معرفة ما تُخفيه تلك الجُمْلُ والعبارات من معانٍ ومقاصد، من خلال مجموعةٍ من العناصر تمثّلت في المقام، وزمان ومكان التَّخاطب، والسِّيَاق وغيرها، فلا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدةً عن سياقها، فلا بُدَّ من معرفة السِّيَاق والظُّروف المحيطة بالعملية التَّخاطبيّة، فكلُّ تلك العناصر تقومُ بدراستها التَّداويّة.

تُعدُّ التَّداويّة جزءًا من فروع علم اللُّغة يبحثُ في كيفية اكتشاف السَّامع مقاصد المتكلِّم ونواياه، ومن هنا خرجتُ نظريّة الاستلزام الحواريّ التي تُعدُّ جانبًا من جوانب البحث التَّداويّ، والذي يُعدُّ بول جرايس أحد المنظرين لها، حيث تقومُ هذه النُّظريّة على التَّفريق بين ما يُقال وما يُقصد، والتَّفريق بين المعنى الحرفيِّ الصَّريح وبين ما يحمله الكلام من معنى مُتضمّن، فنشأت عنده فكرة (الاستلزام الحواريّ) الذي يتولّد نتيجة خرق أحد القواعد أو المبادئ التَّعاونيّة الأربعة التي اعتمدها جرايس في أيِّ حوارٍ يحدث بين البشر، والمتمثّلة في مبدأ (الكَم، والكيف، والطَّريقة والمناسبة)، وبهذا جاءت رسالتي الموسومة بـ (الاستلزام الحواريّ في ديوان امرئ القيس - دراسة تداوليّة) والتي تمّ فيها تخصيص معلقته كنموذجٍ لهذه الدِّراسة.

وقد كان من أسباب اختيار هذا الموضوع :

- الرّغبة الشّديدة في التَّعمُّق وسبر أغوار هذه النُّظريّة اللِّسانيّة الحديثة.
- معرفة وفهم كيفية تطبيق أحد مباحث المنهج التَّداويّ المتمثّل في (الاستلزام الحواريّ) والذي بدوره يساعدنا في إثبات أنّ هناك جذورًا وأصولًا للتَّداويّة في تراثنا العربيّ.

وكان من بين أهمِّ الدِّراسات السَّابِقة ذات الصِّلَة بهذا الموضوع:

- رسالة مقدّمة لنيل الماجستير في اللُّغة لـ (حمو كوثر) بعنوان: الاستلزام الحواريّ من خلال خطابات سيّدنا إبراهيم - عليه السَّلام - دراسة تداوليّة.
- نظريّة الاستلزام الحواريّ في شعر نزار قبّاني لـ (دُنيا عطية، دنيا بورنان) - دراسة تداوليّة.

- ظاهرة الاستلزام التَّخاطبيّ في الثُّراث اللِّسانيّ العربيّ، ليلى كادة.
- الاستلزام الحواريّ في وصف الخطاب القرآنيّ، حسين عيد.

أما بالنِّسبة للهدف من الدِّراسة فتمثَّل في:

- محاولة توضيح نظريَّة الاستلزام الحواريّ وتيسير وتبسيط إفهامها لكلِّ باحثٍ في اللِّسانيَّات الحديثة من خلال تطبيقها في ديوان امرئ القيس.

وقد تمَّ الاعتماد في هذه الدِّراسة على:

- المنهج الاستقرائيّ بالحديث عن مفهوم التَّداوليَّة في الثُّراث العربيّ قديمًا وحديثًا.
- وعلى المنهج الوصفيّ في تحديد خواصها.
- وعلى المنهج التَّطبيقيّ من خلال تطبيقها في ديوان امرئ القيس.

وتمَّ أيضًا الانطلاق في هذا البحث من إشكاليَّة مفادها:

- كيف يمكن ربط مفهوم التَّداوليَّة في الثُّراث العربيّ بمفهومها عند العلماء المحدثين؟
- هل يمكن تطبيق نظريَّة الاستلزام الحواريّ على الديوان، والخروج به من المعاني الحرفيَّة إلى المعاني الضمَّنيَّة التي قصدها الشَّاعر؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة تمَّ تقسيم البحث إلى مقدِّمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

- التمهيد: تمَّ الحديث فيه عن مفهوم التَّداوليَّة لغةً واصطلاحًا وعن أهميَّتها.
- الفصل الأوَّل: عُنون بـ (النَّظريَّة التَّداوليَّة بين الأصالة والحداثة) وقُسم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: التَّداوليَّة في الثُّراث العربيّ.

أوَّلًا- عند أهل اللُّغة.

ثانيًا- عند البلاغيِّين.

ثالثًا- عند الأصوليِّين.

المبحث الثَّاني: التَّداوليَّة عند العلماء المحدثين.

أوَّلًا- عند علماء الغرب.

ثانيًا- عند علماء العربيَّة.

المبحث الثَّالث: جوانب البحث التَّداوليّ.

أوَّلًا- الافتراض المسبق.

ثانيًا- الإشاريَّات.

ثالثاً- الأفعال الكلامية.

رابعاً- الاستلزام الحواري.

أمّا الفصل الثّاني فتَمَّ وَسَمُّهُ بـ (نظريّة الاستلزام الحواري) واشتملَ على:

- التّمهيد: الذي احتوى على مفهوم الاستلزام الحواري لغةً واصطلاحاً، مع نبذة مختصرة عن امريء القيس. وقد تمّ تقسيم هذا الفصل أيضاً إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: الاستلزام الحواري بين الأصالة والحدائثة.

أولاً- عند اللّغويين.

ثانياً- عند البلاغيين.

ثالثاً- عند الأصوليين.

رابعاً- عند العرب المحدثين.

المبحث الثّاني: الاستلزام الحواري عند الغربيين تضمّن.

أولاً- جرايس والاستلزام الحواري.

ثانياً- أنواع المعنى عند جرايس.

ثالثاً- مبدأ التّعاون وقواعد المحادثة.

رابعاً- خصائص الاستلزام الحواري.

المبحث الثّالث: تطبيق الاستلزام الحواري في معلّقة امريء القيس.

تمّ فيه تطبيق مبادئ التّعاون الجرايسية (الكم، والكيف، والمناسبة، والطريقة) على هذه المعلّقة.

أولاً- مبدأ الكمّ.

ثانياً- مبدأ الكيف.

ثالثاً- مبدأ الكمّ والكيف.

رابعاً- مبدأ الكيف والمناسبة.

خامساً- مبدأ الكمّ والكيف والمناسبة.

سادساً- مبدأ الكمّ والكيف والطريقة.

أمّا الخاتمة فتَمَّ الحديث فيها عن أهمّ النّتائج التي توصلّ وانتهى إليها البحث وأبرز التّوصيات.

وبالنظر إلى المصادر والمراجع المعتمدة فقد تعددت وكان من أبرزها: الكتاب لسبويه، والخصائص لابن جني، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي، وأساس البلاغة للزمخشري، وبعض التفاسير كابن كثير والقرطبي، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، وكتب عن التداولية ك (النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة لأحمد شاهين، والوظائف التداولية في اللغة العربية لأحمد المتوكّل، والتداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، وأفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود نحلة واللّسان والميزان أو التكوثر العقلي لطفه عبد الرحمن، وبعض الكتب المترجمة إلى العربية ك (التداولية من أوستن إلى غوفمان لفيليب بلانشيه، والملفوظية لجان سيرفوني، والتداولية لجورج يول، واعتمدت الدراسة كذلك على بعض المعاجم اللغوية مثل: لسان العرب لابن منظور، والصّاح للجوهري، والقاموس المحيط الفيروز آبادي وغيرها.

كما كان هناك دورٌ لبعض المجالات العلميّة التي تمت الاستفادة منها من بينها:

- الاستلزام الحواريّ وديناميكية التّخاطب في مفهوم جريس، عبد القادر البار، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
- الاستلزام التّخاطبيّ في الأمثال العربيّة، كتاب مجمع الأمثال للميدانيّ نموذجًا، عبد الله الحقباني.
- الاستلزام التّخاطبيّ في ضوء المقاربة الوظيفيّة لأحمد المتوكّل، محمّد يزيد سالم.

وقد واجهتني بعض الصّعوبات التي كان من أبرزها:

- شح الكتب العربيّة المتعلّقة بالتداولية مقارنةً بالكتب الأجنبية.
- صعوبة وتعقيد بعض الألفاظ التي أشكل على الباحث فهمها وخاصّةً في الكتب التي تناولت الوظائف التداولية كما في كتاب أحمد المتوكّل (الوظائف التداولية في اللغة العربيّة).
- تعدّد وتباين المصطلحات الخاصّة بلفظة التداولية الأمر الذي أدّى إلى تشتت الباحث وإرباكه عند البحث.

ولا يسعني بعد هذا العرض الموجز إلا أن أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذتي الدكتورة: سمر النويلاتي على الإرشادات القيّمة والنصائح البناءة التي أسدّتها لي طوال فترة الرّسالة، فجزاها الله عني خير الجزاء، كما أعير عن شكري الخاص لعضوي اللّجنة المناقشة الذين تفضّلوا بقراءة الرّسالة ومناقشتها، والحرص على الأخذ بما جاء فيها من ملاحظات.

وأحمد الله تعالى أن وفّقني وأعانني على إنجاز هذه الرّسالة وإخراجها إلى حيّز الوجود، فأسأله سبحانه التّوفيق والسّداد في القول والعمل، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الباحثة

التَّهْيِـد

مفهوم التداوئية

أولاً: التداوئية لغةً.

ثانياً: التداوئية اصطلاحاً.

ثالثاً: أهمية التداوئية.

أولاً - لغة:

إنَّ لفظِ التَّدَاوُلِيَّةِ معاني كثيرة كما جاءت في معاجم اللُّغة فهي: مصطلح مأخوذ من مادة (دَو، و) "والدَّوْلَةُ في الحرب: أنْ تُدَالَ إحدى الفئتين على الأخرى، يُقال: كانت لنا عليهم الدَّوْلَةُ. والجمعُ الدُّوْلُ. وتَدَاوَلْتُهُ الأيدي، أي أَخَذْتُهُ هذه مرَّةً وهذه مرَّةً"⁽¹⁾.

"وأدالنا اللهُ تعالى من عدُونَا: من الدَّوْلَةِ. والإِدَالَةُ: الغَلْبَةُ"⁽²⁾.

جاء في لسان العرب لابن منظور: "تداولنا الأمر: أخذناه بالدُّوْل. وقالوا: دواليك أي مُدَاوِلَةٌ على الأمر... ودالت الأيام أي دارت، واللهُ يداولها بين النَّاس"⁽³⁾.

"وأدال اللهُ بني فلان من عدوهم: جعل الكرَّة لهم عليه... وأدبَلُ المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأدبَلُ المشركون على المسلمين يوم أُحد"⁽⁴⁾ و" (دَو النَّيْكَ): تَدَاوُلٌ بعد تَدَاوُلٍ. فيقال: فعلنا ذلك دَو النَّيْكَ: مرَّةً بعد مرَّةً"⁽⁵⁾.

وفي الكشَّاف "نداولها نُصِرَ فيها بين النَّاس، نُدبِلُ تارةً لهؤلاء وتارةً لهؤلاء... يُقال: داوت بينهم الشَّيء فتداولوه"⁽⁶⁾.

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾⁽⁷⁾ "أنَّ هذه الدَّار يعطي اللهُ منها المؤمن والكافر والبرَّ والفاجر، فيداولُ اللهُ الأَيَّام بين النَّاس: يوم لهذه الطَّائفة، ويوم للطَّائفة الأخرى"⁽⁸⁾.

يتبيَّن لنا من المفاهيم المعجمية السابقة أنَّ التَّدَاوُل: انتقالُ حال إحدى الفرقتين إلى الأخرى، سواءً أكانت مؤمنة أم كافرة، برَّة أم فاجرة، وانتقالها من الهزيمة إلى النَّصر، ومن النَّصر إلى الهزيمة، ومن الذُّلِّ والهوان إلى الحُبور والسُّرور والعكس، أي يومٌ لهذه ويومٌ لهذه، كما دالت أَيَّام بدرٍ وأحدٍ، فهي تذهب وتعود وتتبدَّل وتتغيَّر. إنَّ التَّغْيِيرَ والتَّبَدُّلَ والانتقال من حالٍ إلى حالٍ كلُّ ذلك يُعَدُّ من معاني لَفْظِ (دَو ل).

(1) الصَّحاح، الجوهرى، ج 4 / 1699، 1700.

(2) القاموس المحيط، الفيروز أبادي / 577.

(3) لسان العرب، ابن منظور، ج 4 / 444.

(4) أساس البلاغة، الرَّمْشَرِي، ج 1 / 303.

(5) المعجم الوجيز، مجمع اللُّغة العربيَّة / 239.

(6) الرَّمْشَرِي، ج 4 / 196، 197.

(7) آل عمران: 140.

(8) تفسير تيسير الكريم الرَّحْمَن في تفسير كلام المَنَّان: عبد الرَّحْمَن السَّعْدِي / 129.

ثانياً - اصطلاحاً:

عرّف العلماء التّداوليّة وتناولوها في دراساتهم وكتاباتهم وبيّنوها بعدّة مصطلحات. فالتّداوليّة "البراغماتيّة" (Pragmatique) اسم مشتق من اللفظ اليونانيّ "براغما" (pragma) ومعناه العمل⁽¹⁾، حيث تمّ استخدامها من قِبَل فلاسفة اليونان، وهي تدلُّ في الغالب على "ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقيّة"⁽²⁾.

وقد تعدّدت المسمّيات للبراغماتيّة اللّسانيّة منها: النّفعية، والدّرانيّة، والقصدية، والتّخاطبيّة، والتّداوليّة.

- النّفعية: ومعناها الغاية أو المصلحة المتحصّل عليها من الخطاب.

- الدّرانيّة: ويُقصد بها الوسيلة والطّريق إلى الشّيء.

- القصدية أو المقصدية: ويُراد بها المعنى المستفاد من السّياق اللّغويّ والسّياق الخارجيّ، أو هو معرفة مراد المتكلّم.

- البراغماتيّة: المنفعة التي تتحقّق من الخطاب أو الإنجاز الفعليّ.

- التّخاطبيّة أو علم التّخاطب: كما سمّاه - محمّد يونس علي - ومعناه استعمال اللّغة في التّخاطب .

- التّداوليّة: وقد اصطلح على تسميتها بذلك - طه عبدالرحمن- حيث شاع هذا اللفظ وانتشر عند العرب وتداولوه على ألسنتهم وفي كتبهم وأبحاثهم، وبدلّ معناه في العربيّة على التّفاعل والتّناوب، ويكمن استعماله في سياق التّداول اللّغويّ والحوار والمناقشة والمداولة⁽³⁾.

وعلى الرّغم من أنّ التّداوليّة علم من اللّسانيّات الحديثة التي قامت بفضل جهود كثير من علماء اللّسانيّات وفلاسفة اللّغة أمثال: بيرس، وفنجشتاين، وأوستن، وسيرل، وجرايس ومع كثرة المفاهيم والتّعريفات، فإنّه يصعب علينا تحديد مفهوم جامع مانع للتّداوليّة؛ بسبب تداخلها مع كثير من العلوم الأخرى، كعلم الفلسفة، والنّفس، والتّاريخ، والاجتماع وغيرها، إلا أنّ بعض العلماء والباحثين الغربيين والعرب قد اجتهدوا ووضعوا لها مفاهيم متنوعة نذكر منها ما يلي:

"التّداوليّة جزء من السّيميائيّة، التي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات"⁽⁴⁾ وهذا التّعريف

عرّفه موريس (1938م)، وهو أقدم تعريف للتّداوليّة⁽⁵⁾.

فهي عند موريس جزء وفرع من (السّيميائيّة) علم الإشارات أو العلامات، تدرس العلاقة بين الإشارات وبين مستعملي هذه الإشارات.

فكرة موريس تنطلق من مبدأ "أنّ التّداوليّة لا تدرس اللّغة المنطوقة وحدها، بل تدرس أيضاً العلاقة بين الرّموز أو العلامات المستخدمة وما تشير إليه، وعلاقة العلامات بعضها ببعض، والعلاقة بين العلامات المسؤولة ومستخدميها أو مجال الاستعمال..."⁽⁶⁾.

(1) المعجم الفلسفيّ، جميل صليبا، ج 1 / 203.

(2) التّداوليّة من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه / 17.

(3) يُنظر: النّظرية البراغماتيّة اللّسانيّة، محمود عكاشة / 15، وما بعدها.

(4) المقاربة التّداوليّة: فرانسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علّوش / 5.

(5) يُنظر: المصدر السّابق.

(6) النّظرية البراغماتيّة اللّسانيّة/ 30.

- التداوليّة عند ديبلر وريكاناتي: " تُمَثَّلُ دراسة تهتمُّ باللُّغة في الخطاب، وتنتظر في الوسميّات الخاصّة به قَصْدَ تأكيد طابعه التّخاطبيّ"(1).
- وعند فان جاك هي: "دراسة للُّغة بوصفها ظاهرة خطابيّة وتواصلية واجتماعية، في نفس الوقت"(2).
- ورأى سفز بأنّها: "الدِّراسة أو التّخصُّص الذي يندرج ضمن اللِّسانيّات، ويهتمُّ أكثر باستعمال اللُّغة في التّواصل"(3).
- فالتداوليّة: دراسة تهتمُّ باستعمال اللُّغة في الخطاب، وتؤكِّد على التّواصل والتّفاعل بين المتكلِّم والمتلقّي في جميع الجوانب الخطابيّة، والاجتماعية، والتّواصلية.
- وعرفها بلانشيه بأنّها: "... الدِّراسة التي تعنى باستعمال اللُّغة..."(4).
- فالاهتمام إذن مُنصَّبٌ على الدِّراسة في الاستعمال اللُّغويّ.
- وعرفها جورج مول أيضًا بقوله: "التداوليّة هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلِّم، أو هي دراسة المعنى السياقيّ، أو هي دراسة كيفية إيصال أكثر مما يُقال"(5).
- فالواضح أنّها: تدرسُ المعنى الذي يريد المتكلِّم إبلاغه وإيصاله إلى المتلقّي من خلال السِّياق الوارد فيه، ومحاولة إيصال أكبر قدر من المعاني بأقل قدر من الكلمات.
- أمّا مسعود صحراويّ فقد عرفها بأنّها: العلم الذي يهتمُّ "بدراسة استعمال اللُّغة... فدراسة استعمال اللُّغة لا تنحصر ضمن الكينونة اللُّغوية بمعناها البنيويّ الضيّق، وإنّما تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلِّمين والمخاطبين"(6).
- فالتداوليّة علمٌ ينحصر اهتمامه في بيان غرض المتكلِّم والمخاطب ومقصدهما، بعيدًا عن التّجرّد اللُّغويّ الضيّق.
- وهي أيضًا عملية تفاعلية تحدث بين طرفين متكلِّم ومخاطب، وعليه فـ "التداول تفاعل، وكلُّ تفاعل يلزمه طرفان على أقلّ تقدير: مُرسِل ومستقبل، متكلِّم وسامع، أو مستمع، كاتب أو قاريء، على أنّ مدار اشتغال التداوليّة هو مقاصد وغايات متكلِّم، وكيف تبلغُ مستمعًا أو متلقّيًا"(7).
- ويعرفها صحراويّ أيضًا بقوله: "إنّها ليست علمًا لغويًّا محضًا، بالمعنى التّقليديّ، علمًا يكتفي بوصف وتفسير البنى اللُّغوية ويتوقّف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنّها علمٌ جديدٌ للتّواصل يدرس الظواهر اللُّغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من تمّ، مشاريع معرفيّة متعدّدة في دراسة ظاهرة التّواصل اللُّغويّ وتفسيره..."(8).

(1) التداوليّة من أوستن إلى غوفمان / 18، 19.

(2) المصدر السّابق / 19.

(3) المصدر السّابق.

(4) المصدر نفسه / 18.

(5) التداوليّة، جورج مول، ترجمة قصي العتّابي / 19.

(6) التداوليّة عند العلماء العرب، مسعود صحراويّ / 28.

(7) من أفعال اللُّغة إلى بلاغة الخطاب السِّياسيّ - تبسيط التداوليّة - بهاء الدّين مزيد / 18.

(8) التداوليّة عند العلماء العرب / 16.

والتداولية كذلك: "فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم (Speaker intentions) أو هو دراسة معنى المتكلم (Speaker meaning)، فقول القائل: (أنا عطشان) مثلاً قد يعني أحضر لي كوباً من الماء، وليس من اللازم أن يكون إخباراً بأنه (عطشان)، فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما تقوله كلماته"⁽¹⁾.

لذا فالتداولية لا تدرس التراكيب اللغوية المجردة، بل تذهب إلى أكثر من ذلك، إلى دراسة المعنى الخفي الكامن وراءها.

وهي علم يهتم بالاستعمال اللغوي في الخطاب، والسياق، والمقام، والزمان، والمكان، ومراعاة أحوال المتكلم والمتلقي، فلا يمكن أن نحدد مفهوم التداولية بمعزل عن تلك العناصر السابقة كلاً على حدة.

وهي كذلك: "دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام (language in use)، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية. هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها أو نفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدتها في القواميس والمعاجم"⁽²⁾.

• وعرفها حافظ علوي: "بأنها نسق معرفي استدلائي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلغوية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية"⁽³⁾.

وعبر طه عبد الرحمن عن أسباب التواصل والتفاعل في المجال التداولي بأنه: "لا يخفى على أحد أن اللغة أداة من أقوى الأدوات التي يستخدمها المتكلم لتبليغ مقاصده إلى المخاطب وللتأثير فيه بحسب هذه المقاصد، ويقدر ما تكون هذه الأسباب مألوفة للمخاطب وموصولة بزاده من الممارسة اللغوية، فهما وعملاً يكون التبليغ أفيد والتأثير أشد"⁽⁴⁾.

وعرف طه عبد الرحمن التداول أيضاً من جهة تعلقه بالممارسة التراثية بقوله: "هو وصف لكل ما كان مظهرًا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم... إذن هو محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث"⁽⁵⁾.

حين مراجعة وملاحظة تلك المفاهيم التداولية السابقة، نجد أن آراء العلماء والباحثين اللغويين الغربيين والعرب قد تباينت واختلفت، إلا إن معظمهم قد أجمعوا على نقطة واحدة، ألا وهي "دراسة استعمال اللغة"، فمنهم من يرى أنها تستعمل لدراسة الخطاب، أو لدراسة المعنى الذي يقصده المتكلم، أو لدراسة المعنى من خلال السياق أو لاستعمال اللغة في التواصل والتفاعل، فهدف التداولية أولاً وأخيراً إقامة نظام كامل متكامل بواسطته يستطيع المتكلم إبلاغ المتلقي بمراده وغرضه.

(1) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة / 12، 13.

(2) من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي- تبسيط التداولية / 18.

(3) التداوليات علم استعمال اللغة / 32.

(4) تجديد المنهج في تقويم التراث / 245.

(5) المصدر السابق / 244.

ثالثاً - أهمية التداولية:

تُعَدُّ التَّدَاوِلِيَّةُ علماً لسانياً حديثاً يهتمُّ بدراسة اللُّغة في الاستعمال، بعيداً عن (التَّجْرُدِ اللُّغَوِيِّ) أي استعمال اللُّغة مجردة بحسب بنيتها وتركيبها الدَّاخِلِيَّة، لا بحسب سياقاتها وأحوالها التَّخاطِبِيَّة، "فهي لا تدرس البنية اللُّغَوِيَّة ذاتها، ولكن تدرس اللُّغة حين استعمالها في الطَّبَقَاتِ المَقَامِيَّةِ المختلفة، أي باعتبارها كلاماً محدداً صادراً من متكلِّم محدَّد وموجَّهاً إلى مخاطب محدَّد بلفظ محدَّد في مقامٍ تواصلِيٍّ محدَّد لتحقيق غرضٍ تواصلِيٍّ محدَّد"⁽¹⁾، لا كما عبَّر عنها بالمسيلف بوصفها "نسفاً مجرداً تحكمه قوانينه الدَّاخِلِيَّةُ الخاصَّة"⁽²⁾، أو كما عبَّرت عنها اللِّسانِيَّاتُ التَّوَلِيدِيَّةُ التَّحْوِيلِيَّةُ التي تدرس اللُّغة بوصفها كفاءة عقليَّة دماغِيَّة تُودِي عن طريق الإنجاز الكلامي"⁽³⁾.

- فهدف التَّدَاوِلِيَّةِ الأساس هو: "معالجة صور القصور في اللِّسانِيَّاتِ البنيويَّةِ والتَّوَلِيدِيَّةِ"⁽⁴⁾.

فالبنويَّةُ نجدها قد اكتفت بوصف التَّرَاكيبِ اللُّغَوِيَّةِ وتحليلها وتفسيرها سطحياً بعيداً عن دراسة المعنى وبعيداً عن التَّفْسِيرِ العميق للجمل والعبارات، فأقصت بذلك أحوال التَّخاطبِ والعملِيَّةِ التَّخاطِبِيَّةِ والطَّبَقَاتِ المَقَامِيَّةِ التي يُنجز فيها الخطاب.

أمَّا التَّوَلِيدِيَّةُ والتي أنشأها (نعوم تشومسكي)، فتأتي فكرتها في أنَّ الإنسان يولد فطرياً في هذه الحياة وهو عالم بالمباديء والقواعد العامَّة للُّغة، ورأى أنَّ الأطفال يولدون ولديهم قدرة لغويَّة بسيطة، ثمَّ تتطوَّر هذه اللُّغة عن طريق تعلُّمها ممَّن حولهم، حيث يقومون بتوليد وإنتاج العدد اللامتناهي من الجمل والعبارات، اعتماداً على عدد محدود من القواعد النحويَّة، أي أنَّ لديهم (كفاءة عقليَّة دماغِيَّة) يستطيعون من خلالها إنتاج العديد من الجمل والعبارات⁽⁵⁾.

أمَّا فكرة التَّحْوِيلِيَّة فتكون بتحويل جملة مبنية للمعلوم إلى جملة مبنية للمجهول، فالتَّحْوِيلُ "يجري باشتقاق جملة أو مجموعة من الجمل من جملة تسمى النِّوَاة"⁽⁶⁾، مثل: كَتَبَ أَحْمَدُ الدَّرْسَ، هذه جملة مبنية للمعلوم، فعند تحويلها نقول: كُتِبَ الدَّرْسُ، جملة مبنية للمجهول.

• ويمكن حصر أهميَّتها كذلك في أنَّها: "تمثِّل حلقة وصل قويَّة بين عدد من العلوم الإنسانيَّة"⁽⁷⁾ حيث يتبيَّن لنا مدى التَّرابِطِ الواضح بينها وبين العلوم الأخرى كعلم التَّرَاكيب، و علم الدَّلالة، والبلاغة، والأصول، والنَّصِّ والأسلوب، والاجتماع، والفلسفة، و علم النَّفس وغيرها.

حيث يَبْضُحُ التَّرابِطُ بين التَّدَاوِلِيَّةِ وبين تلك العلوم من جانب فهم المعنى ومعرفة السِّيَاقِ والمقام وظروف الخطاب إلى غير ذلك.

(1) التَّدَاوِلِيَّاتُ علم استعمال اللُّغة: حافظ علوي/40.

(2) المصدر السَّابِقُ / 32.

(3) المصدر نفسه.

(4) التَّدَاوِلِيَّةُ: دراسة في المجالات والفروع، علجيَّة بوجمعة/166.

(5) يُنظر: التَّدَاوِلِيَّةُ علم استعمال اللُّغة /27، محاضرات في المدارس اللِّسانِيَّةِ المعاصرة، شفيقة علوي /41.

(6) النَّظَرِيَّةُ التَّوَلِيدِيَّةُ التَّحْوِيلِيَّةُ عند تشومسكي، حنان مقدادي/6.

(7) التَّدَاوِلِيَّاتُ علم استعمال اللُّغة/39.

- كما أنّها تُنصُّ وتؤكِّدُ على أهميّة المعنى الذي يقصده المتكلم، وعلى "كشف النَّصِّ وإدراك ماهيّته"⁽¹⁾، سواء أكان هذا النَّصُّ ملفوظًا أم مكتوبًا، ومعرفة معناه ومضمونه، وينصُّ أيضًا على معرفة المعنى السياقي وتأثيره في كلِّ ما يُقالُ وما يُلفظُ.
 - فمن خلال سياق النَّصِّ ندرك ونفهم المعنى المراد إيصاله.
 - ومن أهميّتها: "بيان أسباب أفضليّة التّواصل غير المباشر وغير الحرفيِّ على التّواصل الحرفيِّ المباشر"⁽²⁾ وذلك لإحداث التّفاعّل بين كلِّ من المتكلم والمخاطب، ومعرفة مقصد المتكلم ومراده.
 - وأيضًا كونها "تهتمُّ بمختلف الأسئلة الهامّة، والإشكاليّات الجوهرية في النَّصِّ الأدبيِّ المعاصر لأنّها تحاول الإحاطة بعدد الأسئلة من قبيل:
 - من يتكلّم وإلى من يتكلّم؟
 - ماذا نقول بالضّبط حين نتكلّم؟
 - ما هو مصدر التّشويش والإيضاح؟
 - كيف نتكلّم بشيءٍ ونريد قول شيءٍ آخر؟
 - من تمّ، تستدعينا التّداوليّة للإجابة عن هذه الأسئلة إلى استحضار مقاصدنا، وأفعال لغتنا، وسياق تبادلاتنا الرّمزيّة، والبعد التّداوليِّ لهدف اللّغة المستعملة"⁽³⁾.
 - ويمكن أيضًا بيان أهميّتها في الدّراسات العربيّة من جهة "قراءة التّراث قراءة متعمّقة"⁽⁴⁾ فللتّداوليّة أهميّة كبيرة في الدّراسات العربيّة، حيث تساعدنا على قراءة النّصوص وفهمها، وذلك لاحتواء التّراث العربيِّ على مباحث ذات علاقة بالتّداوليّة، ومن جهةٍ أخرى تقدير الجهود الجبّارة لعلماء العربيّة العظماء ودورهم البارز في هذا المجال.
- فجهود علماء العربيّة في التّداوليّة كانت واضحةً في أبحاثهم ودراساتهم، وإنْ كانت بمصطلحاتٍ مختلفةٍ إلّا أنّها وُجدت مبنوثةً ومتفرّقةً هنا وهناك، وسوف يتّمّ تفصيلها والحديث عنها في المبحث الخاصِّ بها بعون الله تعالى.

(1) الدّرس التّداوليِّ في ضوء علم اللّغة الحديث، محمد أبو حسين / 20.

(2) التّداوليّات علم استعمال اللّغة / 40.

(3) المقاربة التّداوليّة / 3.

(4) الدّرس التّداوليِّ في ضوء علم اللّغة الحديث / 20.

الفصل الأول: النظرية التداولية بين الأصالة والحداثة.

المبحث الأول: التداولية في التراث العربيّ.

أولاً: عند أهل اللغة.

ثانياً: عند البلاغيين.

ثالثاً: عند الأصوليين.

المبحث الثاني: التداولية عند العلماء المحدثين.

أولاً: عند علماء الغرب.

ثانياً: عند علماء العربية.

المبحث الثالث: جوانب البحث التداوليّ.

أولاً: الافتراض المسبق.

ثانياً: الإشاريّات.

ثالثاً: الأفعال الكلامية.

رابعاً: الاستلزام الحواريّ.

تمهيد:

من المعروف أنّ التداوليّة مصطلحٌ لسانيّ حديثٌ، درسه الغريّبون وأفاضوا الحديث عنه في كتبهم وأبحاثهم وتناوله كذلك علماء العربيّة المحدثين واهتمّوا به، وحاولوا من خلال دراساتهم إبراز هذا المصطلح، وبيان فضل العلماء العرب الأوائل من ناحية، وبلاغيين، وأصوليين، الذين كانوا سباقين في هذا المجال، حيث تجدرّ المصطلح عندهم وتعمّق، وكانت كتبهم زاخرةً وممتلئةً بالأفكار التداوليّة، وإن كانت بمصطلحاتٍ مختلفةٍ وبغير هذا الاسم، إلاّ أنّه وُجدَ مبيّناً ومتفرّفاً هنا وهناك، عليه فلا يمكن إغفال دور هؤلاء العلماء وحجب الرؤية عمّا جاءوا به من أبوابٍ وفصولٍ، تمثّلت في دراسة معاني الكلام ومقاصد المتكلّمين وفهم غرضهم ومرادهم، ودراسة السياق والمقام، مبتعدين عن دراسة الكلام المنعزل المجرد فالكلام لا يؤدي معنىً إلاّ بوجود مجموعةٍ من العوامل المحيطة به؛ ليصل بالمخاطب إلى معرفة نوايا المتكلّم وبيان مقصده، لذلك سيتمّ الحديث في هذا الفصل عن التداوليّة ومبادئها التي كانت حاضرةً في ثرائنا العربيّ، بدءاً من النحويين إلى البلاغيين والأصوليين، وصولاً إلى العلماء الغربيين وعلماء العرب المحدثين.

المبحث الأول : التداولية في التراث العربيّ.

أولاً - عند أهل اللُّغة.

ثانياً - عند البلاغيين.

ثالثاً - عند الأصوليين.

أولاً - عند أهل اللُّغة:

مما لاشكَّ فيه أنَّ لعلمائنا العرب الأوائل دورٌ كبيرٌ في مُمارسة المنهج التَّداوليِّ، فعند تأملنا للنُّصوص التي تناولوها في كتبهم يتبيَّن أنَّها تحوي معاني تداوليَّة عدَّة، "فلم يكن كلُّ النُّحاة بعيدين عن دراسة (المعاني) في تحليلهم للجمل، بل منهم من كان على صلةٍ وثيقةٍ بـ (معاني الكلام) وبأغراض الأسلوب ومقاصده، وبطرق وأحوال الاستعمال اللُّغويِّ وبطبيعة العلاقة بين المتكلِّمين والمخاطَّبين وبملايسات الخطاب ودلالاته وأغراضه"⁽¹⁾؛ لذلك نجدُ الكثير من النُّحاة المتقدِّمين قد راعوا (قصد المتكلِّم) وغرضه من الخطاب وحال السَّامع أيضًا، عن طريق وضع القواعد الخاصَّة بالتركيب ومعرفة معانيها حيث "لم يضع النُّحاة هذه القواعد أو الأصول أو الأحكام بمنأى عن إدراكهم معاني التَّركيب... بل كانت معاني الجمل تكشفُ للنُّحاة عن سُبُل التَّفعيد ووضع الأحكام في ضوء معرفة خصائص كلِّ باب ومعانيه... ومعرفة الوجوه المختلفة لإعراب اللفظة تبعًا لاختلاف المعاني"⁽²⁾.

فمعرفة أصول القواعد اللُّغويَّة وأحكام إعراب اللفظة يساعدنا كثيرًا على فهم المعنى، فالتعبير الصَّحيح للجمل يُوِّدي إلى فهم المعنى الصَّحيح، والتَّعبير الخاطيء للجمل يُوِّدي بدوره إلى فهم المعنى الخاطيء. فلم يكن النُّحاة غافلين عن دراسة (المعاني) المتعلِّقة بالتركيب المختلفة، بل كان قصدهم الإفصاح عن المعاني التي يُوِّديها اللفظ في التَّركيب⁽³⁾.

فالجملَّة العربيَّة لا يكون لها معنى مالم يكن بين مفرداتها ترتيب وتماسك، فلكي يُوِّدي الكلام إفادةً ومعنى لا بدَّ له من حدوث ترتيبٍ وترابطٍ بين مفرداته، فلو قلنا على سبيل المثال: (أكل، كُتِب، مِنْ) لم يكن للكلام هنا معنى ولا إفادةً.

فالمتكلِّم عندما ينطق الجملَّة لم ينطقها حسب تراكيبها المجرَّدة، بل كان يهدف إلى إيصال المتلقِّي غرضه ومراده من الكلام، مراعيًا البيئَةَ المقاميَّة المناسبة لذلك.

"والتأمُّل في الدَّرس العربيِّ، على اختلاف علومه، يجد أنَّه لم يفصل البُنى اللُّغويَّة التي تناولوها عن واقع استعمالها، فضلًا عن وصفه اللُّغة أثناء استعمالها خطابًا..."⁽⁴⁾، فالعالم العربيِّ النَّحويِّ أو البلاغيِّ وغيره، لم يُبعد استعمال اللُّغة عن التَّركيب اللُّغويَّة، حيث كان له دور واضح في ذلك "فليست اللُّغة بُنى وتراكيب مستقلة بذاتها، بقدر ماهي قائمة على الفعل الحيِّ، والأداء الفعليِّ الذي تتضمنه"⁽⁵⁾.

(1) التَّداوليَّة عند العلماء العرب/174.

(2) نظريَّة المعنى في الدِّراسات النَّحويَّة، كريم الخالدي/314.

(3) يُنظر: المصدر السَّابق/315

(4) في اللِّسانيَّات التَّداوليَّة، خليفة بوجادي/192.

(5) المصدر السَّابق/218.

فالملاحظ أن العلماء العرب الأوائل أمثال سيبويه (ت: 180 هـ) والمبرد (ت: 285 هـ) وابن السراج (ت: 316 هـ) وابن جني (ت: 392 هـ) والزّمخشرّي (ت: 538 هـ) كان لهم دور في اهتمامهم بظاهرة التّداوليّة وكانت جُلّ دراساتهم مركّزة على (المعنى) سواء أكان حرفياً أم ضمناً، مباشراً أم غير مباشر، وفيما يلي آراء بعضاً منهم:

أ - سيبويه:

فهذا سيبويه (ت: 180 هـ) قد تحدّث في كتابه (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة)، أن الكلام في العربيّة أنواعٌ بيّنها في قوله: "فمنه مستقيمٌ حسنٌ، ومحالٌ، ومستقيمٌ كذبٌ، ومستقيمٌ قبيحٌ، وما هو محالٌ كذبٌ... وأما المحال الكذب فإن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس⁽¹⁾، فالمحالٌ محالٌ أن يكون له معنى، والذي لا يحمل معنى لا يمكن أن يحتمل الصّدق أو الكذب، كما عبّر عنه تلميذه أبو الحسن (الأخفش الأوسط) (ت: 215 هـ) بقوله: "وأما المحال فهو ما لا يصح له معنى ولا يجوز أن تقول فيه صدق ولا كذب، لأنه ليس له معنى. ألا ترى أنك إذا قلت أتيتك غدا لم يكن للكلام معنى تقول فيه صدق ولا كذب"⁽²⁾.

فالكلام وإن صحّت تراكيبه اللّغويّة إلّا أنّه لا يدّ فيه من استقامة المعنى، حتى نستطيع أن نحكم عليه بالصّدق أو الكذب، وكذا التّداوليّة تدرس جانب (المعنى) لما له من أهميّة في إيصال مراد المتكلم ورضه. حيث نجد أن سيبويه قد اهتمّ بالنحو العربيّ والتراكيب اللّغويّة اهتماماً بارزاً فعني بأحوال المتكلم والمتلقّي والسيّاق والمقام، ليصل إلى قمة التّواصل والتّفاعل، "فيتمدّ المتكلم بأشكال، وتراكيب مختلفة تتوافق وغايات التّخاطب يختار المتكلم منها ما يوافق مراده ويلائم المقام فيقدم أو يؤخّر، ويحذف أو يذكر... متجاوزاً بذلك القيود الإعرابيّة لأواخر الكلم ليصل إلى غاية التّواصل"⁽³⁾، ومن ذلك قولهم في مقام الحذف والذكر: "مرحباً، وأهلاً،... فإنما رأيت رجلاً قاصداً إلى مكانٍ أو طالباً أمراً فقلت: مرحباً وأهلاً، أي أدركت ذلك وأصببت، فحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إيّاه"⁽⁴⁾، "ويقول الرّاد: وبك وأهلاً وسهلاً، وبك أهلاً. فإذا قال: وبك وأهلاً، فكأنه قد لفظَ بمرحباً بك وأهلاً. وإذا قال: وبك أهلاً فهو يقول: ولك الأهل إذا كان عندك الرّحب والسّعة"⁽⁵⁾.

وقد فسّر ولخصّ السّيرافي (ت: 368 هـ) ذلك بقوله: "... وإنما هذه تحيّة المزور ومن يدخل عليه يحيي بها الرّائر المزور، على معنى إنك أصبت عندي سعة وأنسا"⁽⁶⁾.

وقد أدرك النّحاة العرب ما للحذف والذكر من أهميّة في إنتاج الدلالة والتأثير في المتلقّي، لذلك يلجأ المرسل إلى ظاهرة الحذف والذكر لأنّ العمليّة التّواصلية بين المرسل والمتلقّي وتراكيب الجمل والمقام والسيّاق تقتضي حدوث ذلك⁽⁷⁾.

(1) الكتاب، ج 1 / 25.

(2) المصدر السّابق، الهامش 1 / 26.

(3) النّظريّة التّداوليّة وأثرها في الدّراسات النّحويّة المعاصرة، أحمد شاهين / 71.

(4) الكتاب، سيبويه، ج 1 / 295.

(5) المصدر السّابق.

(6) المصدر نفسه، الهامش 4.

(7) النّظريّة التّداوليّة وأثرها في الدّراسات النّحويّة المعاصرة / 71.

فالمتكلم قد يلجأ إلى الحذف في الكلام، وذلك لعلم المتلقي به وملاءمة المقام والسياق لذلك الكلام فيقوم بحذف الفعل أو الحرف أو غيره، ولا يمكننا معرفة مدلوله أو معناه إلا من خلال السياق الوارد فيه ولتوضيح ذلك نُورد بعض الأمثلة على الحذف نذكر منها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾⁽¹⁾، حيث تم حذف حرف الناء من الفعل الأول (اسطاعوا) وتركه في الفعل الثاني (استطاعوا)؛ لأن "استطاعوا تحتاج إلى جهد لنقب السد، أما اسطاعوا فهي للصعود على ظهره، وبالتأكيد أن إحداهن نقب في السد المصنوع من الحديد والنحاس أشد من الصعود على ظهره ويستغرق وقتاً أطول، فحذفت من الفعل الذي مدته أقل وذكّر في الحدث الممتد"⁽²⁾ وهذا ما فهمناه من خلال سياق الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحٍ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾⁽³⁾، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فُكْهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾⁽⁴⁾، لماذا تم ذكر الواو في الآية الأولى (ومنها) وحذفها في الآية الثانية (منها)؟

حسب سياق الآية الأولى يتبين لنا أن الحديث عن الفاكهة في الدنيا، فهي ليست للأكل فقط، فقد تكون للبيع أو للادخار وغيرها، وهذا ما يُسمى عطف على محذوف، أما في الآية الثانية فسبب الحذف كان عن فاكهة أهل الجنة التي جعلت للأكل فقط، فتم حذف الواو (منها)⁽⁵⁾.

وقد ذهب سيبويه إلى أن الفعل يجري في الأسماء على ثلاثة مجازٍ: "فعل مُظَهَّرٌ لا يحسن إضمامه، وفعلٌ مُضْمَرٌ مستعملٌ إظهاره، وفعلٌ مُضْمَرٌ متروكٌ إظهاره"⁽⁶⁾، فمثال الفعل المُضْمَرِ المستعمل إظهاره قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مَلَأَ بَصِيرَتِي حَنِينًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁷⁾، كأنه قيل لهم اتبعوا، حين قال لهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾⁽⁸⁾، فقد تم حذف الفعل (اتبعوا) وإضمامه مع القدرة على ذكره وذلك لعلم المخاطب ومعرفة المسبقة به⁽⁹⁾.

"ونحو قولك: زيداً، لرجلٍ في ذكرٍ ضَرْبٍ، تريد: اضرب زيداً"⁽¹⁰⁾، فحذف الفعل عند سيبويه كان ناتجاً عن علم المخاطب بموضوع الخطاب، وفهمه لسبب الكلام، حيث يُعد كل ذلك من الممارسة التداوليّة المفهومها الحديث.

وكما جاء حذف الفعل في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾⁽¹¹⁾ أي

"فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ (فأفطرَ) فعِدَّةٌ من أيامٍ أُخَرَ"⁽¹²⁾، حيث تم حذف الفعل (أفطرَ) لعلم المخاطب برخصة أو جوازِ فطر المريض أو المسافر في شهر رمضان، وقد فهم ذلك من خلال سياق الآية.

(1) الكهف: 93.

(2) أسرار البيان في التعبير القرآني، فاضل السامرائي/ 10، 11.

(3) المؤمنون: 18، 19.

(4) الزخرف: 72، 73.

(5) يُنظر: أسرار البيان في التعبير القرآني/ 5.

(6) الكتاب، ج 1 / 296.

(7) البقرة: 134.

(8) البقرة: 134.

(9) ينظر: النظرية التداوليّة وأثرها في الدراسات النحويّة المعاصرة/ 72.

(10) الكتاب، ج 1 / 297.

(11) البقرة: 183.

(12) بحوث منهجيّة في علوم القرآن، موسى الإبراهيم/ 175.

وفي نحو قولك جواباً لسؤال أحدهم: قلماً ومحفوظةً، والسؤال: ماذا اشتريت؟ حيث تم حذف الفعل (اشتريت) لعلم المخاطب بموقف الخطاب وعدم جهله به ومعرفته المسبقة بسياق الحديث.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾⁽¹⁾، فقد تم حذف الفعل (أنزل) والتقدير (قالوا أنزل خيراً) وذلك لوجود دليل يدل على الحذف، وفهم المخاطب ومعرفته بمعنى الجواب⁽²⁾.

ومثال النوع الآخر (فعل مظهر لا يحسن إضماره)، وذلك لجهل المخاطب وعدم علمه بالموقف "فإنه أن تنتهي إلى رجل لم يكن في ذكر ضرب ولم يخطر بباله، فتقول: زيداً. فلا بد له من أن تقول له: اضرب زيداً، وتقول له: قد ضربت زيداً"⁽³⁾، فلكي تحدث عملية التفاعل والتواصل بين المتكلم والمخاطب، أوجب سببويه بقاء الفعل وعدم حذفه في هذا المثال؛ لجهل المخاطب بسياق الكلام والمقام ولكي تحدث العملية التداولية كان لا بد للمخاطب أن يكون عالماً لا جاهلاً بسياق الكلام والمقام.

ب - ابن جني:

أما ابن جني (ت: 392هـ) فنجده قد خصص أبواباً بين فيها مواضع الحذف، والتقديم والتأخير، والزيادة والحمل على المعنى، وغيرها من الأبواب التي أشار فيها إشارة واضحة إلى التداولية حيث درس استعمال الجمل والعبارات اللغوية كما نفهمها ونقصد بها وحسب سياقها؛ وذلك لوجود علاقة قوية بين التداولية وبين كل من السياق والدلالة والحوار.

لذلك بين ابن جني أن الحذف عند العرب يكون في "الجملة، والمفرد، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه..."⁽⁴⁾.

فالمتكلم إذا قصد وأراد التوضيح والإبانة في كلامه فإنه يلجأ إلى ذكر التمييز، وإذا أراد الإلغاز والإبهام فإنه يلجأ إلى حذف التمييز، وهذا كله يرجع إلى غرض المتكلم ومقصده، كما بين ذلك ابن جني في خصائصه بقوله: "وذلك قولك: عندي عشرون، واشتريت ثلاثين، وملكت خمسة وأربعين- فإن لم يعلم المراد لزم التمييز إذا قصد المتكلم الإبانة. فإن لم يرد ذلك وأراد الإلغاز وحذف جانب البيان لم يوجب على نفسه ذكر التمييز. وهذا إما يصلحه ويفسده غرض المتكلم..."⁽⁵⁾.

ولما كان للحذف أسباب تقتضي الحذف، فإن للتقديم والتأخير أسباب وعوامل كثيرة كذلك بحسب ما يقتضيه السياق والمقام وغيره؛ لذا نجد أن القرآن الكريم قد بين لنا أمثلة ذكر فيها مواضع التقديم والتأخير نذكر منها على سبيل التوضيح ما يلي: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾⁽⁶⁾ بحسب سياق الكلام وما يقتضيه

(1) النحل: 30.

(2) يُنظر، في اللسانيات التداولية/ 224.

(3) الكتاب، ج 1/ 296، 297.

(4) الخصائص، ج 2/ 360.

(5) المصدر السابق/ 378.

(6) الداريات: 56.

المقام تدرّجت الكلمات حسب القدم والأوليّة في الوجود، فالجنّ في خلقته موجود قبل الإنس⁽¹⁾، بدليل قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾⁽²⁾، فالترتيب جاء حسب الأسبقية في الخلق، بناءً على ما فهمناه من سياق الآية الكريمة .

ونحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾⁽³⁾ لأنّ السنّة وهي النعاس تسبق النوم فبدأً بالسنّة ثمّ النوم⁽⁴⁾. فقدم ما حقه التّقديم، وأخر ما حقه التّأخير.

وكما في قوله جلّ شأنه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾⁽⁵⁾، فلو أحرّ قوله: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ لما فهمنا أنّ هذا الرجل المؤمن منهم، ولتّم الفهم على أنّه يكتّم إيمانه خوفاً وخشيةً منهم، لذلك تمّ تقديم ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ حتّى لا يفهم المعنى خاطئاً ويلتبس على المخاطب فهم المقصود⁽⁶⁾.

إنّ علم النّحو العربيّ له دورٌ كبيرٌ في مجال التّحليل التّداوليّ، إلى جانب اهتمامه بتنظيم سياق التّركيب الدّاخلّي للنّص، حيث تترايط وتتأزر عناصره التّركيبية بعضها ببعض، وفهما وتحليلها مرتبط بما يحيط بها من ملابسات عامّة وقرائن خارجيّة وعناصر سياقيّة⁽⁷⁾.

اعتماداً على ما سبق، يتّضح أنّ:

- التّداوليّة لها علاقةٌ وطيدةٌ بعلم (النّحو العربيّ)؛ وذلك لأنّ علم التّراكيب لا يهتمّ بدراسة البنى السّطحيّة الظّاهرة فقط، وإنّما يهتمّ بالبنى العميقة الخفية داخل التّراكيب، فعلماء العربيّة المتقدّمين لم يدرسوا تلك التّراكيب مجردةً ومنعزلةً وبعيدةً عن قصد المتكلّم، وعلم المخاطب، وسياق الكلام، وزمان ومكان التّلفّظ، وغيرها من العناصر التّداوليّة، بل كانت كلّ التّراكيب اللّغويّة لها معنى ومقصد.

- كما أوضح علماء النّحو ما لفائدة الكلام من دلالة ومعنى، تساعد في ترابط العمليّة التّداوليّة التّواصلية بين المتكلّم والمخاطب، بخلاف ما ليس له فائدة فإنّه ليس له معنى ولا دلالة، ولا تحصل من خلاله فائدة تواصلية لدى كلّ منهما.

- وقد أكّد العلماء على أنّه لكي تحدث العمليّة التّواصلية، لا بدّ من وجود (خطابٍ شاملٍ ومكاملٍ) ذي فائدة يهدف إلى إيصال ما يريد المتكلّم إيصاله إلى المخاطب.

- كما بيّن العلماء أيضاً ما للحذف والذّكر والتّقديم والتّأخير من أهميّة لدى فهم المخاطب للعمليّة التّخاطبية ومعرفته بالقرائن المصاحبة، والأدلة التي يفهما من خلال سياق الكلام، فكلّ ذلك فيه استعمال حقيقيّ للغة وإشارات وقيمّ وعلامات تداوليّة.

(1) يُنظر، أسرار البيان في التّعبير القرآني/ 26.

(2) الحجر: 27.

(3) البقرة/ 253.

(4) أسرار البيان في التّعبير القرآني/ 26.

(5) غافر/ 28.

(6) يُنظر: بحوث منهجية في علوم القرآن/ 181.

(7) يُنظر: النظريّة التّداوليّة وأثرها في الدّراسات النّحويّة المعاصرة/ 25.

ثانياً- عند البلاغيين:

تطرق البلاغيون أمثال: عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ)، والسكاكي (ت: 626هـ)، والقزويني (ت: 739هـ)، والبايرتي (ت: 786هـ)، والثفتازاني (ت: 971هـ)، وغيرهم إلى فكرة التداوليّة، وإن كانت بغير هذا المصطلح، إلا أنها عُرِفَت عندهم بمصطلحاتٍ عدّة، كالسِّيَاق الذي عدّه البلاغيون أحد العناصر التي اعتمدوا عليها لإدراك قصد المتكلم وفهم مراده ومطابقة الكلام للمقام الذي قيل فيه، فعرفوا بلاغة الكلام بأنّها: "مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها"⁽¹⁾، فهذا العلم يدرس العلاقة بين تراكيب الكلام ومقتضى الحال، مع بيان حال المرسل والمتلقّي والعلاقة الاجتماعيّة القائمة بينهما ورصد ظروف الخطاب، ومقاماته المختلفة، فكلُّ هذه العناصر يهتمُّ بها الدرس البلاغي كما تهتمُّ بها التداوليّة، فهذان العلمان يشتركان ويختلفان ويؤكدان على الارتباط بين دراسة اللّغة واستعمالها في سياقها التداولي، للوصول إلى قوّتها الإنجازيّة (القصدية) كأداةٍ حاجيّةٍ للتأثير على المتلقّي⁽²⁾.

ولقد كان لعلماء البلاغة بعداً تداولياً اعتمدت فيه دراستهم على دراسة المعنى الظاهر والمعنى الخفي، وفيما يلي بيان آراء بعض منهم:

أ- الجرجاني:

نجد أنّ الشّيخ عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) قد تحدّث عن (المعنى ومعنى المعنى) بقوله: "تعني (بالمعنى) المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، و(بمعنى المعنى) أنّ تعقل من اللفظ معنى، ثمّ يُفرض بك ذلك المعنى إلى معنى آخر..."⁽³⁾.

فالجرجاني أراد أنّ دلالة اللفظ "ليس هو اللفظ المنطوق به، ولكن معنى اللفظ الذي دلّلت به على المعنى الثّاني..."⁽⁴⁾، فالشّيخ أشار إلى "أنّه يُفهم الغرض من اللفظ وحده أي: من معناه الأوّل المباشر، وقد يُفهم من دلالة المعنى الأوّل على معنى ثانٍ يكمن الغرض فيه"⁽⁵⁾.

ب- السكاكي:

نجد أنّ موضوع علم المعاني عند السكاكي (ت: 626هـ) "هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره..."⁽⁶⁾، بمعنى أنّ علماء البلاغة وغيرهم كان هدفهم الأساس مراعاة التراكيب الدّالة المفيدة، والتي لها دلالات مباشرة (حرفيّة) أو غير مباشرة (ضمنيّة) تُفهم من خلال سياق الكلام، بحيث تكون أداة للتواصل الفعّال بين المرسل والمتلقّي⁽⁷⁾، "فالبلاغة صفةٌ راجعةٌ إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التّركيب..."⁽⁸⁾ فالسكاكي بيّن كذلك دور المقام في إيضاح المعنى بقوله: إنّه "لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشّكر يباين مقام التّكياة، ومقام التّهنة يباين مقام التّعزية ومقام المدح يباين مقام الذّم..."⁽⁹⁾.

(1) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني/ 20.

(2) يُنظر: النظريّة التداوليّة وأثرها في الدّراسات النّحويّة المعاصرة/ 35.

(3) دلائل الإعجاز/ 263.

(4) المصدر السّابق.

(5) شرح دلائل الإعجاز، محمّد شادي، الهامش 2/ 350.

(6) مفتاح العلوم، السكاكي/ 161.

(7) يُنظر: التداوليّة عند العلماء العرب/ 51.

(8) الإيضاح في علوم البلاغة/ 20.

(9) مفتاح العلوم/ 168.

ومن المعروف أيضاً أنّ للخبر عند علماء البلاغة أغراضاً منها لفائدة الخبر، ومنها ما كان للزوم الفائدة وكل من تلك الأغراض قد تخرج عن مقتضاها الظاهر المراد منه إفادة المتلقي إلى أغراضٍ بلاغيةٍ أخرى يكشف عنها السياق والقرائن والأحوال المصاحبة للتلفظ، أخذاً في الاعتبار حالة المتلقي والمقام الذي قيل فيه المقال⁽¹⁾، "فالكلام يُفيد بأصل وضعه معنىً تطلق عليه المعنى الحقيقي أو الأصلي، ولكنه قد يخرج أحياناً من المعنى الذي وضع له أصلاً، ليؤدّي إلينا معنىً جديداً يفهم من السياق وتُرشد إليه الحال التي قيل فيها"⁽²⁾، وكل ذلك يعتمد على حالة المتكلم والمعنى الذي يريد تصويره وإيصاله للمتلقي، ومن هنا تبرز العلاقة بين التداولية وعلم المعاني .

ولعلنا نذكر بعض الشواهد أو الأمثلة التي يخرج فيها الخبر عن غرضه الأصليين ومن هذه الأغراض ما يلي:⁽³⁾

- **إظهار الضعف:** نحو قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾⁽⁴⁾.
نلاحظ أنّ الغرض في الآية الكريمة "ليس للفائدة أو لزوم الفائدة، وإنما إظهار ضعف سيدنا زكرياء-عليه السلام- فعظامه ضعفت، ورأسه اشتعل دليلاً على عجزه وكبر سنّه"⁽⁵⁾.
إنّ معرفة الظروف الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية بين المتكلم والمخاطب، ومعرفة المقام والسيّاق هو الذي يساعدنا على فهم المعنى المراد والمقصود.

- **الاسترحام والاستعطاف:** نحو قول المتنبي وهو في محبسه مستعظفاً السلطان:

دَعْوَتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا ءِ وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ
دَعْوَتُكَ لَمَّا بَرَانِي السَّبَاءُ وَأَوْهَنَ رَجُلِي ثَقْلَ الْحَدِيدِ⁽⁶⁾

فالشاعر في هذه الأبيات لم يهدف إلى إفادتنا بحاله البائس اليائس، بل كان الغرض البلاغي من إخباره هو الاسترحام والاستعطاف، لعلّ السلطان يرقّ لحاله ويطلق سراحه، وكلّ هذا يفهم من خلال السيّاق والقرائن المحيطة لمعرفة قصد المتكلم ونواياه.

(1) يُنظر: النظريّة التداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة/ 41.

(2) يُنظر: علم المعاني، عبد العزيز عتيق/40.

(3) يُنظر: المصدر السابق/64، 65، 66.

(4) مريم: 4.

(5) أغراض الخبر www.tarbikafa.com

(6) ديوان المتنبي/54.

وقول أبي العتاهية:-

وَمَالِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي، وَعَفْوُكَ، إِنَّ عَفْوَتَ وَحُسْنَ ظَنِّي
يُظَنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ، إِنَّ لَمْ تَعْفُ عَنِّي (1)

عند النظر إلى قول أبي العتاهية نجده قد خَرَجَ به عن غرضه الأصلي (الإخبار) إلى معنى آخر هو (طلب العفو والمغفرة من الله - سبحانه وتعالى - بحسب سياق الكلام).

• **المدح:** نحو قول المتنبي مادحاً سيف الدولة:

أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ
إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلٌ (2)

في البيتين يخبرنا المتنبي أنَّ سيف الدولة كالبحر في عطائه وجوده، فمهما حاول هؤلاء الملوك أن يحذوا حذوه في كرمه وعطائه فلن يستطيعوا (3)، فخرَجَ الشاعر في هذين البيتين عن غرضه الأصلي (الإخبار) إلى معنى آخر وهو (المدح) كما فهم ذلك من السياق.

• **الفخر:** نحو قول جرير:

إِذَا غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبَتْ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا (4).

لذلك نجد من خلال الأمثلة السابقة أنَّ المتكلم لا يقصد منها فائدة الخبر ولا لازم الفائدة، وإنما قصد إبلاغ المخاطب بأغراض أخرى مختلفة، كالضعف، والاسترحام، والمدح، والفخر وغيرها، فهتمت من السياق والقرائن المحيطة بالتركيب اللغوي (5).

فالخبر إذن يهتم بما تهتم به التداولية من حيث مراعاة قصد المتكلم ونواياه، وفهم المعنى المراد، ومن خلال السياق والمقام، فكل تلك العناصر اعتمد عليها البلاغيون لإدراك المعنى المقصود، فالتركيب اللغوي المجرد لا يكفي وحده لفهم المعنى.

أمَّا عن الشيق البلاغي الآخر (الإنشاء)، وهو مالا يحتمل صدقاً أو كذباً، والذي بدوره ينقسم إلى قسمين: (إنشاء طلبی وغير طلبی)، ونخص بالذكر والتوضيح (الإنشاء الطلبی). ويمكن تقسيم الإنشاء الطلبی إلى أنواع كثيرة نذكر منها ما يلي: الأمر، والتمني، والنهي، والاستفهام والنداء (6).

(1) ديوان أبو العتاهية/ 425.

(2) ديوان المتنبي/ 376.

(3) يُنظر: شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، ج 3 / 236.

(4) ديوان جرير/ 64.

(5) يُنظر: علم المعاني/ 66، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة/ 40.

(6) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة / 108 وما بعدها.

إنّ هذه الأقسام الخمسة من الإنشاء الطلبي التي ذكرها البلاغيون قد تخرج عن معناها السطحي إلى معنى آخر ضمني، يقصده المتكلم ويفهمه المخاطب من خلال سياق الكلام. وفيما يلي بيان لكلٍ منها:

1- الأمر: "وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء"⁽¹⁾، فالمتكلم عندما يطلب من المخاطب القيام بأمر ما فإنما يأمره باعتباره أعلى مرتبةً منه لذلك "يقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممّن يخاطبه أو يوجّه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا"⁽²⁾.

ولكن قد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي الظاهر إلى معنى خفي يفهم من خلال السياق وقرائن الأحوال، ومن المعاني الضمنية التي يحتملها لفظ الأمر:⁽³⁾

• **الدعاء:** كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾⁽⁴⁾.

إنّ أفعال الأمر (آمنوا، فاغفر، وكفر، وتوقنا)، خرجت عن معناها الأصلي إلى معنى آخر وهو (الدعاء) كما فهمناه من سياق الآية الكريمة.

• **الالتماس:** نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴾⁽⁵⁾.

• **التمني:** كقول عنتره العبسي:

يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي وَعَمِي صَبَاحًا دَارَ عِبْلَةَ وَسَلِّمِي⁽⁶⁾

نادى الشاعر ديار محبوبته عبله كما هو ظاهر لنا في البيت، ولكنه أراد معنى آخر خرج به عن غرضه الأصلي (الدعاء) إلى (التمني) الذي يعدّ المعنى الثاني الذي قصده الشاعر.

• **التسوية:** نحو قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ أَوْ لَا تَصْبِرْ أَوْ لَا تَصْبِرْ أَوْ لَا تَصْبِرْ ﴾⁽⁷⁾.

ساوى سبحانه وتعالى بين الصبر وعدم الصبر، "وليس أقسى على منكوبٍ بمثل هذه التكبّة من أن يعلم أنّ الصبر وعدم الصبر سواء"⁽⁸⁾، وبذلك خرج الأمر هنا من معناه الحقيقي إلى معنى آخر غرضه (التسوية).

(1) شرح التلخيص، أكمل الدين البابرتي/ 361.

(2) علم المعاني/ 75.

(3) يُنظر: المصدر السابق / 77.

(4) آل عمران: 193.

(5) الشعراء: 42.

(6) ديوان عنتره العبسي/ 80.

(7) الطور: 14.

(8) في ظلال القرآن، سيّد قطب، مج 6/ 3396.

• التَّخْيِير: كقول بشار بن برد:

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَحَاكَ فَإِنَّهُ
مُفَارِقُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ(1).

في هذا البيت أسلوب أمر كما هو ظاهر لنا، ولكنَّ الشَّاعر خَرَجَ به عن غرضه الأصليِّ (الأمر) إلى (التَّخْيِير) الذي يُعَدُّ المعنى الثَّاني المقصود، فخيَّرَ الشَّاعر صديقه بين أن يتحمَّلَ العزلة ويبقى وحيدًا أو يتحمَّلَ أخطاء وتقصير الآخرين.

• الإِبَاحَة: كما في قوله تعالى في شأن الصَّائمين: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ (2).

خَرَجَ الأمر في الآية الكريمة عن معناه وغرضه الأصليِّ إلى غرضٍ تمثِّل في إباحة الأكل والشُّرب للصَّائمين متى تبيَّن ضياء الصُّباح من سواد اللَّيل (3).

• الإِهَانَة وَالتَّحْقِير: نحو قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (4).

خَرَجَ الأمر من معناه الأصليِّ إلى معنى آخر "جاء على سبيل الهُزؤ والتَّهكُّم بمن كان يتعزَّز ويتكرم على قومه" (5).

• التَّهْدِيد: نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَمَنَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ (6).

فمن الأمثلة السَّابقة، نجدُ أنَّ استعمالَ صيغة الأمر قد خَرَجَ عن مقتضاه الظَّاهر إلى صيغٍ أخرى كالذُّعاء والتَّمْيِي، والالتماس، والتَّخْيِير، والتَّهْدِيد وغيرها يقتضيهما السِّياق والقرائن المصاحبة له، أي خروجه عن المعنى السَّطحيِّ إلى المعنى العميق، وهذا لا يتمُّ إلَّا من خلال رؤيةٍ تداوليَّةٍ مراعيًا في ذلك حال المتكلِّم، والمخاطب، والسِّياق والظُّروف المحيطة (7).

2- التَّمْيِي: "وهو طلب حصول شيءٍ على سبيل المحبَّة" (8)، ويكون ذلك باستعمال لفظ لبيت "فاللفظ الذي يدلُّ

بأصل وضعه اللُّغويِّ على التَّمْيِي هو لبيت، وقد يتممُّ بالفاظ أخرى لغرض بلاغيِّ نحو: "هل" و"لعل"، و"لو" (9) كما في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ (10).

(1) ديوان بشار بن برد/ 326.

(2) البقرة: 186.

(3) يُنظر: تفسير ابن كثير، ج 1 / 391.

(4) الدُّخان: 46.

(5) الكشَّاف، الرَّمْضَرِي، ج 3 / 507.

(6) إبراهيم: 32.

(7) يُنظر: النَّظْرِيَّةُ التَّدَاوِلِيَّةُ وَأَثْرُهَا فِي الدِّرَاسَاتِ النَّحْوِيَّةِ المَعَاصِرَةِ / 51، 52.

(8) شرح المختصر لسعد الدين التُّفَازَانِي على تلخيص المفتاح، للخطيب القزويني، في الهامش، ج 1 / 200.

(9) علم المعاني/ 113.

(10) الأعراف: 52.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يُهَامُنُ ابْنُ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ، أَسْبَبَ أَسْمَوَاتٍ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ آلِهِ مُوْسَىٰ﴾ (1) وقوله تعالى: ﴿قُلُوْا اَنَّ لَنَا كِرَّةً فَنَكُوْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ (2).

فقد خرجت ألفاظ التَّمَنِّي السَّابِقَة عن مقتضاها الظَّاهر إلى معنى بلاغيّ آخر يُفهم من خلال السِّبَاق، في المثال الأوّل نجد أنّ الآية "حملت قوّة إنجازيّة مقاميّة غير استفهاميّة، أي غير القوّة الإنجازيّة المؤشِّر لها بأداة الاستفهام والتَّنْغيم فبالإضافة إلى الاستفهام تحملُ الجملة قوّة إنجازيّة هي تَمَنِّي وجود من يشفع لهم" (3)، أو كما إذا قلت: هل لي من شفيع في مقام لا يسع إمكان التَّصديق بوجود الشَّفيع، امتنع إجراء الاستفهام على أصله، وولِدَ بمعونة الأحوال معنى التَّمَنِّي" (4).

أمّا في المثال الثَّاني فقد حَمَلَ لفظ (لعلّ) معنى التَّمَنِّي، فخرَجَ عن غرضه الأصليّ الموضوع له إلى معنى التَّمَنِّي، "وقُريء فأطَّلِعُ بالنَّصب على جواب التَّرَجِّي تشبيهاً للتَّرَجِّي بالتَّمَنِّي" (5)، وبذلك حَمَلَ لفظ (لعلّ) معنيين: معنى ظاهر غير مراد ومعنى خفيّ هو المراد.

وفي المثال الثَّالث أيضًا خروج لفظ التَّمَنِّي (لو) من معناه الظَّاهر إلى معنى آخر تقديرًا بـ (ليت) وبحسب السِّبَاق لأنّ "لو في مثل هذا الموضوع في معنى التَّمَنِّي كأنّه قيل: فليت لنا كِرَّة وذلك لما بين معنى لو وليت من التَّلَاقِي في التَّقْدِير" (6).

3- النّهْي: وهو "طلبُ الكفّ عن الفعل استعلاءً، وله حرفٌ واحدٌ وهو لا الجازمة... (7) أو "الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام" (8)، ولكن قد يخرج النّهْي عن معناه الحقيقيّ للدلالة على معانٍ أخرى بحسب السِّبَاق وقرائن الأحوال ومن هذه المعاني ما يلي: (9).

- **الدُّعَاء:** نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (10).
- خَرَجَ النّهْي في هذه الآيات من معناه الأصليّ إلى معنى آخر متميلاً في الدُّعَاء والسُّوَال.
- **الالتماس:** نحو قوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى: ﴿يَبْنُوْهُمْ لَا تَأْخُذْ بِخَبِيْثَةٍ وَلَا يَرْأْسِي﴾ (11).
- **التَّوْبِيخ:** نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُوْنُوْا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ (12).

(1) غافر: 36.

(2) الشُّعراء: 102.

(3) النُّظْرِيَّة النَّدَاوَلِيَّة في الدِّرَاسَات النَّحْوِيَّة المعاصرة / 46.

(4) مفتاح العلوم / 304.

(5) الكشَّاف، الرَّمْخَسَرِي، ج 3 / 428.

(6) المصدر نفسه / 119.

(7) شرح المختصر، في الهامش ج 1 / 221.

(8) علم المعاني / 83.

(9) يُنظَر: علم المعاني / 84 وما بعدها.

(10) البقرة: 285.

(11) طه: 92.

(12) الحجرات: 11.

- نهى سبحانه وتعالى المؤمنين من أن يسخر قومٍ من قومٍ سواهم أكانوا رجالاً أم نساءً⁽¹⁾، ولكنَّ هذا النَّهْيُ خَرَجَ من معناه الأصليِّ إلى معنىٍ آخر غرضه التَّوْبِيخُ والتَّقْرِيعُ كما فهمنا من سياق الآية الكريمة.
- التَّيْنِيسُ: نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾⁽²⁾.

4- الاستفهام: وهو "طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصَّة. وأدوات الاستفهام كثيرة منها: الهمزة وهل"⁽³⁾.

وكذلك قد يخرجُ الاستفهام عن غرضه الأصليِّ أو معناه الحقيقيِّ إلى معانٍ أخرى على سبيل المجاز تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال نذكر بعضاً منها:⁽⁴⁾

- النَّفْيُ: نحو قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾⁽⁵⁾، حيث تَمَّ خروج الاستفهام عن معناه الحقيقيِّ إلى معنى آخر غرضه نفي خروجهم و إنقاذهم من النَّار.
- التَّعْجُبُ: كقوله تعالى: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ﴾⁽⁶⁾، حيث تولَّد عن هذا الاستفهام معنى التَّعْجُبِ⁽⁷⁾، فَصَدَّ سَيِّدنا سليمان -عليه السَّلَام- لم يكن استنهاماً، وإنَّما أَرَادَ به معنىً آخر وهو التَّعْجُبُ من عدم رؤيته للهدود بحسب سياق الكلام.
- التَّقْرِيرُ: نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾⁽⁸⁾، وفيه خروج عن المعنى الأصليِّ المتمثِّل في الاستفهام إلى معنى آخر غرضه التَّقْرِيرُ والإثبات "فأفاد إثبات الشَّرح وإيجابه"⁽⁹⁾.

5- النِّداء: وهو "طلب الإقبال بحرفٍ نائبٍ مَنَابٍ أدعو لفظاً أو تقديرًا"⁽¹⁰⁾.

أو هو "طلب المنادئ بأحد حروف النِّداء الثَّمَانِيَّة... وحروف النِّداء الثَّمَانِيَّة هي: الهمزة و أي مقصورتين ممدودتين تقول: أزيد، أي زيد، أزيد، أي زيد، ويا، وأيا، وهيا، ووا"⁽¹¹⁾.

فالنِّداء قد يخرج عن معناه الأصليِّ الحقيقيِّ من نداء القريب أو البعيد إلى معانٍ أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال⁽¹²⁾. منها:

- (1) يُنظر: في ظلال القرآن، مج6/ 3344.
- (2) التَّوْبَةُ: 66.
- (3) علم المعاني / 88.
- (4) المصدر السَّابِقُ / 95.
- (5) الزُّمَرُ: 18.
- (6) النَّمْلُ: 20.
- (7) يُنظر: شرح التَّلْخِيسِ / 356.
- (8) الشَّرح: 1.
- (9) الكشَّاف، ج4/ 266.
- (10) شرح المختصر على تلخيص المفتاح، ج1/ 224.
- (11) الأساليب الإنشائيَّة في النَّحو العربيِّ، عبد السَّلَام هارون / 136.
- (12) يُنظر: علم المعاني / 118.

• الإغراء: كقول أبي الطَّيِّبِ المِنتَبِيِّ مخاطبًا سيف الدولة:

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ
أَعْيِدُهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ⁽¹⁾.

في هذا البيت أسلوب نداء، نادى فيه الشاعر سيف الدولة مخاطبًا إيَّاه بقوله: "أنت أعدل النَّاسِ إِلَّا إذا عاملتني فإنَّ عدلك لا يشملني، وفيك خصامي وأنت الخصم والحكم..."⁽²⁾، حيث خَرَجَ الشَّاعِرُ مِنَ النِّدَاءِ إِلَى غَرَضِ بِلَاغِيٍّ آخِرٍ وَهُوَ (العتاب) فهمناه من سياق الكلام، فَخَرَجَ الكَلَامُ مِنَ المَعْنَى الحَرْفِيَّةِ إِلَى المَعْنَى الصِّمْنِيَّةِ تَمَثُّلًا فِي اللُّومِ وَالعِتَابِ.

• التَّحْسُرُ: كقول ابن الرُّومِي:

يَا أَبَا القَاسِمِ الذِّي كُنْتُ أَرْجُو هُ لِدَهْرِي: قَطَعْتَ مَثَنَ الرَّجَاءِ!⁽³⁾

فالشَّاعِرُ هُنَا لَمْ يُرِدْ نِدَاءَ صَدِيقِهِ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بَيَانِ تَحْسُرِهِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ تَأَمَّلَ فِيهِ إِعَانَتَهُ عَلَى مِصَاعِبِ الحَيَاةِ فَخَرَجَ قَوْلُهُ مِنَ التَّمَيِّيِّ إِلَى التَّحْسُرِ، وَمِنَ المَعْنَى الأَصْلِيَّةِ إِلَى المَعْنَى المَقْصُودِ.

وقد يخرُجُ كذلك إِلَى التَّعْجُبِ، نَحْوَ قَوْلِكَ: يَا لِحِجَابِ الرِّبْعِ!، وَالنَّدْبَةِ نَحْوَ قَوْلِكَ: وَاكْبِدِي! وَيَا وَلِدَاهِ! وَالاسْتِغَاثَةَ نَحْوَ: يَا أَوْلِي القُوَّةِ لِلضُّعْفَاءِ⁽⁴⁾.
بمعنى "أَنَّ فِي كَلَامِ العَرَبِ جَمَلًا لِمَعَانٍ فِي الأَصْلِ ثُمَّ يَنْقَلِبُونَ إِلَى مَعَانٍ آخَرَ مَعَ تَجْرِيدِهَا عَنِ أَصْلِ مَعْنَاهَا"⁽⁵⁾.

عليه يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ النِّدَاءَ كغَيْرِهِ مِنَ الأَسَالِيْبِ الإِنْشَائِيَّةِ الطَّلِبِيَّةِ الأُخْرَى، قَدْ يَخْرُجُ عَنِ مَقْتَضَاهِ الظَّاهِرِ إِلَى مَعْنَى آخَرَ نَفْهَمُهُ مِنْ سِيَاقِ الكَلَامِ، لِذَلِكَ قَدْ يَسْتَعْمَلُ المُرْسِلُ أَدْوَاتِ نِدَاءِ القَرِيبِ لِنِدَاءِ البَعِيدِ أَوْ العَكْسِ، بِحَسَبِ العِلَاقَةِ المَتَبَادِلَةِ بَيْنَ المُرْسِلِ وَالمُتَلَقِّي، وَبِحَسَبِ غَرَضِ وَمَقْصِدِ المُرْسِلِ وَقِرَائِنِ الأَحْوَالِ المِصَاحِبَةِ لِلتَّلَقُّظِ، وَظُرُوفِ الخُطَابِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ، وَالدِّينِيَّةِ، وَالثَّقَافِيَّةِ⁽⁶⁾.

(1) ديوان المِنتَبِيِّ/332.

(2) شرح ديوان المِنتَبِيِّ/83.

(3) ديوان ابن الرُّومِي/65.

(4) يُنظَرُ: عِلْمُ المَعَانِي/118.

(5) شرح التَّلْخِيصِ/367.

(6) يُنظَرُ: النُّظْرِيَّةُ التَّدَاوِلِيَّةُ وَأَثَرُهَا فِي الدِّرَاسَاتِ النُّحُوِّيَّةِ المَعَاوِرَةِ/54.

صفوة القول:

- إنَّ البلاغيين كان لهم الأثر والدور البارز في بيان وتفسير العلاقة القائمة بين التداولية وعلم البلاغة، وبين المتكلم والمتلقي وما يحدث بينهما من اتصالات وتفاعلات تنشأ من فهم المتلقي لمبتغى ومراد المتكلم بواسطة عناصر تداولية عدة، ليخرج به من المعنى الأول المباشر إلى المعنى الثاني الذي يكمن الغرض من ورائه.
- كما كان لعلماء البلاغة أعراض أصلية قد تخرج عن مقتضاها الظاهر إلى معانٍ آخر نفهمها من سياق الكلام وأيضاً معرفة المتلقي لمجموعة من القرائن الداخلية والخارجية وفهم الخطاب وملابساته للوصول إلى مقصد المتكلم ومراده.
- إنَّ إيراد أسلوب (الخبر والإنشاء) خاصة في هذه الدراسة والتَّمثيل لهما يُبيِّن لنا مدى الترابط والتآزر بين علم المعاني والتداولية، فكما يهدف علم المعاني إلى بيان المعنى الأصلي الظاهر من المعنى الفرعي الخفي فكذلك تهدف التداولية بمفهومها الحديث.

ثالثاً - عند الأصوليين .

لقد اهتمَّ الأصوليون باللُّغة اهتماماً كبيراً، حيث إنَّه من المعلوم أنَّ اللُّغة تُعدُّ أداةً فعَّالةً في إيصالِ مرادِ المتكلِّمِ و غرضه للمخاطَبِ وللتأثيرِ فيه، فكُلَّمَا زَادَ المخزون اللُّغويُّ للمخاطَبِ زَادَ تفاعله وفهمه وتواصله مع المتكلِّمِ، وهذا ما سعى إليه علماء الإسلام وتفقَّنوا له، ليزدادوا إفادةً وتأثيراً وإبلاغاً وإقناعاً⁽¹⁾.

ولعلَّ اعتناء علماء الأصول بفهم القرآن الكريم والسُّنة النَّبويَّة واستنباط الأحكام الشرعيَّة كان هدفهم الأساس لكنْ هذا لا يعني أنَّهم تغافلوا عن الجانب اللُّغويِّ، بل على العكس تماماً، فقد تعاملوا مع النَّصِّ القرآنيِّ على أنَّه ليس جملاً مفردةً مجردةً من مقاماتٍ إنجازها بل إنَّها "خطابٌ" متكامل متماسك الوحدات، بعبارة أخرى ترابط بين الجملِ والعباراتِ الصُّوريَّةِ وخصائصها التَّداوليَّةِ، أو بين بُنيته السُّطحيَّةِ وبُنيته العميقة⁽²⁾.

ففي قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يُأْتِرُهُمْ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ ﴾⁽³⁾ فيه مقاصد كلاميَّة، وحجج وبراهين دامغة، حيث "كشَفَ سيِّدنا إبراهيم - عليه السَّلام - في الآيتين السَّابقتين عن عدد من المقاصد الكلاميَّة، مثل إنكار كسره للأصنام، وتنبية قومه على عجز الأصنام والتَّعريض بسفاهتهم وتبكيتهم ودعوتهم إلى عبادة العليِّ القدير لتحقيق أغراضه النَّحاطبيَّة..."⁽⁴⁾، فلقد قدَّم سيِّدنا إبراهيم - عليه السَّلام - شرحاً وافياً عبَّر فيه عن مقاصده لإبلاغ غرضه، وهذا ما يُعرف عندنا في العصر الحديث بالمجال اللِّسانيِّ التَّداوليِّ لأنَّ "قصدَ إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن أن يُنسب الفعل الصَّادر عنه إلى الصَّنم، وإنما قصدَ تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوبٍ تعريضيِّ يُبلِّغ فيه غرضه من إلزامهم الحجَّة وتبكيتهم"⁽⁵⁾.

وقد اشتغل بظاهرة التَّداوليَّة كثيرٌ من علماء الأصول أمثال: سيف الدِّين الأمدي (ت: 631هـ) وشهاب الدِّين القرافي (ت: 684هـ)، ورضي الدِّين الإسترابادي (ت: 686هـ)، وجمال الدِّين الأسنوي (ت: 772هـ)، وأبو إسحاق الشَّاطبي (ت: 790هـ) وغيرهم، حيث إنَّهم وضعوا شروطاً معيَّنة يُحتمُّ على كلِّ أصوليِّ يريد استخراج الأحكام من القرآن الكريم "ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه، وألا يغفل عن السُّنة في تفسير القرآن، وأن يعرف أسباب نزول الآيات القرآنيَّة، وأن يعرف النُّظم الاجتماعيَّة عند العرب، فهذه العناصر الأربعة يمكن اختصارها في كلمة "المقام"⁽⁶⁾.

بناءً على ذلك يتبيَّن لنا وجود رابطة وعلاقة قويَّة بين التَّداوليَّة وعلم الأصول، فقد عني الأصوليون بدراسة الألفاظ المطلقة والمقيَّدة، ودراسة دلالة المنطوق والمفهوم، من خلال فهمهم لَلْفِظِ ومعرفتهم بمقاصد المتكلِّمين ومرادهم، وفيما يلي بيان لكلِّ منها:

(1) يُنظر: تجديد المنهج في تقويم الثَّراث، طه عبدالرحمن/ 245.

(2) يُنظر: اللِّسانيَّات الوظيفيَّة، أحمد المتوكِّل/ 40 .

(3) الأنبياء: 62، 63.

(4) تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، محمَّد يونس علي/ 86.

(5) الكشَّاف، الرَّمخشري/ 682.

(6) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها، تَمَّام حسَّان/ 348.

أ- الألفاظ المطلقة والمقيّدة:

تطرّق الأصوليون والبلاغيون لظاهرة الإحالة فدرسوا نوع العلاقة الممكن قيامها بين (اللفظ) وما يحيل عليه، وقد قسموا العبارات اللغوية من جانب أفراد المحال عليه وتعدّده إلى عبارات عامّة وعبارات خاصّة، (فالعبارات العامّة): هي كلُّ عبارة تُحيل على مجموعةٍ من الأشخاص أو الأشياء، وتندرج تحتها الألفاظ المفيدة للتعدّد الإحالي كالأسماء الموصولة (من، ما)، وأسماء الاستفهام (متى، أين)، والأسماء الدالّة على الجنس (إنسان)، والأسوار الكليّة (كل، جميع)، (والعبارات الخاصّة): كلُّ عبارة تُحيل على شخصٍ أو شيءٍ معيّن، كقولنا زيدٌ وعليٌّ وقلمٌ، ومن جانب تعيّن المحال عليه وعدم تعيّنه إلى عبارات مطلقة ومقيّدة.⁽¹⁾

لذا يمكن التّوصّل إلى المعيار المعتمد عند الأصوليين والبلاغيين في باب الإطلاق والتّقييد بأنّه (معيارٌ تداوليٌّ)، فالعبارة (المقيّدة) تحيل على شخص أو شيءٍ (يعرفه المخاطب)، بخلاف العبارة (المطلقة) فإنّها تُحيل على شخص أو شيءٍ لا يدخل في حيّز ما يستطيع المخاطب التّعرّف عليه⁽²⁾، أي أنّ اللفظ المطلق هو "ما يدلُّ على واحدٍ غير معيّن"⁽³⁾، وقد حدّد الأمدئي (ت: 631هـ) اللفظ المطلق بأنّه "اللفظ الدالّ على مدلولٍ شائعٍ في جنسه"⁽⁴⁾، أي دون تحديده أو تقييده للفظٍ معيّن، أمّا المقيّد فهو "ما دلّ لا على شائعٍ في جنسه"⁽⁵⁾ لذا فالمنهج التّداوليّ كان جليّاً في كثيرٍ من المواضع التي تناولوها، "حيث قدّموا وقفات أمام آيات قرآنيّة، عكست تصوراتهم اللغويّة، والتي ما إنّ جمعت مع أفكار البلاغيين واللّغويين وغيرهم، تقترّب بوضوح من رؤية اللسانيّات التّداوليّة الحديثة إلى اللّغة بعدها نشاطاً تداوليّاً"⁽⁶⁾.

إنّ العبارات (المطلقة والمقيّدة) من أهمّ فروع علم أصول الفقه، وتعدّ من الألفاظ الخاصّة، وهي متوقّفة على إفادة (المعنى)، لمعرفة الحكم الشرعيّ، لذلك فرّق علماء الأصول بين العبارتين باعتبار (المطلقة) دالّة على معانٍ مطلقة، (والمقيّدة) دالّة على معانٍ خادمة، كما بيّن ذلك الشّاطبيّ (ت: 790هـ) الذي عدّ ألفاظ اللّغة العربيّة دالّة على معنيين:

أولهما: (العبارات المطلقة)، التي تدلُّ على معانٍ مطلقة (دلالة أصليّة).

ثانيها: (العبارات المقيّدة): والتي تدلُّ على معانٍ خادمة (دلالة تابعة).

(1) يُنظر، اللسانيّات الوظيفيّة / 44.

(2) يُنظر، المصدر السّابق / 40

(3) كتاب التّعريفات، الجرجانيّ / 233

(4) الإحكام في أصول الأحكام، ج 3 / 5.

(5) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، الشّوكاني / 541.

(6) في اللسانيّات التّداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربيّ القديم / 144، 145.

(فالعبارات المطلقة) لا تختصُّ بلُغةٍ معيَّنة، وإنَّما هي عامَّةٌ تشترك فيها جميع الألسنة، أمَّا (المقيَّدة) فتختصُّ بالألسنة العربيَّة دون غيرها، عليه فإنَّ الإخبار يحتاج إلى معاني خادمة بحسب المُخبر، والمُخبر عنه، والمُخبر به والحال والمساق، والأسلوب، والإيضاح والإخفاء، والإيجاز وغير ذلك.

لذا فالِدلالة الأصلية (المطلقة) هي التي تُفهم من خلال القواعد اللُغويَّة، والمفردات المعجميَّة والتي تشترك فيها كلُّ لغات العالم؛ لأنَّ كلَّ لغةٍ لها ضوابطها وقواعدها التي تساعدُ المتكلِّمين بها من استخدامها الاستخدام الأمثل. أمَّا الدلالة الخادمة (المقيَّدة) فهي المختصَّة بلُغة العرب التي تتدخَّل فيها أمور أخرى خارج اللُغة، يُفترض للمخاطب معرفتها وإدراكها، ليُعيَّ مقصد المتكلِّم ومراده، وقد مثلَّ الشَّاطبيُّ (للدلالة المقيَّدة) بـ (قام زيد) لعنايته بالخبر، أي إخبارنا (بقيام زيد)، أمَّا عن العناية بالمُخبر عنه فمثلَّ له بـ (زيد قام)، وفي جواب السؤال: (إنَّ زيدا قام) وفي جواب من أنكر قيامه: (والله إنَّ زيدا قام)، فالمُخبر عنه يأتي بحسب مواطن التَّعظيم والتَّحقير، والكناية عنه والتَّصريح به، ومقتضى الحال وغيرها من الأمور التي تُعدُّ خادمة لذلك الإخبار⁽¹⁾.

ففي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْظُؤُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْمَأَسَا ﴾⁽²⁾ وَرَدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِطْلَاقُ كَفَّارَةِ تَحْرِيرِ الرَّقَبَةِ سِوَاءَ كَانَتْ مُؤْمِنَةً أَمْ كَافِرَةً، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي كَفَّارَةِ الْقَتْلِ الْخَطَا ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾⁽³⁾ فَهِنَا وَرَدَ تَقْيِيدُ كَفَّارَةِ الْقَتْلِ الْخَطَا بِالرَّقَبَةِ الْمُؤْمِنَةِ، فَالْمَقْيَدُ هِنَا دَلٌّ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْمَقْيَدَةِ (المؤمنة) بخلاف المطلق الذي يشتمل على عتق الإنسان المملوك من جنس العبيد مؤمنهم وكافرهم على السواء، كما في قوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾⁽⁴⁾.

ومثال المقيِّد في كَفَّارَةِ الْقَتْلِ الْخَطَا قوله تعالى: ﴿ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾⁽⁵⁾، "حيث تمَّ تقييد الدية بالتسليم، والرقبة بالإيمان، والصيام بالتتابع"⁽⁶⁾، وبذلك يُعدُّ اللَّفْظُ الْمَقْيَدُ مِنَ "الالفاظ الدالة على مدلول معيَّن"⁽⁷⁾، بخلاف اللَّفْظُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي يُعَدُّ مِنَ الْاَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى مَدْلُولٍ غَيْرِ مَعْرُوفٍ وَغَيْرِ مَحْدَدٍ.

يَبْضَحُ لَنَا مِمَّا سَبَقَ أَنَّ عُلَمَاءَ الْأَصُولِ كَانُوا لَهُمْ دَوْرٌ وَاضِحٌ فِي دِرَاسَةِ مَقَاصِدِ الْخُطَابِ الشَّرْعِيِّ، دِرَاسَةً قَوَاعِدِيَّةً وَمَقْصِدِيَّةً، تَهْدَفُ إِلَى إِدْرَاكِ الْمَخَاطَبِ مَرَادِ الْمَخَاطَبِ، مُسْتَعِينًا فِي ذَلِكَ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْعَوَامِلِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي تُعِينُهُ عَلَى إِحْدَاثِ التَّفَاعُلِ وَالتَّوَاصُلِ النَّاجِحِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَخَاطَبِ، وَهَذَا يُعَدُّ مِنْ صَمِيمِ الْعَمَلِيَّةِ التَّدَاوُلِيَّةِ بِمَنْظُورِهَا الْحَدِيثِ.

(1) يُنْظَرُ: الْمَوَافَقَاتُ فِي أَصُولِ الشَّرِيعَةِ، الشَّاطِبِيُّ، ج 2 / 66، 67، وَالْمَعْنَى وَظَلَالِ الْمَعْنَى، مُحَمَّدٌ يُونُسُ عَلِيٌّ / 142، الْمَطْلُوقُ وَالْمَقْيَدُ فِي الشَّرِيعَةِ، مَفْهُومَهَا، وَحُكْمَهَا، وَالْعِلَاقَةُ بَيْنَهُمَا، إِبْرَاهِيمُ السَّلْمِيُّ، www.alukah.net

(2) الْمَجَادَلَةُ: 3.

(3) النِّسَاءُ: 91.

(4) يُنْظَرُ، الْمَطْلُوقُ وَالْمَقْيَدُ فِي الشَّرِيعَةِ، مَفْهُومَهَا، وَحُكْمَهَا، وَالْعِلَاقَةُ بَيْنَهُمَا، www.alukah.net، وَمَبَاحِثُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ مَنَاعُ الْقَطَّانِ: 253.

(5) النِّسَاءُ: 91.

(6) نَظَرِيَّةُ الْمَقَاصِدِ بَيْنَ الْأَصُولِيِّينَ وَاللِّسَانِيِّينَ التَّدَاوُلِيَّةِ، فَطُومَةُ لِحْمَادِي / 96.

(7) الْإِحْكَامُ فِي أَصُولِ الْأَحْكَامِ، ج 3 / 5.

ب - دلالة المنطوق والمفهوم:

وبالحديث عن هذه الظاهرة، فقد اعتنى علماء العربية المتقدمين من نحاة، وبلاغيين، وأصوليين بالنداء الأولية عنايةً فائقةً، وذلك من خلال معرفتهم ودراساتهم لدلالاتي المنطوق والمفهوم.

فالمفهوم لغةً: من "فَهِمَ الشَّيْءَ بالكسر (فَهَمًا) و (فَهَامَةً) أي عِلْمَهُ. (تَفَهَّمَ) الكَلَامَ فَهَمَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ"⁽¹⁾.
أمَّا المنطوق لغةً: "ن ط ق - (الْمَنْطُوقُ) الكلامُ وقد (نَطَّقَ) يُنطِقُ بالكسر (نُطْقًا) بالضَّمِّ و(مَنْطُوقًا). و(نَاطِقُهُ) و (اسْتَنْطَقَهُ) أي كَلَّمَهُ"⁽²⁾.

والمنطوق اصطلاحًا: "هو ما دلَّ اللفظ عليه في محل النطق، والمفهوم ما دلَّ عليه لا في محل النطق"⁽³⁾.
أمَّا المفهوم اصطلاحًا فهو: "ما دلَّ عليه اللفظ لا في محل النطق، أو هو ما دلَّ عليه اللفظ في محل السكوت"⁽⁴⁾، فدلالة الألفاظ إمَّا أن تكون محلَّ النطق أو تكون محلَّ الفهم، عليه "فاللفظ إذا دلَّ على حالٍ منطوقٍ يُقال دلالاته في محل النطق، وإذا دلَّت على حالٍ مسكوتٍ يُقال دلالاته ليست في محل النطق"⁽⁵⁾.

حيث فرَّق العلماء بين الدالَّتين، فدلالة المنطوق تُعبر عن كلِّ ملفوظ يتلفَّظ به المتكلم وله دلالة ومعنى خاص يهدف إليه، يفهمها المخاطب من خلال عوامل عدَّة تساعد على فهم وإدراك مرامي المتكلم ومقاصده، منها السياق والمقام، وظروف الزمان والمكان، إلخ، ولتوضيح ذلك سيتمُّ ضرب بعض الأمثلة التي تبيِّن دلالاتي المنطوق والمفهوم نذكرُ منها ما يلي:

- في قوله تعالى: ﴿ وَسئِلِ الْقَرْيَةَ ﴾⁽⁶⁾، "أي أهلها"⁽⁷⁾ لأنَّ (أهلها): فيها تقديرٌ اقتضاه الكلام، ولأنَّ القرية لا تُسأل فهي ليست إنسان، وإنَّما المقصود والمراد (أسأل أهل القرية).
- ونحو قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾⁽⁸⁾. بمعنى " من قبل ذلك ومن بعده"⁽⁹⁾. حيث فهم ذلك من خلال سياق الكلام.
- وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ ﴾⁽¹⁰⁾ دلَّت الآية على تحريم التآفُّف بمنطوقها، ودلَّت بمفهومها على تحريم الضرب، بل هو أولى لأنَّه أشدُّ في الإيذاء"⁽¹¹⁾.

(1) الصَّحاح، الرَّازي، مادَّة: فَهَمٌ / 452.

(2) المصدر السَّابِق، مادَّة: نَطَّقَ / 586.

(3) زوائد الأصول على منهاج الوصول إلى علم الأصول، جمال الدِّين الأسنوي/216، 217.

(4) بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم/ 175.

(5) تيسير التَّحْريير على كتاب التَّحْريير، ابن هشام الدِّين الإسكندري، ج 1 / 91.

(6) يوسف: 86.

(7) الخصائص، ج 2 / 362.

(8) الرُّوم: 3.

(9) الخصائص، ج 2 / 363.

(10) الإسراء: 23.

(11) بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم / 175.

فمن حيث ظاهر النَّصِّ القرآنيّ يتبيّن لنا تحريم التَّأْفُفِ من الوالدين، أمّا من خلال فهمنا لسباق الآية وتعمّقنا في معناه، يتبيّن لنا الأمر المترتّب على التَّأْفُفِ من ضربٍ وشتمٍ، والابتعاد عن كلّ ما يسبّب لهما من الأذى النفسيّ والجسديّ ونحوه.

- وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾⁽¹⁾، "فمنطوق الآية تحريم أكل مال اليتيم ومفهومها تحريم إحراقه وإتلافه..."⁽²⁾، فمن وراء (المنطوق) يتّضح ويتجلّى لنا (المفهوم) أي المعنى المقصود بالكلام، وفهم غرض المتكلم في ضوء سياق الكلام، وفحوى الخطاب وقرائن الأحوال، وكلُّ تلك العناصر تدور في فلك التداوليّة الحديثة.
- وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾⁽³⁾ فيه إضمارٌ أوحذفٌ للفعل الذي يتعلّق به التّحريم وهو الوطء وتقدير الكلام: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ وطفء أمهاتكم، لوجود دليل اقتضاه الكلام ولقد فهمناه من خلال سياق الآية الكريمة⁽⁴⁾.

لقد اعتمد علماء الأصول على دلالاتي (المنطوق والمفهوم) في التّعرّف على المعاني، وفهم القرآن الكريم ومعرفة معانيه ودلالاته، وفهم غرض النَّصِّ القرآنيّ بواسطة مجموعة من القرائن الحاليّة والمقالبيّة، وكذلك فهم ما يتضمّنه النَّصُّ وما يقتضيه الكلام سياقياً، وفهم فحوى الخطاب والمعاني المضمرّة الخفيّة التي لا نلاحظها من المعنى الأوّليّ الظاهر، وهذا فيه إشارة واضحة للتداوليّة ودليل قويّ على ارتباط التداوليّة بعلم الأصول العربيّ.

(1) النّساء: 10.

(2) بحوث منهجيّة في علوم القرآن الكريم / 176.

(3) النّساء: 23.

(4) يُنظر: مباحث في علوم القرآن / 258، 259.

المبحث الثاني: التّداوليّة عند العلماء المحدثين.

أوّلاً: عند علماء الغرب.

ثانياً: عند علماء العربيّة.

أولاً- عند علماء الغرب.

ترجع نشأة النِّداولِيَّة عند الغرب إلى الفلاسفة التَّحليلِيَّين الأمريكيَّين، أمثال: (أوستين 1911Austinم، وتلميذه (سيرل Searle المولود 1932م)، (وجرايس Grice - 1913-1988م) باعتبار أوستين أوَّل من وضع نظريَّة الأعمال اللُّغويَّة، فكان الاهتمام باللُّغة واضحًا عند الفلاسفة الغربيَّين، حيث درسوا اللُّغة أثناء الاستعمال بحسب المقامات وأغراض المتكلِّمين وأحوال المخاطبين، وذلك للوصول إلى عمليَّة تواصلِيَّة تفاعليَّة بين أقطاب الخطاب وإحداث التَّأثير في كلِّ من المتكلِّم والمخاطب، وفيما يلي عرضٌ لأبرز آراء علماء الغرب في هذا المجال:

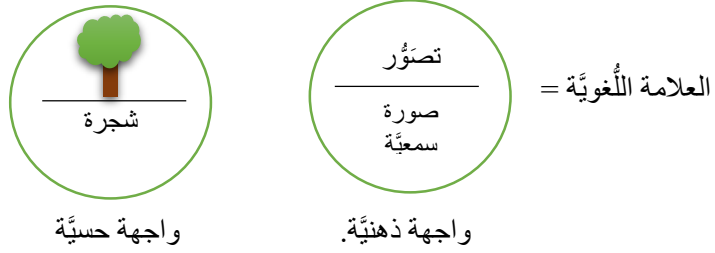
- **بيرس (1839-1914م)**، يُعدُّ عالمًا مختصًّا بالعمل السِّيميائيِّ (العلاميِّ)، برَزَ في عصره المذهب النِّداوليِّ، فقامَ بدورٍ واضحٍ في المقاربة النِّداوليَّة، حيث كَتَبَ مقالًا بعنوان (كيف نوضِّح تفكيرنا) بيَّن فيه أساس الفلسفة النِّداوليَّة، ورأى أنَّ السِّيرورة المكوَّنة من (الرَّمز، والأيقونة، والأمرأة) تُشكِّل عمليَّة انصهاريَّة، لا يمكن الانفراد بعنصرٍ واحدٍ منها دون العنصرين الآخرين، فيجب أن تعمل معًا كوحدة متكاملةٍ وعليه فقد ميَّز بيرس بين ثلاثة أنماطٍ من الأدلَّة: الرَّمز والأيقونة والأمرأة .
فالرَّمز عند بيرس يمتاز بعلاقة الاعتباطيَّة التي تربطه بموضوعه، من ذلك مثلًا أصوات لغةٍ ما، حيث يختلف اللفظ من العربيَّة عنه في الألمانيَّة والفرنسيَّة، مثل: كلب، chien، hund.
أمَّا الأيقونة فمثلها بالصَّوت المحاكي للطبيعة وبالرَّسم التَّصويري؛ للتعبير عن المعنى المراد.
وأمَّا بالنِّسبة للأمرأة، فبيَّنها بعلاقة العلة بالمعلول، من مثل: الدُّخان كدليلٍ على النَّار، والدُّموع كدليلٍ على الحزن أو الألم⁽¹⁾.

- **فريجة Frege (1848م-1925م)** قامَ هذا الفيلسوف الرِّياضيُّ بتطوير أعماله التي أدَّت إلى الفصل بين اللُّغة العلميَّة عن اللُّغة العاديَّة، باعتبار أنَّ اللُّغة العلميَّة لغةٌ صريحةٌ المعنى يتمُّ استخدامها في البرهنة الحسابيَّة، بينما اللُّغة العاديَّة تكون متعدِّدة المعاني باعتبارها متعدِّدة الألفاظ والمفردات التي بها تتمُّ العمليَّة التَّواصلِيَّة، فدراسة المعنى (علم الدلالة) كان واضحًا عند فريجة، ومن ثَمَّ النِّداوليَّة، لعلمه وفهمه بوجود الرِّابطة الدلاليَّة الموضوعيَّة بين الجانبين⁽²⁾.
- **دو سوسير de Saussure (1857-1913م)** رَبَطَ بين الدَّالِّ والمدلول، وجَعَلَ العلاقة اللُّغويَّة بينهما اعتباريَّة غير منطقيَّة، فالعلامة اللُّغويَّة حينما تشيع وتنتشر في المجتمع يصبح فرضًا على أفراد المجتمع استعمالها وتداولها بحكم العرف والاتِّفاق الضِّمنيِّ.

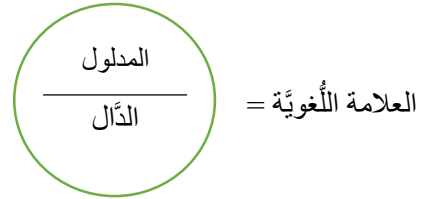
(1) يُنظر: الدَّرْس النِّداوليِّ في ضوء علم اللُّغة الحديث/ 7، ومدخل إلى اللِّسانيَّات النِّداوليَّة، محمَّد يحياتن/ 8، 9.

(2) يُنظر: النِّداوليَّة من أوستن إلى غوفمان/ 29، 30.

ويمكن توضيح العلاقة اللغوية التي قصدها دو سوسير في الرسم الآتي:



فالعلامة اللغوية عند ذي سوسير متكونة من دالٍ ومدلول، فعندما يتحد التصوّر بالشيء المقصود يتكوّن لدينا (المدلول)(المعنى)، وعند اتّحاد الصورة السمعية الذهنية بأصوات الكلمة المنطوقة، يتكوّن لدينا (الدال) (سلسلة الأصوات المكوّنة للعبارة)، وبالتالي تكون العلامة اللغوية عنده موضحة بالشكل على هذا النحو: (1)



ولذلك قامت نظرية سوسير على أنّها نظام من العلامات اللغوية، ترتبط وتتشابك عناصرها بعضها ببعض، فإذا فقدت عنصر من عناصرها فقدت قيمتها (2).

-رسل Russel- (1872م-1970م) جاء وواصل عمل فريجة، وقام بتطوير لغة رمزية صارمة تخلو من التباسات اللغة العادية، ويُعدُّ مثالا ممتازا للسياق الفلسفي والتاريخي الذي نضجت في كنفه النداولية (3).

- بلومفيلد السلوكي Bloomfield- (1887م-1994م) في كتابه (الكلام 1933)، "ذهب إلى أنّ الخطوة الأولى في دراسة (اللغة) أو (الحدث الكلامي) هي أنّ نعتبرها صورة من السلوك (الجسماني)، فكما يمكن فهم هذا السلوك من خلال ظروف تلابسه كذلك يمكن فهم (الحدث الكلامي)" (4).

فالمعنى عند بلومفيلد والذي يكون نتيجة حصول موقف معين بين المتكلم والمتلقي، وما يحدث بينهما من كلام، يعتمد على عنصرين أساسيين هما (المثير والاستجابة) (5).

(1) يُنظر: النداولية من أوستن إلى غوفمان / 20، ومبديء اللسانيات، أحمد فؤاد / 346، 347.

(2) يُنظر: مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، حسني خالد / 36.

(3) يُنظر: النداولية من أوستن إلى غوفمان / 32.

(4) يُنظر: مدخل إلى اللسانيات المعاصرة / 63.

(5) يُنظر: مبادئ اللسانيات / 350.

وقد أوضح بلومفيلد الحدث الكلامي في المثال التالي: "جاك وجيل سائران في الطريق - ترى جيل التفاحة على شجرة - وبما أنها جائعة تسأل جاك أن يحضرها لها - يتسلق جاك الشجرة ويعطيها التفاحة - تأكل جيل التفاحة. في هذا المثال جوع جيل ورؤيتها التفاحة يشكّلان المثير (م). وبدلاً من استجابتها المباشرة (س) يتسلق الشجرة والحصول على التفاحة بنفسها، عملت استجابة بديلة (س) في شكل منطوق معيّن، وهذا المنطوق قام بدور المثير البديل (م) لجاك مسبباً استجابة (س) تماثل ما كان سيفعله لو شعر هو نفسه بالجوع ورأى التفاحة"⁽¹⁾.

لذا يُعدُّ بلومفيلد أوّل من استخدم اللّغة (الحدث الكلامي)، وأخضعه لما يُعرف (بالمثير والاستجابة) بين المتكلّم والسّامع، فالمثيرات العمليّة تُؤدّي إلى استجابات لغويّة، وتلك الاستجابات قد تكون مثيرات لغويّة تُؤدّي إلى استجابات أخرى وهكذا⁽²⁾.

فالمحدّث اللّغويّ عند بلومفيلد يتأثّر ويستجيب لكلّ ما يسمعه أو يحسُّ به، فإنّه حينما يسمع عباراتٍ أو كلاماً ما أو يحسُّ بإحساسٍ ما، فإنّه ينتج عنه استجابة بحسب البيئته وبحسب الموقف وظروف تلابسه.

• أما فيتجنشتاين Wittgenstein - (1889م-1951م) فقد كان طالباً لرسّ، وكان شديد التأثير بأعماله حيث نشر سنة (1921) رسالة في المنطق والفلسفة مفادها أنّ الأقوال المنطقيّة لا تُحيل على الواقع فهي خالية من المعنى، ليُنْجِه اهتمامه بتحليل دلالة (اللّغة العاديّة)، مبتعداً عن تحليل البنية المنطقيّة للّغة العلميّة، وقد دَحَضَ النّظرة القائلة بفصل الفكر عن اللّغة، فهما غير منفصلين بل يبني أحدهما الآخر بشكلٍ متبادلٍ ويسعيان في تفاعلها لغاية واحدة، وهي (الغاية التّواصلية)⁽³⁾.

• ثمّ نذهبُ إلى صاحب النّظريّة السّيافيّة فيرت Firth - (1890م-1960م)، الذي انصبَّ اهتمامه على القول بأنّ الحدث الكلامي لا يمكن فهمه ومعرفة معناه إلّا بمراعاة الأنماط الحيائيّة للمتكلّم، وكذا الحياة اللّغويّة والثّقافيّة، والعاطفيّة، والاجتماعيّة، والسّياسيّة وغيرها، وإهمال هذه الأنماط أو السّياقات المحيطة بالحدث الكلامي يؤدّي إلى إهمال المعنى وتلاشيه⁽⁴⁾.

• رأى موريس Morris - (1903م-1979م) "أنّ توليد الدّلالة ووضع العلامات (أي التّواصل في الواقع) يمكن أن ينقسم إلى ثلاث علاقات بينيّة: العلاقات الدّلاليّة (علاقة العلامات بالأشياء) والعلاقة التّداوليّة (وهي علاقة العلامات بالمخاطبين أو "المؤوّلين") والعلاقة الإعرابيّة (وهي العلاقة القائمة بين العلامات ومستعملها"⁽⁵⁾.

(1) علم الدّلالة، أحمد مختار عمر / 160.

(2) يُنظر: المعنى وظلال المعنى / 115.

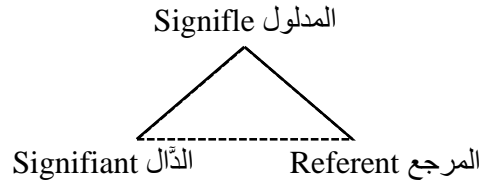
(3) ينظر: التّداوليّة من أوستن إلى غوفمان / 30، 31.

(4) يُنظر: محاضرات في المدارس اللّسانيّة المعاصرة / 20.

(5) التّداوليّة من أوستن إلى غوفمان / 44، 45.

- ومن بين الفلاسفة المؤسسين للتداولية أوستين **Austin** (1911م-1961م)، فلقد أنكر أوستين ما ذهب إليه فلاسفة الوضعيّة المنطقيّة، الذين رأوا أنّ وظيفة اللّغة تقتصر على وصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجيّ بالصدق إذا طابقت الواقع، وبالكذب إذا خالفته، وأطلق عليه (بالمغالطة الوصفية)، فالعبارات التي نطقها وتكلمها لا تصف شيئاً من وقائع العالم الخارجيّ، ولا يمكن وصفها بالصدق أو الكذب، فنحن بنطقنا للعبارات لا ننشئ أقوالاً بل نوّدي أفعالاً؛ ولذلك سُميت عنده (بالأفعال الكلامية) (1).

ويرجع الفضل كذلك في اهتمام العلماء بالدلالة ودراسة المعنى اللسانيّ إلى ما جاء في كتاب (معنى المعنى) لأوجدن وريتشاردز - **Ogden and Richards**، فيما يُعرف عندهم بالتألوت الدلاليّ، وملخص الفكرة أنّ (الكلمة) تُثير في العقل البشريّ صورةً ذهنيّةً ثمّ تتجسّد على ما هو عليه في الخارج (2).



- فمن خلال ما جاء به أوجدن وريتشاردز اعتمد أولمان **Ulmann** (1914م-1976م) في تعريفه للمعنى على مثلثهما، واصطلاح على تسمية (اللفظ) بدلاً من (رمز) و (المدلول) بدلاً من (فكرة) أو (ارتباط ذهني) حيث لاحظ أنّ هناك علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول لأنّ كلّ منهما يستدعي الآخر، فهذا هو المعنى عند أولمان، فبمجرد تفكيرنا في (منضدة) سوف يجعلنا نطق بهذه الكلمة الدالّة عليها، وعند سماعنا لهذه الكلمة فإنّه يجعلنا نفكر فيها (3) فهذه هي العملية المتبادلة بين اللفظ والمدلول.

- أمّا تشومسكي - **Chomsky** (1928م) صاحب النظريّة التوليدية التحويلية، فقد رأى أنّ المتكلم يحمل في رأسه العدد الكثير من العبارات والجمل اللامتناهية، حيث كان اهتمامه بارزاً بما يدور في عقل المتكلم أو المخاطب السليقيّ.

لذلك تبرز تشومسكي من آراء اللسانيين البنيويين الذين أهملوا خاصية (الإبداعية)، وهي (قدرة المتحدث المستمع على إنتاج وتأويل كافة الجمل اللسانية) (4)، فكانوا رافضين لفكرة تشومسكي بشأن المخاطب السليقيّ المثاليّ حيث كانت رؤيته بأنّ (الجمل اللغوية تتمّ دراستها حسب السيقاق الموجودة فيه)، فلا تُدرس مجردة منعزلة عن غيرها من العبارات والجمل (5).

إذن لا شك أنّ للسيقاق دوراً فعّالاً وهاماً في فهم مراد المتكلم، ومعرفة معنى العبارات والجمل.

(1) يُنظر: أفاق جديدة في البحث اللسانيّ المعاصر/42، 43.

(2) يُنظر: مبادئ اللسانيّات، أحمد قدور/338، ومدخل إلى علم اللّغة، محمود حجازي/141.

(3) يُنظر: دور الكلمة في اللّغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر/65.

(4) يُنظر: مدخل إلى اللسانيّات، محمّد يونس علي/45، والملفوظيّة، جان سيرفوني/13.

(5) يُنظر: مدخل إلى اللسانيّات/20.

- أمّا عن سيرل Searle (1932م-1969م) والذي يُعدُّ من تلامذة وأتباع أوستين، فقد طَوَّرَ نظريّة (الأفعال الكلاميّة)، فكان اهتمامه منصبّاً على (الأعمالِ القوليّة)، وقد أسَّهَمَ في التَّمييز داخل الجملة بين ما يتَّصل بالعمل المتضمّن في القول في حدِّ ذاته، وهو ما سمّاه (بالقوّة المتضمّنة في القول)، وبين ما يتَّصل بمضمون العمل وهو ما سمّاه (بالمحتوى القضيوي) (1).
- وسيتّمُ الحديث عن ذلك لاحقاً في المبحث الخاصّ (بالأفعال الكلاميّة) إن شاء الله.

ملخّص القول في هذا المبحث:

- إنّ ثمّة جهودٍ قد بُذلت من قبل علماء وفلاسفة الغرب حول دراسة المعنى والاعتناء به.
- إنّ فهمَ المعنى عند الغربيين لا يتمُّ إلاّ بمعرفة السِّياق أو المقام أو ظروف الخطاب مع مراعاة حال المتكلِّم والمخاطب وغيرها من الطُّروف المحيطة، مع ضرورة التأكيد على أنّهم لم يأتوا لنا بجديد، فكلُّ تلك الطُّروف جميعها تناولها علماء العربيّة المتقدِّمين وأشاروا إليها في دراساتهم، فإليهم يرجع الفضل والسُّبق.

(1) يُنظر: الدَّاوليّة اليوم، أن روبول، جاك موشلار/ 33.

ثانياً - عند علماء العربية:

دَرَسَ العلماء العرب المحدثون التَّدَاوُلِيَّةَ، فألَّفوا فيها الكتب وإن كانت أبحاثهم فيها قليلة، إلا أنَّهم درسوها واعتنوا بها، كما كان لثَلَّةٍ منهم دورٌ كبيرٌ في ترجمة كتب التَّدَاوُلِيَّةِ الأجنبيَّةِ إلى اللُّغة العربيَّةِ، ولعلَّ أبرز آرائهم في التَّدَاوُلِيَّةِ ما جاء به بعض اللُّغويِّين العرب المحدثين من أمثال:

أ- تَمَّام حَسَّان (1918 م- 2011م) حيث كان له دور وذلك من خلال جهوده المبذولة ودراسته لمؤلَّفات الغربيِّين في اللِّسانِيَّات الحديثة، ودراسته أيضاً لمؤلَّفات الثُّراث العربيِّ القديم، وقد كان له هدف وغاية في تصوُّر واضحٍ لكلِّ تلك الجهود والاستفادة منها، في سبيل التُّهوض والرِّفَع من الفكر العربيِّ الحديث اللِّساني وغير اللِّساني.

تحدَّث تَمَّام حَسَّان عن (المقام) الذي فهمه البلاغيُّون حينما قالوا: (لكلِّ مقامٍ مقالٍ)، على أنَّه فهمًا سكونيًّا قاليًّا نمطيًّا مجردًا كتجريد النَّحويِّين أصلَ الوضع للحرف وللکلمة وللجملة، (فتمَّام) قَصَدَ بالمقام ليس إطارًا أو قالبًا⁽¹⁾ وإنما "هو جملة الموقف المتحرِّك الاجتماعي الذي يعتبر (المتكلِّم) جزءًا منه، ويعتبر السَّامع والكلام نفسه وغير ذلك ممَّا له اتِّصال بالتكلُّم *Speechevent*، ذلك أمر يتخطَّى مجرد التَّفكير في موقف نموذجيٍّ ليشمل كلَّ جوانب عمليَّة الاتِّصال من الإنسان والمجتمع والتَّاريخ..."⁽²⁾.

وقد أوضح "تَمَّام" أنَّ فَهْمَ المعنى المقصود لا يكون بمجرد النَّظر إلى معنى (المقال) وحده، أي: المعنى الحرفيِّ دون النَّظر "للمقام"، فمراعاة المقام الذي قيلت فيه العبارة أو الجملة يُوَدِّي إلى فهم المقصود وإزالة الالتباس فنحن بعبارة (زيارة الأصدقاء تُسعد النَّفس) لا نعرف بغير المقام ما إذا كان الأصدقاء زائرين أم مزورين، ولا نستطيع أن نحدِّد المعنى بدون معرفة المقام الذي قيلت فيه العبارة، ففي العبارة السَّابِقة يُزال الإلباس إذا لم نكتفِ بالمقال فقط وراعينا المقام⁽³⁾.

فاهتمام تَمَّام حَسَّان بالمقام بات واضحًا في أبحاثه أثناء إشارته إلى مراعاة المقام، الذي يُعين على كشف المعنى وإزالة الإلباس والغموض.

ب- أحمد المتوكِّل (1942م) يُعدُّ أستاذ اللِّسانِيَّات العربيَّة، ومن مؤسِّسي المنحى الوظيفيِّ في العالم العربيِّ ورائده، صدَّر له أزيد من عشرين مؤلَّفًا باللُّغة العربيَّة، وباللُّغتين الفرنسيَّة، والإنجليزيَّة.

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ التَّدَاوُلِيَّةَ تهتمُّ بالاستعمال اللُّغويِّ في مقاماته التَّخاطبيَّة، كما عُرف عند الغربيِّين، باعتبار أنَّها أداة للتَّواصل بين مستخدميها، ومن هنا جاءت جهود (أحمد المتوكِّل) في دراسة وكتابة الأبحاث الخاصَّة بالوظائف

(1) يُنظر: الأصول، تَمَّام حَسَّان/ 303.

(2) المصدر السَّابق/ 304.

(3) يُنظر: المصدر نفسه.

التداولية في اللغة العربية، "أي أنّ اللسانيّات الوظيفية تدرس اللغة من حيث الوظيفة التّواصلية لبنائها المختلفة، مستندة في ذلك إلى المحتوى التصدي للمتكلّم،"(1).

قسّم المتوكّل الوظائف التداولية في اللغة العربية بحسب اقتراح سيمون ديك (semon dik) اللساني الهولندي صاحب نظرية النحو الوظيفي (1898 م - 1971م) إلى قسمين: وظيفتان داخليتان، وثلاث وظائف خارجية.

أ- الوظيفتان الداخليتان: وهما (البؤرة والمحور).

- البؤرة: هي "الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزاً في الجملة"(2).

وقد ميّز المتوكّل بين نوعين من البؤرة: "بؤرة الجديد" و"بؤرة المقابلة" من الناحية الوظيفية.

ف (بؤرة الجديد) هي التي يتمّ إسنادها إلى المكوّن الحامل للمعلومة والتي يجهلها المخاطب، أمّا (بؤرة المقابلة) فهي التي يتمّ إسنادها إلى المكوّن الحامل للمعلومة والتي ينكرها ويشكّ في ورودها المخاطب(3).

حيثُ نلاحظُ فرقاً بين البؤرتين من الناحية الوظيفية، ففي (بؤرة الجديد) يكون المخاطب جاهلاً بالكلام الذي يقصده المتكلّم، أمّا في (بؤرة المقابلة) فالمخاطب يكون منكراً وشاكاً في الكلام الذي يورده المتكلّم.

- بؤرة المكوّن وبؤرة الجملة: تُسند كل من بؤرة المقابلة وبؤرة الجديد إلى مكوّن من مكونات الجملة أو إلى الجملة برمتها(4)، فالمقصود أنّ (بؤرة الجملة) هي (بؤرة الحمل) وهي التي يتمّ إسنادها إلى الحمل بكامله كما في قولنا: "ساءني سلوك أخيه"، دون الإسناد إلى المكوّنات الخارجة عنه، كالمكوّن المنادى والمكوّن المبتدأ، والمكوّن الذيل(5)، بمعنى أنّ كلّاً من بؤرتي (المقابلة والجديد) تستند إلى أحد مكوّنات الجملة فنسميه (بؤرة المكوّن)، أمّا (بؤرة الجملة) فيتمّ إسنادها إلى الجملة كلّها برمتها.

(1) ملامح اللسانيّات الوظيفية في مقولات المخزومي / 135.

(2) الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكّل / 28.

(3) يُنظر: المصدر السابق / 28- 29.

(4) الوظائف التداولية في اللغة العربية / 31.

(5) يُنظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، في الهامش / 31.

- المحور: يُحدُّ بآئنه: "المكوّن الدّال على ما يُشكّل المحدث عنه داخل الحمل"(1).

نحو قولنا:

أ- متى رجّع زيد؟

ب- رجّع زيد البارحة.

أ- كيف حال زيد؟

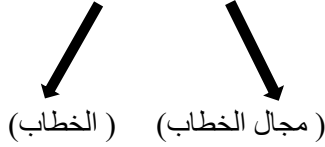
ب- زيد مريض.

ففي الجمل السّابقة دلّت لنا كلمة (زيد) ما هو محط الحديث داخل الجمل، حيث شكّل (زيد) محور الجمل وهو (المحدث عنه)، وقد أدّى لفظ (زيد) وظيفة المحور بحكم ما يكون من الوضع التّخابريّ القائم بين المتكلّم والمخاطب في طبقة مقامية معيّنة.

ففي الجملة الأولى دلّ لفظ (زيد) على الشّخص الذي يشكّل محور (الاستخبار)، أمّا في الجملة الثّانية فدلّ لفظ (زيد) على الشّخص الذي يشكّل محور (الإخبار)⁽²⁾، إذن " فالمحور هو الوحدة اللّغويّة الأساسيّة في الجملة والتي يقوم عليها الكلام"⁽³⁾.

- الوظائف الخارجيّة: وتتألف من المبتدأ و المنادى والدّيل⁽⁴⁾.

1 - المبتدأ: هو مجال الخطاب المحمول عليه نحو: ليلي عشقتُ عينيها



2- المنادى: هو محط النّداء في الجملة نحو: يا عليّ افعل الخير

3- الدّيل: هو ما يصحّح معلومة أو يوضّحها أو يعدّلها نحو: سرّني خالدٌ تأدّبهُ

← (ذيل).

ما زارتنى فاطمة بل هدى

← (ذيل).

(1) الوظائف التّداولية في اللغة العربيّة/ 69.

(2) يُنظر: المصدر السّابق.

(3) جهود أحمد المتوكّل في اللّسانيّات التّداولية - الوظائف التّداولية أنموذجاً، سمّية غول/ 175.

(4) ملامح اللّسانيّات الوظيفيّة/ 156.

حيث يُعتبر المبتدأ وظيفته تداولية؛ لاشتراكه مع الوظائف التداولية (كالمحور، والدليل، والبؤرة) وغيرها في ارتباطها بالمقام، فالخطاب القائم بين المتكلم والمخاطب يحتاج إلى طبقة مقامية معينة لإحداث التواصل بين الطرفين⁽¹⁾.

لذا (فالمبتدأ) عند التداوليين يستلزم وجود خطاب بين المتخاطبين، وإلى بيئة مقامية مناسبة.

إنَّ الجملة في النحو الوظيفي تتألف من ثلاث مكونات: الحمل، والمبتدأ، والدليل، وزاد (المتوكّل) على هذه المكونات الثلاث مكوناً جديداً هو (المنادى)، وذلك لملاحظته أنَّ (المنادى) في اللسانيات التداولية الحديثة لم يُعتد به كباقي مكونات الجملة الأخرى، ولم يأخذ مكاناً في تلك الدراسات اللسانية، لذا رأى أنَّه لا يمكن إغفال هذا المكون والتغاضي عنه⁽²⁾.

فالمنادى "وظيفة تسند إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام معين"⁽³⁾، وعليه يحتاج (المنادى) كغيره من المكونات السابقة إلى مقام مناسب وملائم لإحداث العملية التفاعلية التواصلية بين جانبي الخطاب، ف"الوظيفة المنادى وظيفته تداولية تؤاسر المبتدأ، والدليل، والبؤرة والمحور، فإسنادها كأسناد هذه الوظائف الأربع مرتبط بالمقام"⁽⁴⁾.

إنَّ للدليل عند سيمون ديك (Simon dik) (الذي أسس نموذجاً وظيفياً جديداً يهدف إلى تحقيق عملية التواصل بين المتكلم والمخاطب، دورين هما: دور التوضيح ودور التعديل، وأضاف (المتوكّل) دوراً ثالثاً موجوداً في اللغة العربية يُضاف إلى (الدليل) وهو دور (التصحيح)⁽⁵⁾.

وبذلك يكون (المتوكّل) قد عدل ذلك التعريف المقتصر على دور التوضيح، والتعديل، ليشمل دور التصحيح بقوله: "يحمل الدليل المعلومة التي توضح معلومة داخل الحمل أو تُعديّلها أو تُصحّحها"⁽⁶⁾.

ففي قولنا: أكلت التفاحة نصفها. (ذيل)



سرني خالد تأدبه. (ذيل)



ما زارتنى فاطمة بل هدى. (ذيل)



في هذه الجملة وظيفته تداولية للدليل، يقصد بها المتكلم توضح معلومة ما، أو تصحيحها أو تعديلها⁽⁷⁾.

(1) يُنظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية/ 116.

(2) يُنظر: المصدر السابق/ 148، 160.

(3) المصدر السابق/ 161.

(4) المصدر نفسه.

(5) يُنظر: المصدر نفسه/ 147.

(6) المصدر نفسه.

(7) يُنظر: المصدر نفسه/ 155.

هذا أبرز ما جاء به المتوكّل في أبحاثه الخاصة بالدراسات اللسانية المعاصرة، فقد استطاع الباحث إيضاح وربط ما جاء في اللسانيات النّدائويّة الغربيّة، وبين ما جاء في تراثنا العربيّ القديم، مع توضيح ما للوظيفة النّدائويّة من دورٍ في إحداث عمليّة التّواصل بين مستعملي ومستخدمي هذه اللّغة، ومن أرادَ البيان أكثر، فليرجع إلى كتاب أحمد المتوكّل (الوظائف النّدائويّة في اللّغة العربيّة).

ج- طه عبد الرّحمن (1944م) يُعدُّ من بين المفكرين المسلمين العرب المحدثين الذين اهتموا بالمنهج النّدائويّ وكما ذكرنا أنفاً هو الذي وضع مصطلح (النّدائويّة) مقابل مصطلح (البراغماتيّة) الأجنبيّة عام 1970م. ميّز (طه عبد الرّحمن) بين مفهومين هما: (المجال النّدائويّ، والتّقريب النّدائويّ).

1- المجال النّدائويّ: فالنّدائول عنده من ناحية تعلّقه بالممارسة التّراثيّة الإسلاميّة العربيّة " هو وصف لكلّ ما كان مظهرًا من مظاهر التّواصل والتّفاعل بين صانعي التّراث من عامّة النّاس وخاصّتهم"⁽¹⁾. فسّم طه عبد الرّحمن التّواصل والتّفاعل في المجال النّدائوي إلى ثلاثة أقسام: (الأسباب اللّغويّة – و العقديّة والمعرفيّة)، وفيما يلي بيانٌ لكلّ منها:⁽²⁾

1- الأسباب اللّغويّة: عدّ طه عبد الرّحمن (اللّغة) من أقوى الأدوات، فاللّغة عامل قوي وأساسي يستخدمه المتكلم لإحداث التّواصل والتّفاعل بينه وبين المتلقّي، ولإيصال غرضه ومراده وإحداث التّأثير فيه.

2- الأسباب العقديّة: بيّن فيها دور (الأسباب العقديّة) في إحداث التّواصل والتّفاعل، فهي لا تقلّ قدرًا عن الأسباب اللّغويّة، فبالصبغة العقديّة الدّينيّة ازداد تراثنا الإسلاميّ العربيّ سعةً وثراءً.

3- الأسباب المعرفيّة: فلا يمكن أن يحدث التّواصل أو التّفاعل في التّراث إلّا (بالمعرفة) المتوسّلة باللّغة والمبنية على العقيدة.

تلك الأسباب جميعها، لها دورٌ كبيرٌ في إحداث العمليّة التّواصلية التّفاعليّة، فلا ينبغي فصل أيّ منها عن الآخر.

ولقد قام طه عبد الرّحمن بتقسيم عناصر المجال النّدائويّ إلى قسمين:

- **الاستعمال:** ذلك أنّ كلّ قسمٍ من الأقسام السّابقة، "لا تتعيّن وظيفته النّدائويّة حتى يقع استعماله، ولا استعمال بغير النّقلة الموجبة للتّواصل وبغير الحركة الموجبة للتّفاعل"⁽³⁾، فخاصيّة الاستعمال ضروريّة لإحداث النّدائول بين عناصره (اللّغويّة، والعقديّة، والمعرفيّة).

وضّح طه عبد الرّحمن دور (الاستعمال) في اللّغة، والعقيدة، والمعرفة، وبيّن أهمّيّته النّدائويّة في إحداث التّواصل بين طرفي الخطاب.

(1) تجديد المنهج في تقويم التّراث، طه عبد الرّحمن/ 244.

(2) يُنظر: المصدر السابق/ 245، 246.

(3) يُنظر: المصدر نفسه/ 248.

- الاستكمال: بمعنى أنّ كلّ قسم من الأقسام السابقة تُكْمَل بعضها بعضاً، "فلا استكمال بغير اجتماع التّبلغ اللُّغويّ والتّحقيق المعرفيّ والتّقويم العقديّ"⁽¹⁾، ولا يمكن تجزئتها أو تفرقتها، لأنّ كلّ قسم منها يحتاج إلى القسمين الآخرين لتحقيق وظيفته التّداوليّة⁽²⁾.

2- التّقريب التّداولي: يُعرّف بأنّه "وصلٌ بين طرفين اثنين: أحدهما: مصدر التّقريب، وهو المنقولات الأجنبيّة، والثّاني: مقصد التّقريب، وهو المجال التّداولي الأصلي"⁽³⁾، ويُعدُّ (المنقول والمأصول) وصلاً بين هذين الطرفين، وعدّ طه عبد الرّحمن التّقريب التّداولي أساساً لمعرفة الممارسة التّداوليّة وأساساً للتّمييز والتّفريق بينه وبين بعض المفاهيم.

د- محمّد محمّد يونس علي(1959م) الباحث اللسانيّ المعاصر، كان له مجموعة من المؤلّفات والكتب التي تهتمُّ بالجانب التّداوليّ وتحليل الخطاب، من أبرزها كتاب (علم التّخاطب الإسلاميّ) ، تحدّث فيه عن علم (الاستعمال) عند الأصوليّين، وكيف أنّه أصبح علماً مستقلاً له مبادئه، وأصوله، وفلسفته، فكذلك علم (التّخاطب) كما أحبّ هو تسميته بدلاً عن (البراغماتيّة) الغربيّة، هو علمٌ يُعنى بدراسة اللّغة في (الاستعمال)، أو دراسة المعنى وفهمه من خلال علاقته بالمقامات التّخاطبيّة، إذ يقول: "إنّ الغاية من علم التّخاطب هي معرفة كيفيّة حصول التّفاهم بين المتخاطبين"⁽⁴⁾.

أي إنّ الهدف من التّداوليّة عنده: فهم كل من المتخاطبين للأخر فهماً يؤدّي إلى تحقيق التّواصل الفعّال بينهما.

كما بيّن أهميّة (السياق) ودوره في العمليّة التّخاطبيّة، إذ إنّّه لا يمكن للمهتمّين (بعلم التّخاطب) إغفال السياق والعناصر الخارجيّة كالمخاطب والمخاطب ومعارفنا وخبراتنا السابقة ودورها في التّوصّل إلى الفهم الصّحيح السّليم لمراد المتكلّم؛ لتكوين عمليّة تخاطبيّة ناجحة⁽⁵⁾.

وأشار كذلك إلى أنّ علماء الأصول كانوا على علم بمستويات اللّغة والكلام، حين فرّقوا بين العناصر الأساسيّة الأربعة لعمليّة التّخاطب وهي (الوضع، والدّلالة، والاستعمال، والحمل).

- فالوضع يُقصد به نسبة الألفاظ إلى معانيها.
- أمّا الدّلالة، فهي نتيجة للوضع والسياق.
- الاستعمال، هو إطلاق الكلام، وقصد معنى ما.
- الحمل، وهو اعتقاد السّامع مراد المتكلّم.⁽⁶⁾

(1) تجديد المنهج في تقويم الثّراث/ 248.

(2) يُنظر: المنهج التّداولي في فكر طه عبد الرّحمن، سنار جبر الأعرجي، محمّد حمزة إبراهيم/179.

(3) تجديد المنهج في تقويم الثّراث/ 273.

(4) علم التّخاطب الإسلاميّ، محمّد يونس علي/8.

(5) يُنظر: مدخل إلى اللسانيّات/ 12.

(6) يُنظر: علم التّخاطب الإسلاميّ/ 32.

وقد لاحظ محمد يونس علي، وجود شبه بين كلِّ من الوضع، والدلالة، والتخاطب، والاستعمال، ففرق بين علم الدلالة وعلم التخاطب من جهة اللسانيات، والوضع والاستعمال من جهة علماء الأصول، "فالوضع، والدلالة كلاهما يتعلّق بدراسة المعنى المجرد من السياق: إذ الوضع يدرس نسبة الألفاظ للمعاني، وعلم الدلالة يهتم بدراسة المعنى، أمّا علم التخاطب فيعني حرفياً علم الاستعمال... (1) الذي يهتم بدراسة المعنى المقصود من وراء الكلام. وقد تحدّث - محمد يونس علي - عن الفرق بين (المعنى اللغوي والمعنى المقصود)، وبين أنّ المفردات اللغوية وحدها لا تكفي لفهم مراد المتكلم، فالمخاطب بحاجة إلى عوامل وعناصر تساعد على فهم مقصد المتكلم كالسياق الثقافي والاجتماعي، (فالمعنى اللغوي) عنده هو ما فهم من اللفظة المجردة أو المفردة المعجمية وحدها (والمعنى المقصود) هو ما فهم من العبارات والجمل في ظلّ عناصر التخاطب الأربعة: المخاطب، والمخاطب والخطاب، والمساق (الظروف والأحوال الزمانية والمكانية والاجتماعية والثقافية وغيرها)، وبتكامل هذه العناصر تحصل الإفادة الحقيقية ويحصل التأثير والإبلاغ (2).

هـ مسعود صحراوي (1961م) يُعدُّ هو أيضاً من التداوليين العرب المحدثين الذين وظّفوا المنهج التداولي في قراءة التراث العربي، واعتنوا بالجانب التداولي من خلال تأليفهم للكتب التي تتحدّث عن التداولية، فكان من أبرزها كتاب (التداولية عند العلماء العرب)، بيّن فيه دور العلماء العرب المتقدّمين، من ناحية، وبلاغيين، وأصوليين في المجال التداولي من ناحية اهتمامهم بـ (المعاني والأغراض) الإبلاغية المتوخاة من (الخطاب)، وبيان ارتباط التداولية بـ (أسلوب الخبير والإنشاء)، ومعرفة معناه الإبلاغي ووظيفته التواصليّة، التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها، وهي ما يُعبّر عنه بـ (الأفعال الكلامية) عند المحدثين (3).

وبيّن صحراوي دور العلماء العرب في اهتمامهم (بالتكلم والمخاطب) ومدى العلاقة القائمة بينهما، عن طريق بيان غرض المتكلم ومقصده من الكلام، ومدى فهم المخاطب وإفادته التي يجنيها من الخطاب، وفهم المعاني الكامنة من وراء الألفاظ والمباني (4)، حيث يقول: "ومما يؤكّد اهتمام النحاة بالبعد التداولي للظاهرة اللغوية إشارة بعضهم إلى (المعاني والأغراض) العميقة الكامنة وراء الألفاظ والمباني،... (5).

لقد ركّز صحراوي على دور (التكلم والمخاطب) ووظيفتهما في العملية التخاطبية، وفهم كلِّ منهما للعبارات فهماً عميقاً بعيداً كلّ البعد عن التجرد والسطحية.

(1) علم التخاطب الإسلامي/ 34.

(2) يُنظر: المعنى وظلال المعنى/ 141.

(3) يُنظر: التداولية عند العرب/ 219.

(4) يُنظر: المصدر السابق/ 220.

(5) المصدر نفسه.

يتبيّن لنا من الآراء السّابقة لعلماء العربيّة المحدثين كما ورد في هذا المبحث ما يلي:

1. دور (السياق) في إنجاز العمليّة (التّخاطبيّة) بين المتكلّم والمخاطب.
2. دور (المقام) في إحداث الإفهام وإزالة الإلباس، والذي بدوره يؤدّي إلى فهم المعنى.
3. بيان الوظائف التّداوليّة وما لها من أهميّة في إقامة التّواصل الفعّال بين المتخاطبين.

المبحث الثالث: جوانب البحث التّداوليّ:

أولاً: الاقتراض المسبق Persupposition.

ثانياً: الإشـاريّات Deictics.

ثالثاً: الأفعال الكلاميّة Speech Acts.

رابعاً: الاستلزام الحواريّ Conveational.

جوانب البحث التداولي:

بالإشارة إلى التداولية ومدى اهتمامها بالمعنى المقصود داخل السياق بين المتكلم والمخاطب، فقد اتفق معظم الباحثين على أن البحث التداولي يقوم على أربعة جوانب هي:

- 1- الافتراض المسبق (Presupposition).
- 2- الإشارات (Deictics).
- 3- الأفعال الكلامية (Speech Acts).
- 4- الاستلزام الحوارية (Conversational).

وفيما يلي بيان وتوضيح لكل جانب منها:

أولاً: الافتراض المسبق: (Presupposition).

إن من أحد مجالات التداولية (الافتراض المسبق) الذي يهتم بمعرفة العوامل والعناصر المشتركة بين المتكلم والمخاطب، لإحداث عملية التواصل، "فالمعرفة المشتركة هي الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في إنجاز التواصل"⁽¹⁾، فإحداث التواصل والإبلاغ لا بد من وجود افتراضات متفق عليها بين الطرفين ضمن سياقات معينة حيث يرى التداوليون (الافتراض المسبق) ذات أهمية كبيرة في إحداث التواصل والتفاعل والإبلاغ والإفهام، فلو أن رجلاً قال لآخر: أغلق النافذة، فالمفترض سلفاً أن النافذة كانت مفتوحة، وأن هناك سبباً ما لإغلاقها، (فالمعرفة المشتركة) بين طرفي الخطاب، والعلاقة القائمة بينهما، في ضوء سياق معين، كل تلك العناصر السابقة يمكننا أن نطلق عليها (الافتراض المسبق)⁽²⁾، ولإنجاح عملية التفاعل والتواصل بين الطرفين كان لابد من وجود عناصر مشتركة، فإذا كانت المعرفة غير مشتركة وغابت تلك العناصر بينها لم يحدث الافتراض المسبق.

میز بعض الباحثين بين نوعين من (الافتراض المسبق): المنطقي أو الدلالي، والتداولي (فالمنطقي أو الدلالي) مشروط بالصدق في الجملتين فمثلاً لو قلنا: (إن المرأة التي تزوجها زيدٌ كانت أرملة)، وكانت هذه الجملة صادقة ومطابقة للواقع، عليه فإن الجملة تكون صادقة عند قولنا: (زيدٌ تزوج أرملة)، لأنه مفترض سلفاً، وأمّا (الافتراض التداولي المسبق) فلا علاقة له بالصدق أو الكذب، سواءً قمنا بإثبات الكلام أو بنفيه، فلو قلنا مثلاً: (سيّرتي جديدة)، ثمّ نفينا ذلك بقولنا: (سيّرتي ليست جديدة) فهذا لا يؤثر على الافتراض المسبق للزوم وجود السيّارة في القولين، بمعنى أن (الافتراض المسبق) يبقى معناه حتى بعد نفي الجملة، فقولنا مثلاً: (لم يخرج خالدٌ من الغرفة) على الرغم من النفي إلا أنه يُفترض مسبقاً دخوله إلى الغرفة⁽³⁾.

(1) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري / 49.

(2) يُنظر: استراتيجيات الخطاب/ 49، والتداولية عند العلماء العرب/ 31، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر/ 26.

(3) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر/ 28، 29، وتحليل الخطاب وتجاوز المعنى/ 146.

ثانيًا. الإشاريّات: (Deictics).

إنّ الإشاريّات (المعينات) من أمثلة أسماء الإشارة، والضّمائر، والأسماء الموصولة، تُعدُّ من العلامات اللُّغويّة التي لا يتحدّد معناها إلّا من خلال سياق الخطاب التّدالويّ، فهي لا تؤدّي معنى في نفسها، (فالإشاريّات) إلى جانب دورها الظّاهري، لها دورٌ خطّابيٌّ تداوليٌّ أثناء التّلْفُظ بها، معتمدةً على زمانٍ ومكانٍ معيّنين⁽¹⁾.

يُستفاد من الكلام السّابق:

إنّ الإشاريّات لا يمكن فهم معناها بعيداً عن السّياق، وزمان ومكان التّلْفُظ، فلمعرفة وفهم أيّ كلام لا بدّ لنا من الإشارة إليه عن طريق تحديد زمانه ومكانه، فلو قلنا مثلاً: (اشتريتُ السيّارة الجمعة) فلا ندري في أيّ جمعةٍ تمّ الشراء لغياب الإشارة إلى زمان ومكان المتكلّم، وبذلك لا يمكن إحداث التّفاعل بين المتخاطبين.

وقد تمّ تقسيم الإشاريّات التي تتمُّ بها عمليّة التّلْفُظ بالخطاب إلى أقسام عدّة نبيّنها على النّحو الآتي:

أ- الإشاريّات الشّخصيّة (Person deictics):

وهي التي تدخل فيها ضمائر المتكلّم والمخاطب والغائب، وتُعدُّ عناصر إشاريّة، لاعتمادها كليّاً على السّياق، لمعرفة من المتكلّم أو المخاطب الذي يُحيل إليه الضّمير⁽²⁾، فوجب علينا معرفة قائل العبارة حتّى نعرف على من يعود الضّمير، فنستطيع بذلك إحالة الضّمير لقائله في ضوء السّياق والمقام الذي قيل فيه، لذا فإنّ "الضمائر تتحدّد دلالةً وإحالةً ومرجعاً بوجود أطراف التّلْفُظ والتّواصل"⁽³⁾، فإذا قالت امرأة مثلاً: أنا أمّ نابليون فحينئذٍ لا بدّ من التّأكّد ما إذا كانت هذه المرأة صدقاً (أمّ نابليون) أي طابق المرجع الواقع وأنّ العبارة قيلت في ظروف تاريخيّة مناسبة، فإذا خالفت الواقع كانت الجملة كاذبة، ووجود الضّمير وحده ليس بكافٍ، بل لا بدّ من توفّر شرط (الصدق) في الكلام ومطابفته للواقع⁽⁴⁾.

(1) يُنظر: استراتيجيّات الخطاب/79، 81.

(2) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللُّغويّ المعاصر/17، 18.

(3) محاضرات في لسانيّات النّص، جميل حمداوي/118.

(4) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللُّغويّ المعاصر/18.

ب- الإشاريات الزمانية (Temporal deictics):

وهي الكلمات التي تُستخدم في الإشارات الزمانية، ولا يتضح معناها إلا من خلال سياق محددٍ وزمانٍ معيّنٍ وقد يلتبس الأمر على المخاطب إذا لم يعرف زمن التكلّم أو سياق الحديث، فقولنا مثلاً: (نلتقي الساعة العاشرة)، فلا يعرف المخاطب ما إذا كانت الساعة العاشرة صباحاً أم مساءً، اليوم أم غداً، فمعرفة زمن التلقظ بدقّة، وسياق الحديث مهمّ في فهم مراد المتكلّم ومقصده⁽¹⁾. وبهذا يتضح لنا أنّ الإشاريات الزمانية (غداً، صباحاً، مساءً، ليلاً، وغيرها) يرتبط فهمها ارتباطاً وثيقاً بمعرفة التكلّم وسياق الحديث.

ج- الإشاريات المكانية (Spatial deictics):

إنّ الإشاريات المكانية مثل: هذا وذاك، وهنا وهناك ونحوها، أدوات يستعملها المتكلّم بالإشارة إلى المكان قريباً أو بعداً أو لتحديد جهة معيّنة يكون المخاطب على علمٍ بها، في وجود سياقٍ ماديٍّ مباشرٍ، وفهمٍ للمعنى الذي يريد المتكلّم إيصاله للمخاطب، فالمتكلّم يستعمل أدوات الإشارة (هذا، هنا) للقريب، كما يستعمل (ذاك، هناك) للبعيد، فهذه الإشاريات لا يتحدّد معناها إلا بمعرفة موقع المتكلّم، والسياق الذي قيلت فيه، فإذا قال شخصٌ: (أحبُّ أن أعمل هنا) فلا ندري في أيّ مكانٍ يقصد (في المدرسة، أو في المكتب، أو في المؤسسة، أو في المدينة وغيرها)⁽²⁾، فكلُّ ذلك يعتمد على مكان المتكلّم والسياق الذي وقع فيه الكلام.

كما يكون للإشاريات المكانية أيضاً دورٌ في التّباعد النفسيّ للمتكلّم بحسب السياق الوارد فيه، حيثُ يميل المتكلّم إلى جعل البعيد مادياً بعيداً نفسياً، مثلاً: (ذلك الرجل هناك) أو جعل القريب مادياً (عطرٌ استنشقيٌّ)، بعيداً نفسياً من مثل قولك (لا أحبُّ ذلك العطر)⁽³⁾، فلفظة الإشارة (ذلك)، "لا تمتلك معنىً دلاليّاً ثابتاً ولكنها تشبع بمعنى ما في سياق المتكلّم"⁽⁴⁾، حيث تعتمد تفسير الإشاريات المكانية بشكلٍ كبيرٍ على قصد المتكلّم، والسياق الوارد فيه الكلام.

د- إشاريات الخطاب (Discourse deictics):

وهي الإشاريات التي تُعدّ من خواص الخطاب، أو هي العبارات التي يستخدمها المتكلّم عند إيقانه بموضوع ما أو توجيهه رأيٍ على رأيٍ، فيقول: ومهما يكن من أمرٍ، أو عند استدراكه لكلامٍ سابقٍ فيستخدم، لكن أو بل، أو يستخدم من ثمّ عند ترتيبه أمراً على آخر، فكلُّ تلك الإشاريات الخطابية يستخدمها المتكلّم في موقفٍ خاصٍ به⁽⁵⁾.

(1) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر/19، 20.

(2) يُنظر: المصدر السابق/21، 22.

(3) يُنظر: التداولية، جورج يول/33.

(4) المصدر السابق.

(5) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر/24، 25.

هـ الإشارات الاجتماعية (Social deictics):

وهي العبارات التي تمّ استخدامها بين المتكلمين والمخاطبين للإشارة إلى العلاقة الاجتماعية بينهم سواء أكانت هذه علاقة رسمية أم غير رسمية حميمة أم غير حميمة، لذا تُستخدم صيغ التّبجيل والتّوقير لمن هم أعلى منّا مقامًا أو أكبر منّا سنًا فنقول: فخامة الرّئيس، جلالة الملك، فضيلة الشّيخ، السيّد، السيّدة، الأنسة، وغيرها، عندما تكون العلاقة رسمية، أمّا عندما تكون العلاقة غير رسمية فنستعمل: التّداء بالاسم المجرّد، أو اسم التّدليل أو غير ذلك⁽¹⁾.

وبهذا يتّضح لنا أنّ الإشارات جانب من جوانب البحث التّدائليّ الذي يُسهم في تحديد المعنى المقصود من خلال السّياق المحدّد، والرّمان والمكان المحدّدين.

ثالثًا- الأفعال الكلاميّة (Speech Acts):

هي ما يمكن أن نسمّيها بنظريّة الأفعال اللّغويّة، التي أُسّست على يد (أوستين Austin 1960م-1911م) ثمّ طوّرها من بعده تلميذه (سيرل j.searle)، حيثُ أريد بهذا المفهوم اللّسانيّ التّدائليّ الجديد، الإنجاز الذي يقوم به المتكلم بمجرّد نطقه وتلفّظه بعباراتٍ وجملٍ معيّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنّهي، والوعد، والسؤال، والنّهنة، والتّعزية وغيرها، فكلُّ هذه الأساليب (أفعال كلاميّة)⁽²⁾، أساس هذه النظريّة قائم على الحديث بعده إنجازًا، حيث "تقوم هذه النظريّة على فكرة أنّنا عندما نتحدّث فإنّنا نقوم بأفعالٍ أو أحداثٍ..."⁽³⁾، فإنشاء هذه الأفعال أو الأحداث تنطبق على قصد المتكلم التّواصلية ومدى فهم المخاطب لمقصده ونواياه، ومدى مساهمة الطّروف المحيطة بالخطاب (مقام الكلام) من إكمال العمليّة التّواصلية، ففي عبارة (هذا الشّاي بارد جدًّا)، يختلف فعل الكلام هنا بحسب المقام الوارد فيه، لا بحسب اللفظ وحده، فلو لفظ المتكلم العبارة (شياء)، لفهم المخاطب أنّ المتكلم متدبّر ومنزعج، أمّا لو لفظها (صيفًا) لفهم وفسر، على أنّها إطراء⁽⁴⁾.

ولذا نجد أنّ (أوستين) قد ميّز بين نوعين من الأفعال الكلاميّة هما:⁽⁵⁾

أ- أفعال إخباريّة (Constutive): وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجيّ، وتتنصّف بالصدّق أو بالكذب.

ب- أفعال أدائيّة (Performative): وهي التي تُنجز بها في ظروف ملائمة، ولأثوصف بالصدّق أو بالكذب، وتدخل فيها التّسمية، والوصيّة، والرّهان، والنّصح، والوعد، وغيره.

(1) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر / 25، 26.

(2) يُنظر: التّدائليّة عند العلماء العرب / 10.

(3) مدخل إلى اللّسانيّات / 103.

(4) يُنظر: التّدائليّة، جورج يول / 82.

(5) آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر / 43، 44.

لقد قدّم أوستين شروطاً للأفعال الأدائية الإنجازية تُميّزها عن الأفعال الوصفية الإخبارية من بينها: (1)

1- كون الفعل ينتمي إلى مجموعة الأفعال الإنجازية (وَعَدَ، سَأَلَ، حَذَّرَ...).

2- كون الفاعل هو نفسه المتكلم.

3- كون زمن دلالتها من المضارع.

لكنه رأى أنّ الفعل في العبارات الوصفية الإخبارية يمكن تقديره بناءً على الشروط السابقة في الجمل الإنجازية الضمنية غير المباشرة نحو: الاجتهاد مفيدٌ = (أقول) الاجتهاد مفيدٌ = أمرك أن تجتهد، لتصير جملاً إنجازية على غرار الجمل الإنجازية الصريحة المباشرة، فكلُّ العبارات الملفوظة عنده (إنجازية) سواءً أكانت مباشرة فعلها ظاهر (أمر، نهي ودعاء) ويكون بصيغة المضارع منسوبة إلى المتكلم، أم غير مباشرة فعلها غير ظاهر كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾⁽²⁾، (أقول): احذروا.⁽³⁾

ويميّز (أوستين) كذلك بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية: (4)

1- العمل القولي: وهو العمل الذي يتحقّق ما إنْ نتلقّف بشيء ما.

2- العمل المتضمّن في القول: وهو العمل الذي يتحقّق بقولنا شيئاً ما.

3- عمل التأثير بالقول: وهو العمل الذي يتحقّق نتيجة قولنا شيئاً ما.

أي ما يؤدّيه الفعل الإنجازي من تأثير في المخاطب.

ويقدم أوستين خمس فئات للفعل الكلامي، وهي على النحو الآتي: (5)

1- الأفعال المتعلقة بأحكام: وتتمثّل هذه الأفعال عند إصدار قاضٍ للحكم، أو إصدار الحكم لنتيجة ما.

2- أفعال الممارسة (القرارات): وتتمثّل في اتّخاذ المتكلم قرار بعينه كالإذن والطرّد، والحرمان، والتعيين.

3- الأفعال الإلزامية (التعهد): وتتمثّل في تعهّد المتكلم وإلزامه بفعل شيء، كالوعد، والضمان، والتعاقد

والقسم.

4- الأفعال السلوكية: وتكون في ردِّ فعلٍ لحدثٍ معيّن، كالاعتذار، والشكر، والمواساة، والتّحدي.

5- الأفعال التفسيرية (الإيضاح): ويستخدمها المتكلم لإيضاح وجهة نظره أو لبيان رأيه، أو لإيصال حججه

من مثل: الاعتراض، والتشكيك، والإنكار، والموافقة، وغيرها.

(1) يُنظر: في اللسانيات التداولية /95، 96.

(2) الحديد: 19.

(3) يُنظر: في اللسانيات التداولية /96.

(4) التداولية اليوم علم جديد في النواصل /31، 32.

(5) يُنظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح عبد الحق /222، 223، وأفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر /46.

إنَّ ما قدَّمه أوستين حول هذه النَّظريَّة لم يكن كافيًا لتحقيق نظريَّة متكاملة الأفعال الكلاميَّة، لكن بفضلَه تمَّ تعريف وتحديد مفهوم الفعل الإنجازيِّ لهذه النَّظريَّة، إلى أنْ جاءَ من بعده (سيرل) الذي وضع قواعد وأسَّس منهجيَّة تقوم عليها الأفعال الكلاميَّة⁽¹⁾، وطوَّرت هذه النَّظريَّة "فانصبَّ اهتمامه على (الأفعال الإنجازيَّة)، وقام بتقسيم الأفعال الكلاميَّة إلى خمسة أصناف: الإخبارات، والنَّوحيَّات، والالتزامات، والنَّعبيَّات، والإعلانيَّات"⁽²⁾.

كما كان له دورٌ في تمييزه بين الأفعال الإنجازيَّة المباشرة وغير المباشرة فقد "ميَّز بين الأفعال الإنجازيَّة المباشرة التي تطابق قوتها الإنجازيَّة قَصْدَ المتكلِّم، والأفعال الإنجازيَّة غير المباشرة وهي التي تخالف فيها قَصْدَ المتكلِّم"⁽³⁾، فمثلاً، لو قال صديق لآخر: (هل تناولني الملح) فهذا يُعدُّ فعل إنجازيِّ غير مباشر، قَصْدَ به المتكلِّم من المخاطب إعطائه الملح بأسلوبٍ مهذبٍ، فالاستفهام بـ (هل) هنا غير مراد للمتكلِّم، لم يقصد به الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب⁽⁴⁾.

لذا فإنَّ المقاصد هي التي تحدِّد الفعل الإنجازيِّ المباشر من الفعل الإنجازيِّ غير المباشر.

رابعاً- الاستلزام الحواريُّ:

يُعدُّ (الاستلزام الحواريُّ) جانباً من جوانب البحث التداوليِّ، والمحور الأساسي الذي تدور حوله هذه الدِّراسة وسيتمُّ تفصيل الكلام والحديث عنه في الفصل النَّائي بعون الله.

(1) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللُّغويِّ المعاصر /47.

(2) التداوليَّة: دراسة في المجالات والفروع، علجيَّة بوجمعة /171.

(3) المصدر السَّابق.

(4) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللُّغويِّ المعاصر /51.

الفصل الثاني: نظرية الاستلزام الحوارية.

التمهيد: مفهوم الاستلزام الحوارية.

أولاً: لغة.

ثانياً: اصطلاحاً.

ثالثاً: نبذة عن امريء القيس.

المبحث الأول: الاستلزام الحوارية بين الأصالة والحداثة.

أولاً: عند اللغويين.

ثانياً: عند البلاغيين.

ثالثاً: عند الأصوليين.

رابعاً: عند العرب المحدثين.

المبحث الثاني: الاستلزام الحوارية عند الغربيين.

أولاً: جرايس والاستلزام الحوارية.

ثانياً: أنواع المعنى عند جرايس.

ثالثاً: مبادئ التعاون وقواعد المحادثة.

رابعاً: خصائص الاستلزام الحوارية.

المبحث الثالث: تطبيق الاستلزام الحوارية في معلقة امريء القيس.

أولاً: مبدأ الكم.

ثانياً: مبدأ الكيف.

ثالثاً: مبدأ الكم والكيف.

رابعاً: مبدأ الكيف والمناسبة.

خامساً: مبدأ الكم والكيف والمناسبة.

سادساً: مبدأ الكم والكيف والطريقة.

التّمهيد: مفهوم الاستلزام الحوارى .

أولاً: ل_____غة .

ثانياً: اص_____طلاحاً .

ثالثاً: نبذة عن امرىء القيس .

مفهوم الاستلزام الحواري:

يُعدُّ الاستلزام الحواريُّ (التَّخاطبيُّ) جانبًا مهمًّا من جوانب البحث النَّدَولِيِّ، ومن المصطلحات الحديثة التي برزت في العصر الحديث، حيث نحاول في هذا المبحث الكشف والبيان عن مفهوم الاستلزام الحواري، بعدة أداة للتواصل والتفاعل والتَّحاور بين المتكلم والمخاطب، وفيما يلي بيان مفهومي (الاستلزام والحوار) لغةً واصطلاحًا.

أولاً: لغةً.

جاء لفظ (الاستلزام) في معاجم اللغة بعدة معانٍ منها:

ل ز م - (لَزِمْتُ) الشَّيْءَ بالكسْرِ (لَزُومًا) و (لَزَامًا) و (لَزِمْتُ) بِهِ و (لَا زَمْتُهُ). و(اللزائم الملازم) ... و(الزَمَهُ) الشَّيْءَ (فَالْتَزَمَهُ). و(الالتزام) أيضًا الاعْتِنَاقُ⁽¹⁾، ومن المجاز: التزمه: عانقه⁽²⁾.

(لَزِمَ) الشَّيْءُ - لَزَمًا: ثبت ودام، و(اسْتَلْزَمَ) الشَّيْءَ كذا: اقْتَضَاهُ⁽³⁾.

ولازمه مُلازِمَةٌ وِلْزَامًا وِالتَّزَمَهُ وِالزَّمَهُ إِيَّاهُ فَالتَّزَمَهُ. وَهُوَ لَزِمَةٌ، كهُمَزَةٍ، أَي: إِذَا لَزِمَ شَيْئًا لَا يُفَارِقُهُ⁽⁴⁾.

مفادُ القول: إنَّ الاستلزام هو لزوم الشَّيْءِ وثباته ومعانفته وعدم مفارقتة إِيَّاه.

أمَّا لفظ (الحوار) في المعاجم اللُّغويَّةِ فله أيضًا عدَّة معانٍ:

جاءت مادَّة (ح، و، ر) في مختار الصِّحاح بمعنى التَّجاوُب، حيثُ يقول الرَّازِي: و(المُحَاوَرَةُ) المُجَاوِبَةُ و(التَّحَاوُرُ) التَّجَاوُبُ⁽⁵⁾.

وتحاوَرُوا: تَرَاجَعُوا الكلامَ بينهم... والتَّحَاوُرُ: التَّجَاوُبُ⁽⁶⁾. وحاوَرْتُهُ: راجعته الكلام وهو حسن الجوار⁽⁷⁾.

(1) مختار الصِّحاح/525.

(2) أساس البلاغة، مادَّة: لَزِمَ/167.

(3) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربيَّة/556.

(4) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادَّة: لَزِمَ/1469.

(5) 142/.

(6) القاموس المحيط، مادَّة: حَوَرَ/420.

(7) أساس البلاغة، مادَّة: حَوَرَ/221.

و(الحوار): حديثٌ يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي، أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح⁽¹⁾. وجاء أيضاً: وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام. والمُحَاوَرَةُ: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره⁽²⁾.

وقد وردت لفظة (حوار) في القرآن الكريم في عدة آيات منها: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى أيضاً: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْنُكِي إِلَيَّ اللَّهُ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾⁽⁵⁾.

جاءت كلمة (حوار) في الآيات القرآنية السابقة بمعنى المراجعة في الكلام والمجاوبة والكلام في المخاطبة بحسب المفهوم المعجمي⁽⁶⁾.

فالحوار بالمفهوم اللغوي كما ورد في المعاجم اللغوية يتضمن النجواب والتراجع في الكلام الذي يكون بين متحاورين اثنين أو أكثر، سواء أكان الحوار بينهم واقعياً، أم قصصياً، أم مسرحياً، بُغية إعطاء كل واحدٍ منهم رأيه المبني على الحجج والبراهين وحسن الحوار.

ثانياً: اصطلاحاً.

تعددت المفاهيم وتتوّعت حول مفهوم (الحوار) من وجهة نظر الباحثين، إلا أنّ معظمهم قد أجمع على أنّه تبادلٌ للأفكار والآراء بين شخصين أو أكثر يصحبه تأدّبٌ وحسنٌ في الحوار، بعيداً عن النعصب والخُصومة مدعماً بالأدلة والبراهين للوصول إلى تفاهمٍ واتّفاقٍ.

فالحوار إذن "هو عملية تبادل الأفكار والآراء بين محاورين اثنين أو أكثر لغرض بيان حقيقة مؤكّدة أو رأيٍ معيّن قد يتقبّله الآخر، أو قد يرفضه..."⁽⁷⁾.

أو هو "تبادل الآراء والأفكار حول موضوع معيّن، بين طرفين أو أكثر - بطريقة متكافئة - بعيداً عن النعصب للتوصّل إلى مفاهيم مشتركة أو متقاربة"⁽⁸⁾.

(1) المعجم الوجيز/177.

(2) لسان العرب، ابن منظور، مادّة: حَوَرَ، ج 3/384.

(3) الكهف:34.

(4) الكهف:37.

(5) المجادلة:1.

(6) يُنظر: الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد الصويان/16.

(7) هندسة الحوار، عبد القادر التبيخلي/15.

(8) الحوار بين أتباع المذاهب الإسلامية، محمّد الألفي/3.

ويمكن القول أيضاً: "إنَّ الحوار هو الوسيلة المثلى والتَّجَلِّي الأروع للتَّواصل بين البشر فكرياً ونفسياً واجتماعياً..."(1).

خلاصة القول:

- إنَّ الحوار أسلوبٌ لعرض الآراء ووجهات النَّظر يتخلَّله التَّأدُّب والتَّفهُم والاتِّفاق بين أطرافِ الحوار.
- فالاستلزام الحوارِيُّ إذن "هو ما يقتضيه الحوار من عوامل تجعله مؤثِّراً لكي يضبط علاقة المعنى الصَّريح بالمعنى المستلزم مقامياً، وهو المعنى الذي يفرضه المقام بما فيه من ظروف ومؤثِّرات، أو هو الانتقال من المعنى الصَّريح إلى المعنى المستلزم في الحوار بالاتِّكاء على بعض العوامل"(2).

- ويُعدُّ مفهوم الاستلزام الحوارِيُّ عند العياشي أدراوي "الصيق بلسانيَّات الخطاب، التي أخذَ معها البحث اللِّسانيَّ منحىً متميِّزاً، إذ لم يُعَدِ الأمر معها يُعنى بوضع نظريَّات عامَّة لعمليةِ الخطاب، وإنَّما انصبَّ الاهتمام على العملية في حدِّ ذاتها"(3).

- إنَّ معرفة دلالة الجمل ظاهرياً يقتضي معرفة ما تتضمنه تلك الجمل من معانٍ خفيَّة ومستلزمة، كما رأي ذلك العياشي أدراوي بقوله: "إنَّ التَّأويل الدلالي الكافي للكثير من الجمل يُصبح متعيِّزاً إذا تمَّ الاقتصار فيه فقط على المعطيات الظَّاهرة، الأمر الذي يتطلَّب تأويلاً آخر، ومن ثَمَّ يتمُّ الانتقال من المعنى الصَّريح إلى معنى مصرَّح به (معنى مستلزم حوارياً)"(4).

ثالثاً- نبذة عن امرئ القيس:

امرؤ القيس أمير شعراء الجاهليَّة (ت: 540هـ) على الأرجح، ومن أوائل طبقات فحول الشعراء، وأوَّل من نظَّم الشَّعر عند العرب، حيث اشتهر امرؤ القيس بمعلَّته التي تحطَّت وزادت أبياتها على السَّبَّعين بيتاً، وكلُّها من البحر الطَّويل وتنوَّعت أغراضها بين بكاءٍ على الأطلال، ووداعٍ للأحبَّة، والغزل الموصوف بالمجون والفجور، وهو الغالب في معلَّته على غيره من الأغراض الأخرى.

امتاز شعره الغزليُّ برقَّة الألفاظ وترتيبها، ورشاقة الأسلوب، وسعة الخيال، وروعة الكناية والاستعارة ودقَّة الوصف والتَّشبيه، وإجادة التَّصوير، وجميل المعاني، وتنوُّع الأغراض، واعتمد في الغزل على الأسلوب القصصيِّ وأسلوب الحوار والخطاب(5).

(1) الحوار في القرآن الكريم، مصطفى عطية جمعة، شبكة الألوكة www.alukah.net

(2) الإستلزام التَّخاطبيُّ في ضوء المقاربة الوظيفيَّة، أحمد المتوكِّل، محمَّد يزيد سالم - اللِّسانيَّات- العدد 24/ 237.

(3) الاستلزام الحوارِيُّ في النِّدال اللِّسانيِّ/17.

(4) المصدر السَّابق/18.

(5) يُنظر: العصر الجاهليِّ، شوقي ضيف / 260، 261.

كما أنّ معلقته تُعدُّ من أجمل المعلقات وأروعها، وقد تفضّل بعض الشُّرّاح بشرحها، إلا أنّ الرّوزني والتّبريزي يُعدّان من أبرز شُرّاحها.

كما أنّ الشّاعر أحسن التّشبيه إحساناً عظيماً، ولم يتبسّط في وصفه⁽¹⁾، وإنّما كان "يكتفي بالإشارة واللمحة ويترك للقاريء بعد هذا أن يتمّ الصّورة في خياله وأن يكمل اللّوحة في ذهنه"⁽²⁾، وبذلك يتسنى للمخاطب فهم مقصد الشّاعر ورضه ومراده وفقاً للسياق والمقام والظّروف المحيطة بالعملية التّخاطبية.

لذا يُعدُّ ديوانه مجالاً مناسباً للدراسة التّداوليّة المنبثقة عن النظريّات اللّسانيّة الحديثة من النّاحيتين النظريّة والتّطبيقية، وذلك بتحليل النّصّ أو الخطاب الشعريّ، وفهمه فهماً عميقاً، وربطه مقامياً، وسياقياً، وحوارياً. وقد رأى عبد القاهر الجرجانيّ أنّ غرض المتكلم من كلامه إبلاغ السّامع بمقصده ومراده، فقال: "وأخبروا السّامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يُعلّموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"⁽³⁾.

ومن هنا يُعدُّ ديوان امرؤ القيس أنموذجاً لإحداث التّواصل بين الشّاعر المبدع والمتلقّي، حيث استخدم الشّاعر الحوار في شعره بقصد التّواصل بينه وبين مخاطبيه، ممّا يدلُّ على أنّ هناك إمكانيّة لتطبيق قواعد مبدأ النّعاون لنظريّة الاستلزام الحوارية، وبيان مواضع خرق القواعد والمبادئ الجرايسية المتمثّلة في المبادئ الأربعة: الكمّ، والكيف والمناسبة، والطّريقة على هذا الدّيوان، والتي سنتناولها في هذا المبحث إن شاء الله.

(1) يُنظر: شرح المعلقات العشر، الرّوزني/25.

(2) المصدر السّابق/26.

(3) دلائل الإعجاز/45.

المبحث الأول: الاستلزام الحواري بين الأصالة والحداثة.

أولاً: عند اللغويين.

ثانياً: عند البلاغيين.

ثالثاً: عند الأصوليين.

رابعاً: عند المحدثين.

أولاً: عند اللغويين.

شغلت ظاهرة (المعنى) علماء العربية قديماً وحديثاً، فقد كانت لهم دراسات وإسهامات كثيرة في الكشف عن المعاني الصريحة والمعاني الضمنية، أو المعاني الأول والمعاني الثواني التي تتولد عن النص، فمارسوها دراسةً وتطبيقاً في مجالات النحو والبلاغة والأصول، فكثيراً ما يقول المخاطب كلاماً ما ويقصد به كلاماً آخر، وكذلك المخاطب قد يسمع كلاماً ما ويفهم به كلاماً آخر، بمعنى أن فهم المعنى وتأويله يحتاج إلى مجموعة من الظروف المحيطة بعملية الخطاب كالمتكلم، والمخاطب، والسياق وإلى غير ذلك، وفيما يلي عرض لأهم آرائهم:

أ- سيبويه:

(ت: 180هـ) من أبرز النحاة المتقدمين الذين كان لهم الأثر الكبير في فهم المعنى المقصود من الكلام فتناوله في عدة أبواب من بينها "هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لا يتسعهم في الكلام، والإيجاز والاختصار"⁽¹⁾.

وقد ضرب سيبويه أمثلة لا تساع الكلام والاختصار، جاء فيه قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾⁽²⁾ في الآية الكريمة حواراً بين المستكبرين والمستضعفين، حيث كان هذا رد المستضعفين على المستكبرين الذين لم يفتروا ليلاً أو نهاراً لصدهم عن سبيل الهدى وللمتمكين بالباطل⁽³⁾، والمعنى المقصود من الآية الكريمة أي "مكرهم في الليل والنهار"⁽⁴⁾.

ومن أمثلة الاتساع أيضاً، قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾⁽⁵⁾ فلم يشبهوا بما ينعق، وإنما شبهوا بالمنعوق به، وإنما المعنى "مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناقع والمنعوق به الذي لا يسمع. ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى"⁽⁶⁾.

ب- ابن جني:

وهذا ابن جني (ت: 392هـ)، تحدث في خصائصه عن (الحمل على المعنى) حيث أفرده له فصلاً، ومما جاء فيه قول الحطيئة:

طَافَتْ أَمَامَهُ بِالرُّكْبَانِ أَوْنَةً يَا حُسْنُهُ مِنْ قَوَامِ مَا وَمُنْتَقَبًا!⁽⁷⁾

ففي البيت حمل على المعنى أي: "يا حسنه قواما"⁽⁸⁾.

(1) الكتاب، ج 1/ 211.

(2) سبأ: 33.

(3) يُنظَر: في ظلال القرآن، مج 5/ 2909.

(4) المكتشف، ج 3/ 291، وجاء في تفسير ابن كثير "بل مكرهم بالليل والنهار" ج 5/ 555.

(5) البقرة: 171.

(6) الكتاب، ج 1/ 212.

(7) ديوان الحطيئة، شرح: ابن السكيت/ 5.

(8) الخصائص، ج 2/ 432.

وكذلك "قولك لمن قال لك: ما يصنع زيد؟ : بصلي أو يقرأ؛ أي الصلاة أو القراءة" (1).

ومن أمثله أيضًا قولهم: "تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه؛ أي سماعك به خيرٌ من رؤيتك له" (2).
فالحمل على المعنى عنده بحرٌ لا ينتهي ولا ينضب ولا ينقص ولا ينقطع ماؤه (3).

لذا فالاهتمام بالمعنى كان حاضرًا في دراسات وأعمال ابن جني، وفي أقواله إشارة واضحة في تحديد مقاصد الخطاب لتحقيق التواصل والتفاعل الإنساني.

فالمقاصد تُبنى على الخطاب اللغوي، ومن ثمَّ على السياق الذي حدت فيه الخطاب، ثمَّ على فهم المقاصد الكامنة من وراء الخطاب، وكذلك فهم قوة التأثير المراد تحقيقها (4).

إن فالظروف المحيطة بالكلام تُسهّم إسهامًا كبيرًا في تحقيق الأغراض وفهم المقاصد.

ثانيًا: عند البلاغيين.

كما نعلم أن لعلماء البلاغة كذلك فضلٌ في إبراز ظاهرة (الاستلزام الحواري)، فلم يكن التفكير العربي بعيدًا عن وصف هذه الظاهرة، بل كانوا على علم بها.
وذهب البلاغيون إلى أن (المعاني المستلزمة) لا يمكن معرفتها وفهمها إلا من خلال السياق والمقام الذي قيل فيه الكلام، وحال المتكلم والمتلقي والظروف المحيطة بها، ولقد لوحظت هذه الظاهرة من خلال بعض المصطلحات التي جاء بها الجرجاني والسيكاكي.

أ- عند الجرجاني:

بيّن الجرجاني (ت: 471هـ) في دلالة مصطلح (معنى المعنى) وفسّره إلى المعنى الأول والمعنى الثاني بقوله "فإذا رأيتهم يجعلون الألفاظ زينةً للمعاني وجليةً عليها = أو يجعلون المعاني كالجواري، والألفاظ كالمعارض لها وكالوشى المحبّر واللباس الفاخر والكسوة الرانقة، إلى أشباه ذلك مما يفجّمون به أمر اللفظ، ويجعلون المعنى يُنزل به ويشترّف = فاعلم أنّهم يصفون كلامًا قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى، فكئى وعرض ومثّل واستعار... " (5).

(1) الخصائص، ج2 / 434.

(2) المصدر السابق.

(3) يُنظر: المصدر نفسه / 435.

(4) يُنظر: استراتيجيات الخطاب / 79.

(5) دلائل الإعجاز / 263.

عليه فقد ميّز الجرجاني بين لفظة **(المعنى)** بمفهومها الظاهر الصريح المنطوق، وبين **(معنى المعنى)** بمفهومها الضمني الخفي المستلزم من خلال المقام والسياق وما عليه أحوال المخاطبين. وتعدّ الكناية من المواضيع التي تتمثل فيها ظاهرة الاستلزام الحواري، فقد عرفها الجرجاني بقوله: "وحاصل كلامه هي أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه / في الوجود، فيؤمى به إليه، ويجعله دليلاً عليه"⁽¹⁾. وقد تحدّث الجرجاني في فصل (في اللفظ يُطلق والمراد به غير ظاهره)، أنّ المتكلم أو المتحدّث عندما يُريد إثبات معنى من المعاني، فإنّه لا يأتي بلفظه كما هو في اللغة، وإنما يتلوه ويلحقه معنى آخر هو المقصود، ففي قولهم (كثيرٌ رماد القدر) هو المعنى الأوّل المباشر، أمّا المعنى الثّاني غير المباشر والمراد من الكلام فتتمثّل في (الحدود والكرم)؛ لأنّه إذا كثر القري كثر رماد القدر، وكذا في قولهم في المرأة: (نؤوم الضحى)؛ لأنّ المرأة كونها تنام إلى الضحى دليلٌ على حياتها المترفة وأنّها لها من يخدمها، وهذا هو المعنى غير المباشر والمراد من الكلام الذي يلي ويردّف المعنى المباشر.

فالمجازات والكنايات هي ما عبّر عنها الجرجاني **(بالمعنى ومعنى المعنى)**، ويُراد **(بالمعنى)** الدلالة الظاهرة من الكلام، **(ومعنى المعنى)** الدلالة الباطنة التي لا نفهمها من ظاهر الكلام، بل عن طريق فهم فحوى الكلام وما يقتضيه للوصول إلى غرض المتكلم⁽²⁾. فمن أمثلة العرب في الكناية قولهم: "يّاك وعقيلة الملح، جعلوا هذا كناية عن المرأة الحسنة في منبت السوء"⁽³⁾.

ومن قولهم في الكناية أيضاً: "فلان يُقدّم رجلاً ويؤجّز أخرى"⁽⁴⁾، والمراد به الشّخص الذي يحتار في أمره ولا يدري أيفعله أم يتركه⁽⁵⁾. كما يُعدّ التشبيه من الأساليب البلاغية التي يظهر فيها الاستلزام الحواري من جانب بيانه للمعنى الخفيّ فقيل: "هو تأنيس النّفس بإخراجها من خفي إلى جليّ..."⁽⁶⁾ وقيل: هو "الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار"⁽⁷⁾ وخذ أيضاً بأنّه: "الدلالة على مشاركة أمرٍ لآخر في معنى"⁽⁸⁾، وهذا المعنى هو الذي يصلّ النّفوس إلى المقصود من الكلام مدحاً أو ذمّاً أو اقتحاراً⁽⁹⁾.

إنّ قولنا: (زيدٌ أسدٌ) فيه تشبيه، الغرض منه وصف (زيد) بالقوّة والشّجاعة، وهذا هو المعنى المراد من الكلام⁽¹⁰⁾ فخرَج الكلام من معناه الظاهر وهو (الأسد) إلى المعنى الخفيّ وهو (القوّة والشّجاعة) استلزاماً.

(1) دلائل الإعجاز /66.

(2) يُنظر: شرح دلائل الإعجاز /122، 123، والجملة العربية والمعنى، فاضل السامرائي/22.

(3) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، اليمني، ج 1 / 416.

(4) المصدر السابق/417.

(5) يُنظر: المصدر نفسه.

(6) البرهان في علوم القرآن، الزركشي/881.

(7) المصدر السابق.

(8) الإيضاح في علوم البلاغة /164.

(9) يُنظر: المصدر السابق.

(10) يُنظر: البرهان في علوم القرآن /881.

وقد بيّن الجرجاني أنّ الأغراض والمقاصد في كلام العرب لا تُعرف من الألفاظ نفسها، ولكن المعاني التي نفهمها من الكلام هي التي تدلنا على غرض المتكلم ومقصده ومراده⁽¹⁾، "وهذا ينسجم مع منهج الشّيخ في التّدريج إلى استنباط المقاصد؛ إذ يدلك التأمّل في مجموع الكلام على معنى، وهذا المعنى يدلّك على المغزى معنى المعنى"⁽²⁾.

وقديماً "وقفت امرأة على قيس بن سعد، فقالت: أشكو إليك قِلّة الفأر في بيتي، فقال: ما أحسن ما ورثت عن حاجتها، أمثلوا بيتها خُبراً وسمناً ولحماً"⁽³⁾.

ومن قولهم أيضاً: "بعيدة مهوى القرط، فإنّه كناية عن طول عنقها"⁽⁴⁾، ففي الكناية يتجسّد المعنى الثّاني (المعنى المستلزم) من الكلام ويتجسّد فيها أيضاً مقصد المتكلم، فالقصدية باتت واضحة في كلام الجرجاني، حيث يقول: "وجملة الأمر أنّ للخبر وجميع معاني الكلام معانٍ يُنشئها الإنسان في نفسه ويُصرّفها في فكره ويُناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله وتُوصف بأنّها مقاصد وأغراض"⁽⁵⁾، فالقصدية في الكناية والاستعارة والتّمثيل لا نفهم معناها من اللفظ نفسه، ولكننا نستدلّه بمعنى اللفظ عليه⁽⁶⁾، "أي أنّ للفظ الكناية والاستعارة والتّمثيل معنى أول مباشر غير مقصود ولكن يستنبط منه معنى ثانٍ هو المراد..."⁽⁷⁾.

ب- عند السّكاكي:

كما لا يخفى ما للسّكاكي (ت: 626 هـ) من أعمالٍ تُبيّن كيفية الانتقال من المعنى الصّريح إلى المعنى المستلزم، وذلك عن طريق دراسة الأساليب الإنشائية وأخصّ بالذّكر (الإنشاء الطّلبي) حيث صنّفها علماء البلاغة إلى خمسة أغراض (الاستفهام، الأمر، التّهي، التّمّي، التّداء)، وهذه الأساليب البلاغية قد تخرج عن مقتضاها الظّاهر (المعنى الأصلي) إلى (المعنى الفرعيّ المستلزم) حسب الطّبقات المقامية المناسبة، "على اعتبار أنّ عديد العبارات اللّغوية يتغيّر معناها بحسب السّياق الذي تُستعمل فيه، الأمر الذي يجعلها تُفيدُ (معنى) إضافياً جديداً إلى الدّلالة الأصليّة"⁽⁸⁾.

وقد تمّ العرض لهذه الأساليب بالأمثلة وتفصيل القول فيها في المبحث الأوّل من الفصل الأوّل، وبيّنا كيفية خروج الكلام عن مقتضاه الظّاهر إلى معانٍ أخر، بحسب السّياق والقرائن والأحوال المصاحبة للتلقّظ، وهذا الخروج يُطابق (الاستلزام الحواريّ) في اللّسانيّات المعاصرة، ولكن سيتمّ ذكر بعض الأمثلة لخروج الكلام عن مقتضاه الظّاهر استلزاماً وذلك فيما يلي:

- (1) يُنظر: شرح دلّائل الإعجاز / 517.
- (2) المصدر السّابق، الهامش 6 / 517.
- (3) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج 1 / 392.
- (4) المصدر السابق، ج 1 / 430.
- (5) دلّائل الإعجاز / 543.
- (6) ينظر: شرح دلّائل الإعجاز / 518.
- (7) المصدر السّابق، الهامش 4 / 518.
- (8) الاستلزام الحواريّ في التّداول اللّسانيّ، العياشي أدراوي / 26.

قوله تعالى: ﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾⁽¹⁾، حيث تمّ الاستفهام عن العدد بـ (كم) بمعنى "كم آتيناهم أعشرين أم ثلاثين...، فكم ههنا للسؤال عن العدد، لكن الغرض من هذا السؤال هو التّقرّيع والتّوبيخ"⁽²⁾.

فخرَج الاستفهام بـ (كم) عن معناه الأصليّ الموضوع له (بالعدد) إلى معنى آخر مستلزم لغرض التّقرّيع والتّوبيخ فُهم من خلال سياق الآية الكريمة.

ونحو قوله تعالى: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا﴾⁽³⁾ فمن خلال سياق الآية خَرَج الاستفهام عن غرضه الأصليّ، إلى معنى آخر مستلزم وهو التّهكم والسّخرية، "وذلك أنّ شعبيّاً -عليه السّلام- كان كثير الصّلاة وكان قومه إذا رأوه يصلّي تضحكوا، فقصّدوا بقولهم (أصلاتك تأمرك) الهُزء والسّخرية لا حقيقة الاستفهام"⁽⁴⁾.

أمّا في قوله تعالى: ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾⁽⁵⁾، خَرَج الأمر عن مقتضاه الظّاهر إلى معنى مستلزم وهو (التّعجيز) فهمناه من خلال السّيق، "إذ ليس المراد طلب إتيانهم بسورة من مثله لكونه محالاً..."⁽⁶⁾ ولكن ذلك جاء على سبيل (التّعجيز).

ونحو قول المتنبيّ مخاطباً سيف الدولة:

أَخَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِينَ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلٌ⁽⁷⁾

ففي البيت السّابق خَرَج الأمر عن معناه الأصليّ (وهو طلب الأعلى للأدنى منزلة وجوباً) إلى معنى مستلزم (الدّعاء)، وهو خطاب الأدنى للأعلى منزلةً وشأناً⁽⁸⁾.

وقوله أيضاً:

لَا تَيَأْسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ فَلَرَبِّ مَغْلُوبٍ هَوَىٰ تُمْ اِرْتَقَى⁽⁹⁾.

جاء في هذا البيت أسلوب (نهّي)، ولكنّه خَرَج أيضاً عن معناه الأصليّ (النّهي) إلى معنى مستلزم فُهم من خلال سياق البيت، وهو استنهاض الهمم والبعد عن اليأس لاسترداد مجد الأمم.

عموماً، يمكن القول بأنّ: علماء البلاغة المتقدّمين كالجرجانيّ والسّكاكيّ، كانوا على علم بالطريقة التي يتّبعها المتكلم لتوصيل أغراضه ومقاصده عن طريق السّيق أو المقام الذي يُنجز فيه الكلام.

(1) البقرة: 209.

(2) شرح المختصر في الهامش/ 211.

(3) هود: 87.

(4) شرح المختصر، الهامش/ 215.

(5) البقرة: 22.

(6) شرح المختصر، الهامش/ 218.

(7) ديوان المتنبيّ/ 376.

(8) يُنظر: علم المعاني / 77.

(9) ديوان حافظ إبراهيم، ج 2/ 60.

ثالثاً: عند الأصوليين.

وبالحديث عن الأصوليين نجد أنه كان لهم الأثر البالغ في دراسة ظاهرة الاستلزام الحواري من خلال حديثهم عن ظاهرتي المنطوق والمفهوم، وتمييزهم بين اللفظ الصريح واللفظ غير الصريح، فالصريح هو المعنى الأصلي (الحرفي) الظاهر للمدلول عليه بصيغة النص وغير الصريح (المفهوم) أو المستلزم، الذي يفهم من دلالة النص ودلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء،⁽¹⁾ أو هو الدلالة التي "تسوق إلى الفهم من النطق به دون أن تدلّ عليها الألفاظ بحرفيتها..."⁽²⁾، وغير الصريح في اصطلاح الأصوليين أنه ما دلّ على مقصد ومراد المتكلم بعكس الصريح الذي يظهر المراد منه واضحاً وبيّناً⁽³⁾.

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَفُنُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثَلَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ جَفُنُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾⁽⁴⁾، حيث "يفهم من دلالة أو عبارة النص ثلاثة معانٍ: إباحة ما طاب من النساء، وتحديد أقصى عدد الزوجات بأربع، وإيجاب الاقتصار على واحدة إذا خيف الجور وكلها مقصودة من سياقه؛ لأنّ هذه المعاني يدلّ عليها النصّ دلالة واضحة وظاهرة"⁽⁵⁾.

أمّا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾⁽⁶⁾، يفهم من عبارة النصّ القرآنيّ تحريم أكل أموال اليتامى ظلماً وجوراً، ويفهم من دلالاته تحريم حرقها وإتلافها وإفسادها، لأنّ فيه اعتداء على مال القاصر العاجز⁽⁷⁾ وهذا ما فهمناه من خلال سياق الآية الكريمة.

وأما في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "وُضِعَ عَن أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ"⁽⁸⁾ وقوله -عليه السلام-: "مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ إِلَى الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ"⁽⁹⁾، وقوله أيضاً: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"⁽¹⁰⁾، أي لا عمل إلا بنية، في النصوص النبوية السابقة دلالة اقتضاء، ويقصد به "المعنى الذي لا يستقيم الكلام إلا بتقديره، فصيغة النصّ ليس فيها لفظ يدلّ عليه ولكن صحتّها واستقامة معناها تقتضيه، أو صدقها ومطابقتها للواقع تقتضيه"⁽¹¹⁾، لذا نجد في النصّ الأوّل معنى خفياً (مستلزماً) يقتضيه السياق، وتقديره "رُفِعَ عَن أُمَّتِي إِثْمُ الْخَطَأِ: فَإِلَيْكُمْ مَحْذُوفٌ اقْتَضَى تَقْدِيرَهُ صَحَّةَ مَعْنَى النَّصِّ..."⁽¹²⁾.

(1) يُنظر: مفهوم الاستلزام التخاطبي في الفكر اللغوي العربي القديم، يوسف تغزاوي/ منتديات تخاطب takatub.ahlamotada.com

(2) السياق والنصّ الشعري من النبوة إلى القراءة، علي آيت أوشان/ 127.

(3) يُنظر: فواتح الرّحموت بشرح مُسلم الثبوت، اللكنوي، ج 1 / 449.

(4) النساء: 3.

(5) مفهوم الاستلزام في الفكر اللغوي العربي القديم / منتديات تخاطب.

(6) النساء: 10.

(7) يُنظر: علم أصول الفقه وخصائص التشريع الإسلامي، عبدوهاب خلاف/ 141.

(8) حديث صحيح رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن عباس، ج1، الحديث 8273 / 161، وفي رواية " إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَن أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ" أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس، من كتاب صحيح الجامع الصّغير وزيادته الحديث 375 / 1836.

(9) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل، الحديث 181 / 730.

(10) رواه البخاري في صحيحه، الحديث 119 / 1.

(11) علم أصول الفقه وخصائص التشريع الإسلامي / 142.

(12) المصدر السابق / 142.

حيثُ أضمِرَ نفيُ المؤاخِذةِ والعقابِ أو الإثمِ في الخبرِ الأوَّلِ، أمَّا في الخبرِ الثَّانيِ نفيُ صحَّةِ وتَمَامِ الصَّومِ وفي الثَّالثِ نفيُ الفائدةِ والجدوى⁽¹⁾.

ففي (الاقْتضاء) يبرِزُ المعنى الثَّانيِ المقصودُ من الكلامِ بحسبِ السِّياقِ الواردِ فيه، وهذا المعنى الثَّانيِ هو ما عبَّرَ عنه جرابيس في نظريَّته الحديثية (بالمعنى المستلزم).

أمَّا في قوله تعالى: ﴿ اَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾⁽²⁾، فيه دلالةُ إشارةٍ، "وهي دلالةُ النَّصِّ عن معنى لازمٍ لما يُفهم من عبارته غيرِ مقصودٍ من سياقه، يحتاج فهمه إلى فضلٍ تأمُّلٍ أو أدناه، حسب ظهور وجه التَّلَازُمِ وخفائه"⁽³⁾.

فُهمَ من الآيةِ الكريمةِ السَّابِقةِ، وجوب وجود طائفةٍ من الأُمَّةِ تُستشار في أمرها وتمثِّلها؛ لأنَّ تنفيذ الأمرِ ومشاورة الأُمَّةِ يستلزم ذلك، فهذا كلُّه تَمَّ عن طريق فُهمِ ألفاظِ النَّصِّ، لا من سياقه، ومن إشارته لا من عبارته⁽⁴⁾.

خلاصة القول:

- إنَّ علماء الأصول كان لهم السَّبِقُ في دراسة ظاهرة الاستلزامِ الحواريِّ من خلال حديثهم وتمييزهم بين دلالة النَّصِّ والعبارة والإشارة، وبين صريح اللَّفْظِ ومضمرة، عن طريق فُهمِ المعنى المراد والمقصود من سياق النَّصِّ.
- كما تبيَّن وجود أُطرٍ مشتركةٍ بين ما جاء به العرب المتقدِّمون من نحاةٍ وبلاغيين وأصوليين وبين ما جاء به الفيلسوف بول جرابيس، صاحب نظريَّة الاستلزامِ الحواريِّ، من ناحية اهتمامهم بالمعنى والمقصد وتفريقهم بين المعنى المباشر وغير المباشر.

(1) يُنظر: الأحكام في أصول الأحكام، ج 3 / 61.

(2) آل عمران: 159.

(3) علم أصول الفقه وخالصة التَّشريع الإسلامي/ 138.

(4) يُنظر: المصدر السابق / 139.

رابعاً- عند العرب المحدثين:

أمَّا بالنسبة لجهود علماء العربية المحدثين، فقد كانت لهم آراء حول هذه النظرية أمثال:

أ- أحمد المتوكّل:

الذي قام بوضع دراسة لظاهرة الاستلزام الحواري، بيّن فيها آراء السكاكي واقتراحاته حول وصف هذه الظاهرة، المتمثلة في أنه عند امتناع إجراء الجمل الطليبة الخمسة (النمّي، والاستفهام، والأمر، والنهي والنداء) على أصلها، تولّد لدينا بمعونة قرائن الأحوال معنى آخر، والانتقال بالجملة من طلب يمكن الحصول عليه إلى طلب لا يمكن الحصول عليه⁽¹⁾، فوضع موازنةً بين تحليل السكاكي وتحليل جرايس على مستوى مبدأ الخرق وذكر أنّ اقتراحات السكاكي حول هذه الظاهرة امتازت بدقّتها وبقدرتها التنبؤية، وبيّن دقّتها في أنّ الشروط التي تؤدي إلى خرق المبدأ أو الخروج من معنى إلى معنى آخر، لا تختصّ بنوعيّة معيّنة من الجمل وهي الجمل الطليبة، بل تختصّ بكلّ معاني الجمل الطليبة الخمسة (الاستفهام، الأمر، النمّي، النهي، النداء)، وهذه الدقّة لا نجدها في اقتراحات جرايس التي طبّق فيها ظاهرة الاستلزام على قواعد الخطاب المتعلقة بالجمل الخبرية عموماً، كما تمتاز اقتراحاته بقدره معيّنة على التنبؤ من خلال إجراء المعنى الأصلي ومن تمّ انتقاله إلى معنى آخر مناسب للمقام، وبالتالي لا يمكن (إلغاء الاستلزام) الذي يُعدُّ خاصيّة مهمّة من خصائص الاستلزام الحواري التي فعّد لها جرايس⁽²⁾.

فالمتوكّل بيّن لنا كيف ينتقل الكلام من المعنى الحرفي المباشر إلى المعنى غير المباشر (المستلزم) عن طريق فهم المتكلم والمخاطب لفحوى الخطاب أو الحوار الجاري بينهما.

ولقد وضع المتوكّل تعميمات توصّل إليها من خلال ما أشار إليه السكاكي نوضّحها فيما يلي:⁽³⁾

- التعميم الأول: انتقال الجملة من الدلالة على المعنى الأصلي إلى معنى آخر عن طريق خرق أحد شروط إجراء المعنى الأصلي، فالمعنى المتولّد في "هل من شفيح؟" هو النمّي، (غير ممكن الحصول عليه)، يقابله الشرط المخروق (ممكن الحصول) باعتباره شرطاً من شروط إجراء الاستفهام على أصله.
- التعميم الثاني: وبموجبه يتمّ انتقال الجملة الاستفهامية (بالخرق) من دلالتها على السؤال إلى دلالتها على التمني أي من شرط (طلب ممكن الحصول) إلى شرط (طلب غير ممكن الحصول).

(1) يُنظر: مفتاح العلوم /304.

(2) يُنظر: دراسات في نحو اللغة الوظيفي، أحمد المتوكّل /101.

(3) يُنظر: المصدر السابق /102.

وأوضح المتوكّل أنّ الأخذ بهذه التّعميمات في التّقييد لظاهرة الاستلزام الحواريّ يقتضي ما يلي: (1)

أولاً: إعادة النّظر في شروط إجراء المعاني على أصلها خبريّة كانت أم طلبيّة، عن طريق إضافة شروط أخرى (للمعاني الطّليّة) التي اقترحها السيّكاكي، وأيضاً للمعاني التي لم يدقّق السيّكاكي في قواعدها إجرائها (كالوعيد والزّجر، والتّهديد وغيرها) ليتسنى ضبط عمليّة الانتقال بين معنى وآخر.

ثانياً: تحييص مدى كفاية هذه التّعميمات في وصف ظاهرة الاستلزام لا باعتبارها ظاهرة من ظواهر اللّغة العربيّة فحسب، بل باعتبارها أيضاً ظاهرة كليّة، تشمل كلّ لغات العالم الأخرى.

ثالثاً: الموازنة الدّقيقة بين هذه التّعميمات وبين التّعميمات الحديثة، ليتبيّن إلى أيّ حدّ يمكن طرح الأولى. وأشار المتوكّل أيضاً إلى أنّ القوّة الإنجازيّة صنفان: "قوّة إنجازيّة حرفيّة" وهي القوّة الإنجازيّة المدلول عليها بصيغة الجملة (استفهام، أمر، خبر...) وقوّة إنجازيّة مستلزمة". هي القوّة الإنجازيّة التي تأخذها الجملة في طبقات مقاميّة معيّنة" (2) ففي القوّة الإنجازيّة الحرفيّة تتولّد القوّة الإنجازيّة المستلزمة بحسب السّياق والمقام وبحسب الطّروف المحيطة بالمتكلم والمخاطب والخطاب.

ففي الحوار القائم بين الطّالب وصديقه تتّضح القوّة الإنجازيّة الحرفيّة والقوّة الإنجازيّة المستلزمة. (3)
أ- ألا تزورني اللّيلة؟
ب- سأمتحن صباح الغد.

فالقوّة الإنجازيّة الحرفيّة المباشرة تمثّلت في الجملة الأولى (بالاستفهام)، أمّا القوّة الإنجازيّة المستلزمة غير المباشرة فتمثّلت في (اعتذاره عن عدم تلبية الدّعوة) حيث تمّ فهم ذلك من خلال السّياق.

لذلك اتّخذ المتوكّل النّحو الوظيفيّ "مفهوماً جديداً يستلزم إمام المتكلم - المخاطب بالمعايير التي تمكّنه من إنجاز الكلام في طبقات مقاميّة معيّنة... (4)

(1) يُنظر: دراسات في نحو اللّغة الوظيفيّة / 103.

(2) دراسات في نحو اللّغة الوظيفيّة / 161.

(3) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر / 84.

(4) مناهج الدّرس النّحويّ في العالم العربيّ في القرن العشرين، عطا موسى / 354.

ب- طه عبد الرحمن:

أقترَحَ (طه عبد الرحمن) نموذجًا من التراث الإسلامي يبنِي فيه الخطاب على صدق المتكلم سَمَاه (مبدأ التصديق)، وصيغته كالآتي:

- لا تقل لغيرك قولًا لا يصدِّقه فعلك.

حيث عدَّ طه عبد الرحمن هذا المبدأ (مبدأ التصديق) من المبادئ التي يَبْنِيها المتكلم للتعبير عن مراده وللوصول إلى هدفه، وخلصه أنه يبنِي على عنصرين اثنين:

أولها: نقل القول فيما يتعلَّق بالجانب التَّبليغي أثناء الخطاب.

ثانيها: تطبيق القول فيما يتعلَّق بالجانب التَّهذيبي⁽¹⁾.

حيث يفتَرَع من مبدأ التصديق نوعان من القواعد هما: قواعد التَّواصل، وقواعد التَّعامل، ووضع لقواعد التَّواصل ضوابط وشروط سَمَاها (شروط الكلام)، وهي أربعة كما جاءت عند الماوردي⁽²⁾.

- الشَّرْطُ الأوَّل: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إمَّا في اجتلاب نفع، أو دفع ضررٍ.
- الشَّرْطُ الثَّاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخَّى به إصابة فرصته.
- الشَّرْطُ الثَّالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته.
- الشَّرْطُ الرَّابِع: أن يتخيَّر اللفظ الذي يتكلم به.

أمَّا بالنسبة لقواعد التَّعامل المتفرَّعة على مبدأ التصديق في الجانب التَّهذيبي فقد استقاها طه عبد الرحمن من كتب التراث الإسلامي، وصاغها مع قواعد التَّخاطب على النحو الآتي:⁽³⁾

- قاعدة القصد: لتتفَقَّد قصدك في كلِّ قولٍ تُلقِي به إلى الغير.
- قاعدة الصِّدق: لتكن صادقاً فيما تنقله إلى غيرك.
- قاعدة الإخلاص: لتكن في تودِّدك للغير متجرِّداً عن أغراضك.

فعند تأملنا في قواعد التَّواصل الأربعة يتبيَّن لنا ما يلي:

- القاعدة الأولى: تقوم مقام مبدأ التَّعاون، في اشتراكها تحديد هدف معيَّن (المخاطبة).
- القاعدة الثَّانية: تقوم مقام قاعدة العلاقة (المناسبة)، وتشترط أن لكلِّ مقامٍ مقالاً يناسبه.

(1) يُنظر: اللسان والميزان والتَّكثير العقلي، طه عبد الرحمن /249.

(2) أدب اليَّن والنُّبيا، الماوردي/ 443.

(3) اللسان والميزان والتَّكثير العقلي / 250.

- **أما القاعدة الثالثة:** فهي تقوم مقام قاعدة الكَمِّ، وتشتدُّ قدر مناسب من الكلام.
- **وأما القاعدة الرابعة:** فهي تقوم مقام قاعدة الجهة (الطريقة) من حيث مراعاة صحَّة المعاني وفصاحة الألفاظ ووضوحها⁽¹⁾.

وعند حديثنا عن قواعد التَّعامل نجدها تتضمَّن:

- قاعدة القصد والتي بدورها تصل المستوى التَّبليغيَّ بالمستوى التَّهذيبيَّ، فعند تحقُّق قصد المتكلِّم من الكلام تتحدَّد مسؤوليته الأخلاقية (الجانب التَّهذيبيُّ)، وعند صون المتكلِّم قوله عن اللُّغو فإنَّها تساعد على إفادة المخاطَب بالمعنى المراد، وهذا هو (الجانب التَّبليغيُّ).
- وقد يخرجُ الكلام عن دلالاته الظَّاهرة إلى دلالة خفية، وذلك بحسب مقصد المتكلِّم، فيخرجُ القول عن ظاهره إلى معنى آخر خفي لا يتبادر إليه مباشرة، فيفهمه المخاطَب بمعونة القرائن المقاليَّة والمقامية.
- قاعدة الصِّدق: وتكون بممارسة الصِّدق في الخبر، والصِّدق في العمل، ومطابقة القول للقول.
- فالصِّدق في هذه العناصر الثلاثة من أسباب التَّقارب بين المتكلِّم والمخاطَب، لتعلُّقه بالجانب التَّهذيبيُّ أكثر من تعلُّقه بالجانب التَّبليغيُّ.
- قاعدة الإخلاص: ومفادها أنَّ زيادة التَّأدُّب واحترام الحقوق من جانب المتكلِّم يدعو إلى زيادته من جانب المخاطَب⁽²⁾.
- ويمكن القول بأنَّه: "متى تحقَّق المتكلِّم بالصِّدق في الخبر والصِّدق في العمل والصِّدق في مطابقة قوله لفعله انفتح باب التَّواصل الصادق بينه وبين المخاطَب وتزايدت أسباب التَّقارب بينهما..."⁽³⁾.

هذا ما أجادَ به (طه عبد الرَّحمن) في بيانه (لمبدأ التَّصديق) القاعدة الخامسة التي تُعدُّ استكمالاً للمبادئ التَّعاونية الأربعة التي لم يأتِ بها (جرايس)، حيث بَرَزَ اهتمامه بالجانب التَّبليغيُّ وهو ممارسة الصِّدق في الخبر وحده، وإهماله لجانب الصِّدق في العمل، وإهماله أيضاً للجانب التَّهذيبيُّ (مبدأ الصِّدق في العمل، والصِّدق في مطابقة قوله لفعله) بين كلِّ من المتكلِّم والمخاطَب.

(1) يُنظر: اللِّسان والميزان والتَّكوثر العقلي/250.

(2) يُنظر: استراتيجيات الخطاب/ 94، 95.

(3) اللِّسان والميزان والتَّكوثر العقلي/ 252.

المبحث الثاني: الاستلزام الحواريُّ عند الغربيين.

أولاً: جرایس والاستلزام الحواريُّ.

ثانياً: أنواع المعنى عند جرایس.

ثالثاً: مبدأ التَّعاون وقواعد المحادثة.

رابعاً: خصائص الاستلزام الحواريِّ.

أولاً: جرایس والاستلزام الحواری.

أمّا في البحث الغربيّ المعاصر فقد برَّرَ (جرایس Grice) صاحب نظريّة (الاستلزام الحواری)، التي تُعدُّ مبحثاً من مباحث الدرس التّدووليّ اللّسانيّ، حيث ترجع نشأة هذا البحث إلى المحاضرات التي ألقاها جرایس وهو من فلاسفة أكسفورد في جامعة هارفارد سنة 1967م، إذ قدّم فيها بإيجاز تصوّره للاستلزام الحواری، والأسس المنهجیّة التي تقوم عليها، وقد نُشرت له مجموعة من المحاضرات سنة 1975م، منها ما كان بعنوان (المنطق والحوار)، إلاّ أنّه لم یقم بتطوير أفكاره وأعماله، فخرجت أعماله ناقصة في بعض الأحيان، وغامضة وغير مفهومة في حين آخر وعلى الرّغم من ذلك كلّّه نجد أنّ نظريّته أصبحت محطّ اهتمام كثيرٍ من العلماء والباحثین، وأصبحت من أهمّ النظريّات في البحث التّدووليّ⁽¹⁾.

تمثّلت الفكرة الرئیسیّة عند جرایس في أنّ النّاس في حواراتهم یقولون كلاماً ویقصدون به شيئاً آخر، وذلك بتوضیح الفرق بین ما یقال وما یقصد⁽²⁾، لذلك نجده قد راعى مبدأ القصدیّة بین المتخاطبین، "أي أنّه قام بالتمييز بین المضامين الدلاليّة الحقیقیّة للعبارة ومضامينها الاستعماليّة"⁽³⁾، فالمتكلم حينما ینطق بالعبارة لا یقصد بها معناها الظاهر الحقیقی، بل یذهب إلى أكثر من ذلك، إلى فهم المعنى الخفی الضمینی حسب السیاقات المناسبة وقرائن الأحوال.

إنّ فهم المخاطب لمقاصد ونوايا المتكلم ضروريّ لإحداث العمليّة التّواصلیّة التّفاعليّة، لذا "یشدّد جرایس في التّواصل اللّغويّ على نوايا القائل وعلى فهم المخاطب لهذه النّوايا"⁽⁴⁾، فكان لزاماً علیه التّفريق بین المعنى الصّریح المباشر والمعنى الضمینی غیر المباشر (المستلزم حوارياً) مع مراعاة المقام والسیاق التّدووليّ.

ثانياً: أنواع المعنى عند جرایس.

إنّ للمعنى عند جرایس أنواعاً وأقساماً عدّة، منها ما یتعلّق بظاهر الكلام، ومنها ما یتعلّق بالسیاق أو المقام وغيرها وفيما يلي بیان لكلّ منها:

أ- المعاني الصّریحة: "هي المدلول عليها بصیغة الجملة ذاتها أو وحدها...، وتشمل حمولة المعاني الصّریحة (المحتوى القضوي) أي (معاني مفردات الجملة مضمومًا بعضها إلى بعض، والقوّة الإنجازیّة الحرفیّة) أي (القوّة الإنجازیّة المؤشّر لها بصیغة الجملة كالاستفهام والأمر والإخبار...)"⁽⁵⁾.

ب- المعاني الضمینیّة: هي المعاني التي لا تدلّ عليها صیغة الجملة وحدها، بل تتعلّق أيضاً بالسیاق، وهي بدورها تنقسم إلى قسمین:⁽⁶⁾

(1) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر / 32.

(2) يُنظر: المصدر السّابق / 33.

(3) نظريّة المقاصد بین الأصولیین واللّسانيّات التّدووليّة / 247.

(4) التّدووليّة اليوم، علم جديد في التّواصل / 53.

(5) يُنظر: اللّسانيّات الوظيفیّة، أحمد المتوكّل / 28.

(6) في لسانیّات النّصّ، جمیل حمداوي / 112.

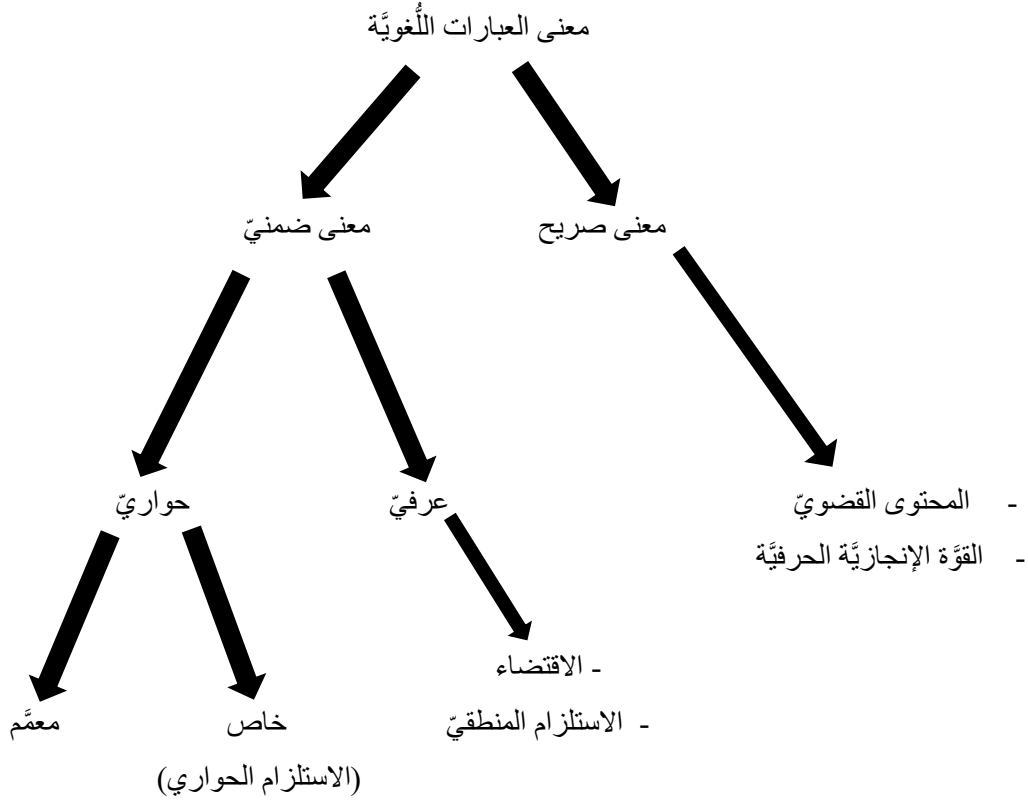
- معاني عرفية: وهي المعاني التي ترتبط بالجملة ولا تتغير بتغير السياقات، وتتمثل في الاقتضاء (الإحالة) والاستلزام المنطقي أي (الدلالة المنطقية).

- معاني حوارية: هي المعاني التي تتولد داخل الجمل المنجزة بحسب السياقات والمقامات المختلفة.

وهي بدورها كذلك تنقسم إلى قسمين:

- الاستلزمات الحوارية الخاصة: تكون مرتبطة بسياق خاص معين داخل الجملة.
- الاستلزمات الحوارية العامة: لا تكون مرتبطة بسياق خاص أو معين داخل الجملة.

وكما يمكن توضيح المعاني الصريحة والضمنية عند جرايس بالرسم الآتي: (1)



وللتوضيح أكثر لتلك المعاني الجرايسية نضرب المثل الآتي:

- 1- هل عليّ في البيت؟
- 2- شاهدت سيارة عليّ تقف عند بائع الخضار في نهاية الشارع.

(1) اللسانيات الوظيفية / 29.

نجد أنّ هذا المثال يحتوي على معنيين اثنين هما:

- أ- **المعنى الصريح**: هو الذي يتّم فهمه من خلال صيغة الجملة ذاتها، حيث تشتمل هذه الجملة على (محتوى قضويّ) وهي مفردات الجملة المضمون بعضها إلى بعض، و (قوّة إنجازيّة حرفيّة) المتمثّلة بـ (هل) الاستفهاميّة. فالمعنى الصريح دلّ على وقوف سيّارة عليّ عند بائع الخضار، فهذا هو المعنى الظاهر.
- ب- **المعنى الضمني**: هو الذي يتّم فهمه من خلال سياق الجملة، حيث خرّج الكلام عن معناه الظاهر الصريح إلى معنى آخر مستلزم حوارياً (ضمنيّ) فهمناه من خلال السّياق (أنّ عليّاً ليس بالبيت)⁽¹⁾. فالمخاطب هنا أجاب المتكلّم إجابةً مضمرّة خفيّة نوى أو قصّد من خلالها بيان (أنّ عليّاً ليس بالبيت)، كلُّ ذلك تمّ فهمه من سياق الكلام.

ثالثاً: مبادئ التّعاون وقواعد المحادثة.

تحدث العمليّة التّواصلية بين المتخاطبين عن طريق مجموعة من القوانين والضوابط اللازمة لإحداث هذه العمليّة، ذلك لأنّ "المتخاطبين عندما يتحاورون، إنّما يقبلون ويتبعون عدداً معيّناً من القواعد الصّمنيّة اللازمة لاشتغال التّواصل. والمبدأ الأساسي هو "مبدأ التّعاون"⁽²⁾، الذي وضعه جرابيس لتسهيل عمليّة التّخاطب بين المتكلّم والمخاطب و"الذي يقتضي أنّ المتكلّمين متعاونون في تسهيل عمليّة التّخاطب، وهو يرى أنّ مبادئ المحادثة المتفرّعة عن مبدأ التّعاون هي التي تُفسّر كيف نستنتج المفاهيم الخطائيّة"⁽³⁾.

لذا فالمتكلّم يمكن أن يقول شيئاً ما ويقصد به شيئاً آخر، والمخاطب يمكن أن يسمع شيئاً ما ويفهم شيئاً آخر.⁽⁴⁾ ويرى أيضاً أنّه لكي تتمّ التّفاعلات الحوارية وتؤديّ غرضها، لا بدّ للمتخاطبين من التّعاون فيما بينهم ويكشفوا عن مقاصدهم ومرادهم، وبذلك افترض وجود تعاون وتشارك بين أطراف الحوار لإنجاز وتحقيق المطلوب⁽⁵⁾.

و للخروج من كلّ تلك المعضلات، أنشأ جرابيس جسراً بين المتكلّم والمخاطب أسماه مبدأ التّعاون

(Principleco_ operative) الذي يقوم على أربعة مبادئ فرعيّة هي:⁽⁶⁾

- 1- مبدأ الكمّ (Quantity) : اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من غير زيادةٍ أو نقصانٍ.
- 2- مبدأ الكيف (Quality) : أن يكون كلامك صحيحاً، غير كاذب، مع وجود دليلٍ عليه.
- 3- المناسبة (Relevance) : أي مناسبة الكلام للموضوع.
- 4- الطريفة (Manner) : أن يكون الكلام واضحاً ومحدّداً، موجزاً ومرتبّياً، بعيداً عن الغموض واللّبس.

(1) يُنظر: النّظريّة النّداوليّة وأثرها في الدّراسات النّحويّة المعاصرة / 22، 23.

(2) النّداوليّة من أوستن إلى غوفمان / 84.

(3) مدخل إلى اللّسانيّات / 99.

(4) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر / 33، 34.

(5) يُنظر: الاستلزام الحواريّ في النّداول اللّسانيّ / 98.

(6) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللّسانيّ المعاصر / 34، 35.

وقد عبّر طه عبدالرحمن عن تلك القواعد بقوله: "لقد أُريد بهذه القواعد النَّخاطِيبَةُ أَنْ تنزل منزلة الصَّوَابِ التي تضمن لكلِّ مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية؛ إلاَّ أنَّ المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد ولو أنَّهما يدومان على حفظ مبدأ التَّعاون؛ فإذا وقعت هذه المخالفة، فإنَّ الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصَّريح والحققي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معاني ضمنية ومجازية..."(1).

إنَّ تلك هي أبرز القواعد والمبادئ التي وضعها جريس لإحداث حوارٍ أو خطابٍ فعَّالٍ ومثمرٍ بين المتخاطبين، لذا "يُعدُّ الحوار الحقلُ الفعَّالُ المباشر للتفاعل اللُّغوي، ويكشف عن البعد الاستعماليِّ في تحقيق قَصْد المتحاورين"(2).

إنَّ في المثال الآتي حوارٌ بين الرُّوج وزوجه يوضِّح لنا المبادئ الجرايسية التي تحدثُ بين البشر وفق ضوابط وقواعد معينة يدركها كلاً من المخاطب والمتكلم.

- الرُّوج: أين مفاتيح السيَّارة؟
- الرُّوجة: على الطاولة.

لقد تحقَّقت في هذا المثال المبادئ الجرايسية الحوارية، فقامت الرُّوجة باستعمال القدر المطلوب من الكلمات دون زيادةٍ أو نقصانٍ، فوافقت بذلك مبدأ (الكَمِّ)، وكانت صادقةً في كلامها، فوافقت بذلك مبدأ (الكيف)، وكانت إجابتها واضحة لا لبس فيها ولا غموض فوافقت بذلك مبدأ (الطريقة أو الجهة)، وكانت إجابتها مناسبة لسؤال زوجها، فوافقت بذلك مبدأ (المناسبة أو العلاقة).

ورأى جريس أنَّ هذه المبادئ كثيراً ما يحدث لها انتهاك، وهذا الانتهاك في المبادئ الحوارية يوِّد (الاستلزام الحوارية) بين المتخاطبين، فالمتكلم حينما ينتهك أحد تلك المبادئ الأربعة، فإنَّ المخاطب يُدرك قَصْد المتكلم ونواياه من هذا الانتهاك، فلا يتنظر إلى المعنى الحرفي المباشر بل يذهب إلى المعنى الخفي المستلزم من الكلام، وليبين ذلك نستعين بالمثال الآتي:

الأستاذ أ: هل الطالب ج مستعدٌ لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

الأستاذ ب: إنَّ الطالب ج لاعب كرة ممتاز.

ففي الحوار السابق نجد أنَّ الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) تدلُّ على معنيين:

(1) اللسان والميزان والتكثير العقلي / 239.

(2) النظرية البراجماتية اللسانية / 90.

- أولهما حرفي، وثانيهما مستلزم، فالمعنى الحرفي المباشر هو أنَّ الطالبَ لاعبِ كرةٍ ممتازٍ، أمَّا المعنى المستلزم فهو أنَّ الطالبَ غير مستعدٍ لإكمال دراسته الجامعيَّة في قسم الفلسفة، وبذلك قام الأستاذ (ب) بخرق مبدأ (الكَمِّ) فلم يعطنا قدرًا كافيًا من المعلومات عن الطالب، فخرَجَ بذلك الكلام عن معناه الحرفيِّ إلى المستلزم حوارياً⁽¹⁾.

ومثالٌ آخر على خرق مبدأ (الكَمِّ) من خلال (الإطناب) أي بالزيادة في الكلام، وذلك في الحوار الحاصل بين (أ، ب).

أ- من الفريق الفائز؟

ب- حصلَ الفريق الأول على 26 نقطة، وحصلَ الفريق الثاني على 25 نقطة.

فكان بإمكان (ب) الإجابة بقوله: فازَ الفريق الأول، ولكنَّه أطالَ في إجابته إمَّا لتخفيف الصدمة على الفريق الآخر أو ليجعلَ المرسل إليه يتوصل إلى الإجابة بنفسه⁽²⁾.

وفي حوارٍ بين تلميذ (أ) وأستاذ (ب):

أ- طهران في تركيا، أليس هذا صحيحًا يا أستاذ؟

ب- طبعًا، ولندن في أمريكا!

في هذا الحوار أجاب الأستاذ تلميذه متعمدًا إجابةً غير صادقة؛ ليُظهر لتلميذه أنَّ إجابته غير صحيحة، ويؤيِّبه على عدم علمه بذلك، فخالف الأستاذ مبدأ (الكيف) بإجابته تلك، واستطاع التلميذ الوصول إلى مقصد أستاذه، لعلمه أنَّ لندن ليست في أمريكا، وأنَّ قول التلميذ غير صحيح.

وفي حوارٍ بين رجلين:

أ- أين زيد؟

ب- ثمة سيارَة صفراء تقف أمام منزل عمرو.

في هذا الحوار أيضًا يتضح لنا أنَّ (ب) قد اخترقَ مبدأ (المناسبة) لأنَّه أجاب إجابةً ليست لها علاقةٌ بالسؤال ولكنَّ السائل استطاع التوصل إلى المقصد والمراد من أنَّه إذا كان لزيد سيارَة صفراء فلعلَّه موجود عند عمرو⁽³⁾.

(1) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر / 35، ونظريَّة المقاصد بين الأصوليين واللسانيات التداولية / 253.

(2) يُنظر: استراتيجيات الخطاب / 438.

(3) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر / 36، 37.

وفي مثل ذلك حوارِ الطِّفْلِ مع أمِّه:

• لماذا كسرتِ اللَّعْبَةَ يا بابا؟

• ماما، ما لون سيَّارة الجيران؟

حيث أجابَ الطِّفْلُ إجابةً غير مناسبة للسؤال الأصليِّ، وذلك ليتجنَّب عقاب أمِّه⁽¹⁾.

ففي هذا المثال خرقٌ لمبدأ (المناسبة) لعدم وجود علاقةٍ بين سؤال الأمِّ وإجابة الطِّفْلِ، فبإجابة الطِّفْلِ فهمتِ الأمُّ مقصد طفلها ومراده.

وفي حوارٍ آخر بين رجلين:

أ- ماذا تريد؟

ب- فُؤم، واتَّجه إلى الباب، وضعِ المفتاح في القفل، ثم أدركه ناحية اليسار ثلاث مرَّاتٍ، ثم ادفع الباب برفقٍ.

في هذا الحوار تمَّ انتهاك مبدأ (الطريقة)، لأنَّ (ب) أطالَ في إجابته ولم يُوجز، فكان بإمكانه أن يقول: افتح

الباب ولكنَّه أطالَ ليوضِّح لنا مقصده ومراده، وهو مؤاخذته على ما يتميِّز به بين بطءٍ وتكاسلٍ⁽²⁾.

وقد يكون انتهاك مبدأ (الطريقة) باستعمال الإلباس القصدِيِّ في الخطاب، مثل قولك: لا تأكلِ اللَّيْمون بعد

العصر.

لفظُ (العصر) فيه اشتراكٌ لفظيٌّ قد يكون مرجعه زمنيُّ، أي بعد صلاة العصر، أو بعد استخلاص العصير

من اللَّيْمون، فالمخاطب لا يمكنه فهمَ قصد المتكلِّم لغموض الكلام وعدم حصول الفهم، فهذا الإلباس لا يفهمه المخاطب إلا بمعرفة السِّياق والظُّروف المحيطة بالعملية الكلامية⁽³⁾.

رابعاً- خصائص الاستلزام الحواري:

وضَّع جرابيس خواصَّ تُميِّز الاستلزام الحواري عن غيره من الاستلزمات الأخرى نوضِّحها فيما يلي:⁽⁴⁾

أ - الاستلزام يمكن إلغاؤه:

قد يلغى الاستلزام عادةً وذلك إذا أضافت المتكلِّم قولاً يمنع حدوث الاستلزام، ففي قول القارئة لكاتبٍ مثلاً: لم

أقرأ كلَّ كُتُبِكَ، فقد يستلزم المعنى أنها لم تقرأها كلها بل قرأت بعضها، فإذا زادت على كلامها بقولها: الحقُّ أيُّ لم

أقرأ أيَّ كتابٍ منها، فتكون بذلك قد ألغت الاستلزام.

(1) يُنظر: استراتيجيات الخطاب/ 442.

(2) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر / 37.

(3) يُنظر: استراتيجيات الخطاب / 442.

(4) يُنظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر / 38، 39، 40.

ب- الاستلزام لا يقبل الانفصال عن محتواه الدلالي:

بمعنى أن جرایس أراد أن الاستلزام الحواري لا يتصل بالصيغة اللغوية التي قيل بها، بل يتصل بالمعنى الدلالي، فتغير المفردات أو العبارات واستبدالها بمرادفاتها، لا يلغي الاستلزام لبقاء معناه، ففي هذا الحوار الجاري بين الأختين يتضح المراد:

1- لا أريدك أن تتسلي إلى غرفتي على هذا النحو.

2- أنا لا أتسل، ولكن أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء.

فعلى الرغم من تغير المفردات إلا أن المعنى المستلزم من الكلام بعدم الرضا عن سلوكها لا يزال قائماً.

ج- الاستلزام متغير:

بمعنى أن الاستلزام متغير بتغير السياقات المختلفة، فمثلاً لو سألنا طفلاً يحتفل بعيد ميلاده: كم عمرك؟ من باب (طلب العلم)، وإذا سألناه السؤال نفسه لصبي عمره خمسة عشر عاماً، فقد يستلزم سؤالنا توبيخاً له بعدم الرضا عن سلوكه فالاستلزام هنا يتغير ويتبدل بحسب سياق الحديث أو الكلام.

د- الاستلزام يمكن تقديره:

بمعنى أن المخاطب قادر على الوصول إلى مراد وقصد المتكلم، فلو قيل مثلاً: الملكة فيكتوريا صنعت من حديد فإن المخاطب يُعد فكره عن قبول المعنى اللفظي للعبارة، ويتجه إلى معرفة ما وراء هذه العبارة، فيفهم المقصد والمغزى باعتبار أنها تمتاز بصفة الصلابة والمتانة وقوة التحمل، حيث لجأ المتكلم إلى التعبير الاستعاري لعلمه أن المخاطب قادر على فهم المعنى غير الحرفي أو غير المباشر.

خلاصة القول في هذا المبحث ما يلي:

1- يُعد جرایس الفيلسوف الغربي المؤسس الأول لنظرية (الاستلزام الحواري).

2- تقوم هذه النظرية على معرفة (القصدية) بين المتخاطبين لإتمام العملية التواصلية.

3- إن التفريق بين المعنى الصريح المباشر من المعنى الضمني غير المباشر هو أساس هذه النظرية التداولية.

4- تعتمد هذه النظرية على أربعة مبادئ جرایسية (الكم، والكيف، والمناسبة، والطريقة).

5- اختراق المبادئ الجرايسية تؤدي إلى حدوث الاستلزام الحوارية.

6- وضع جرايس مجموعة من الخواص التي ميّزت الاستلزام الحوارية عن غيره من الاستلزمات الأخرى كالافتراض المسبق، والاستلزام العرفي، الأفعال الكلامية.

7- إن بقاء الاستلزام الحوارية مرتبط ببقاء محتواه الدلالي، فلا يمكن الفصل بينهما، وفهمه يكون بحسب السياق الوارد فيه، ومعرفة يكون بالوصول إلى مراد ومقصد المتكلم.

المبحث الثالث: تطبيقُ الاستلزامِ الحواريِّ في معلّقةِ امرئِ القيسِ.

أولاً: مبدأُ الكَمِّ

ثانياً: مبدأُ الكِيفِ.

ثالثاً: مبدأُ الكَمِّ والكِيفِ.

رابعاً: مبدأُ الكِيفِ والمناسبةِ.

خامساً: مبدأُ الكَمِّ والكِيفِ والمناسبةِ.

سادساً: مبدأُ الكَمِّ والكِيفِ والطَّريقةِ.

التَّمهيد.

يُعَدُّ الاستلزام الحواريُّ أحدَ الجوانبِ التَّداوليَّةِ الذي يهتمُّ بالمعنى المراد إيصاله للمخاطَب، فالكلام له معانٍ صريحة مباشرة وأخرى ضمنيَّة مضمرة، لا يستطيع المخاطَب الوصول إلى مقصد المتكلِّم إلا بتوفُّر مجموعة من العوامل والمعارف المشتركة بين طرفي الخطاب كالسِّياق والمقام وغيرها.

وقد أشارَ جرایس من خلال نظريَّة الاستلزام الحواريِّ إلى أنَّ المتكلِّم عندما يتحدَّث بكلام معيَّن لا يقصد به ذلك الكلام الظَّاهر الصَّريح وإنما قد يقصد به معنىً آخر خفيًّا ومستلزمًا يلفظه المتكلِّم ويفهمه المخاطَب، وقد توصَّل إلى إطلاق مبدأ النَّعوان الذي ينصُّ على أنَّ المتكلِّمين يتعاونون على فهم المعنى المقصود ضمنيًّا وذلك عن طريق أربعة مبادئ (الكَم، والكيف، والطَّريقة، والمناسبة) وعند خرق أحد تلك المبادئ التَّعاونيَّة فإنَّه يتولَّد لدينا معنىً آخر مستلزمًا ومقصودًا بحسب سياق الكلام.

لذا تمَّ في هذه الدِّراسة تطبيق المبادئ التَّعاونيَّة الأربعة على معلِّقة امرئ القيس، فلقد تمَّ خرق تلك المبادئ إمَّا بزيادة في الكلام أو نقصان، وإمَّا بعدم مطابقة الكلام للمقام، أو بانعدام الصِّدق في الكلام، فكلُّ تلك الخروقات أدَّت إلى خروج الكلام عن معناه الحرفيِّ الظَّاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود، عليه قد يتناول البيت خرقًا لمبدأ الكَم فقط أو الكيف فقط أو الكَم والكيف معًا، أو الكَم والكيف والمناسبة، أو الكَم والكيف والطَّريقة، ولم تتوفَّر نماذج لتطبيق مبدأ الطَّريقة في هذا الدِّيوان إلا في بيتٍ واحدٍ بخلاف المبادئ الأخرى (الكَم، والكيف، والمناسبة) والتي تمثَّلت بكثرة في أبيات المعلِّقة وفيما يلي بيان لكلِّ منها:

أولاً- مبدأ الكَم:

يقولُ الشَّاعرُ:

قفا نَبِّك من ذِكْرِي حبيبٍ ومَنْزِلٍ
بِسْفَطِ اللَّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلٍ⁽¹⁾

بدأ امرؤ القيس معلِّقته بفعل الأمر (قفا) حيث "خاطَب صاحبيه، وقيل: بل خاطَب واحدًا، وأخرج الكلام مخرج الخطاب مع الاثنين؛ لأنَّ العرب من عادتهم إجراء خطاب الاثنين على الواحد والجمع"⁽²⁾. فهو يقول: قفا وأسعداني وأعيناني على البكاء عند تذكرِّي حبيبًا فارقته ومنزلًا خرجتُ منه، ومكان ذلك المنزل بمنقطع الرَّمْل المعوجِّ بين هذين الموقعين (الدَّخُولِ فَحَوْمِلٍ)⁽³⁾.

حيث خرَّج الشَّاعر من الأسلوب الإنشائيِّ الطَّلبيِّ (الأمر) بصيغة الفعل (قفا) إلى غرضٍ بلاغيٍّ آخر ومقصدٍ آخر وهو (الالتماس)، أي من القوَّة الحرفيَّة وهي (الأمر) إلى القوَّة المستلزمة وهي (الالتماس)؛ لأنَّ الشَّاعر ومخاطبيه متساوون في الرُّتبة، فامرؤ القيس يلتبس من صاحبيه إعانته على تذكرُّ أحبَّته الذين فارقتهم، وعلى منزله الذي خرَّج منه مع تحديده لمكان ذلك المنزل ووقوعه بين الدَّخُولِ فَحَوْمِلٍ.

(1) ديوان امرئ القيس، عبد الرَّحمن المصطاوي/21.

(2) شرح المعلِّقات السَّبْع، الرُّوزني/4.

(3) يُنظر: المصدر السَّابق/5.

ففي ظاهر الكلام يتبين لنا وكأنَّ الشَّاعر يأمرُ صاحبيه بالتَّوقُّفِ لتذكُّرِ الأحبَّةِ والدِّيارِ، ولكنَّ الخطاب هنا خَرَجَ عن معناه الأصليِّ (الأمر) إلى معنى آخر مستلزمًا وهو (الالتماس) فهمناه من خلال سياق الكلام، حيث تمَّ خرقُ مبدأ (الكَمِّ) فقد أوجزَ الشَّاعر في مطلع قصيدته، ولم يعطنا معلومات كافية عن الحبيب والمنزل، ودكَّرهُمَا معًا في مصراعٍ واحدٍ ولم يُفصِّل القول فيهما⁽¹⁾، فخرَجَ الكلام من معناه الحرفيِّ إلى المعنى المستلزم والمقصود.

لذا يُعدُّ مبدأ الكَمِّ من المباديء النَّعائنيَّة الجرايسيَّة التي يتولَّد عنها الاستلزام الحواريُّ.

وفي قول امرئ القيس:

وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيْبُهُمْ يَفُوْلُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلُ⁽²⁾

يُفهَمُ من هذا البيت أنَّ الشَّاعر كانَ في حالةٍ بائسةٍ، تدعو للشَّفقة، لذا جاء أصحابه الذين وقفوا عليه رواحلهم يأمرونه بالصَّبْر على ما ألمَّ به من همومٍ وأحزانٍ، وينهونه عن الجزع⁽³⁾، حيث تمثَّلت الدلالة الحرفيَّة الظَّاهرة في أسلوبِ الأمر والنَّهي (لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلُ)، فخرَجَ الشَّاعر بهذا الأسلوب الإنشائيِّ الطَّلبيِّ (الأمر والنَّهي) إلى التَّحذير "ليُعبِّرًا بدقَّة عن الحالة المأساويَّة التي يمرُّبها"⁽⁴⁾، فخرَقَ بذلك مبدأ (الكَمِّ)، لأنَّه أفادنا بمعلومات قليلةٍ وغير كافيةٍ، فخرَجَ بهذا الكلام من المعنى الحرفيِّ الظَّاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود حوارياً.

ويتمثَّل هذا المبدأ أيضًا في قول رسولنا الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في قصَّة أصحاب الأخدود التي دارَ فيها الحوار بين الملك والگلام: " فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَأَسْتَبِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَتَصْنُبِّي عَلَى جِدْعٍ ثُمَّ خَذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كِبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغَلَامِ ، ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي"⁽⁵⁾ . لقد فصَّل الغلام وأطنبَ في وصفه للطريقة التي يتمُّ بها قتله من قِبَل الملك وأطالَ في حديثه ؛ ليوصلنا إلى مقصده ومراده من نتيجة هذه الحادثة ، " وقد ملأتِ القلبَ بالرَّوعة . روعة الإيمان المستعلي على الفتنة، والعقيدة المنتصرة على الحياة، والانطلاق المتجرِّد من أوهام الجسم وجاذبيَّة الأرض"⁽⁶⁾ . فخرَقَ بتلك الرِّيادة مبدأ الكَمِّ، الذي جعله جريس بين المتحاورين، واشترط فيه قدرًا مناسبًا من الكلام بغير زيادةٍ أو نقصانٍ، فخرَجَ الكلام من المعنى الحرفيِّ إلى المعنى المستلزم والمقصود حوارياً والذي أرادَه الغلام.

(1) يُنظر: العصر الجاهلي، محمَّد الاشر/85.

(2) ديوان امرئ القيس /24.

(3) يُنظر: شرح المعلقات السَّبْع / 7، الحوار في الشُّعر العربيِّ القديم، شعر امرئ القيس أنموذجًا، محمَّد مرعي Blogger.com.

(4) الحوار في الشُّعر العربيِّ القديم، شعر امرئ القيس أنموذجًا.

(5) رياض الصَّالحين، النَّووي، الحديث/ 31 / 62، 63، 64.

(6) في ظلال القرآن مج 6 / 3874.

وفي قول امرئ القيس:

عَدَائِرُهُ مُسْتَشْرَرَاتٌ إِلَى الْعَلَا
تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُنْتَى وَمُرْسَلٍ⁽¹⁾

يصفُ الشَّاعرُ غدائرَ محبوبته (والغدائرُ: الدَّوَابُّ)⁽²⁾ بأنَّ خصلاتَ شعرها مرتفعةٌ إلى فوق، وأنَّ (العقاص) والعقصةُ: الظَّفيرةُ)⁽³⁾ تغيب في شَعْرِ مُنْتَى وبعضه مُرْسَلٌ، فهذا هو المعنى الحرفيُّ الظَّاهر، أمَّا المعنى المستلزم والمقصود من قوله: (غدائرُهُ مستشزراتٌ إلى الغلا) ففيه كناية عن أنَّ شعرها قد شُدَّ على رأسها بخيوط، وأمَّا في قوله: (تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُنْتَى وَمُرْسَلٍ)، فيريدُ به وفورَ شعرها وكثافتِهِ وغازاتِهِ،⁽⁴⁾ وهذا ما تمَّ فهمه من خلال سياق الكلام.

فبحسب مبادئ جرایس التَّعاونيَّةِ خَرَقَ الشَّاعرُ مبدأ (الكَمِّ) لإطنابه في وصف شعر محبوبته، فكان بإمكانه أن يكتفي بقول: إِنَّ شَعْرَ محبوبته غزيرٌ وكثيفٌ بدون زيادة وإطالة في الوصف.

وَتُضْحِي قَتِيْبُ الْمَسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نُوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ⁽⁵⁾

يقولُ امرؤ القيس إنَّ: محبوبته تُضحى ودقائقُ المسكِ فوق فراشها الذي باتت عليه، وهي كثيرة النُّوم وقت الضُّحى وتستيقظُ متأخِّرةً، وأنها لا تُشدُّ وسطها بنطاقٍ، فهذا هو المعنى الحرفيُّ الظَّاهر، أمَّا المعنى المستلزم والمقصود ففيه كناية على أنَّها: مخدومة مُترفة مُنعمَةٌ تُخدَم ولا تُخدَم، وأنَّ لها من يخدمها ويكفيها أموراً فلا تعمل بنفسها، ولا تحتاجُ إلى مهنة البيت⁽⁶⁾ وقد فهمنا ذلك كلَّه من سياق الكلام، فخرَقَ الشَّاعرُ بحسب المعنى الحرفيِّ مبدأ (الكَمِّ) في قوله: (نُوُومُ الضُّحَى)؛ لأنَّه لم يُعطينا معلوماتٍ كافيةٍ ولم تكن بالقدر المطلوب، فخرَجَ الكلام من المعنى الحرفيِّ إلى المعنى المستلزم والمقصود، والذي فهمناه من خلال سياق البيت.

ومنه قول جرير مادحاً الخليفة:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمُطَايَا
وَأَنْدَى الْعَالَمِيْنَا بَطُونٌ رَاحٍ⁽⁷⁾

(1) ديوان امرئ القيس/ 43.

(2) مختار الصحاح، مادة: عَدَّرَ/ 413.

(3) القاموس المحيط، مادة: عَقَصَ / 1121.

(4) يُنظر: شرح المعلقات السبع / 26، 27.

(5) ديوان امرئ القيس / 44.

(6) يُنظر: شرح المعلقات السبع/ 28، وديوان امرئ القيس/ 19.

(7) ديوان جرير/ 85.

إنَّ الهمزة هنا ليست للاستفهام أو الاستخبار، وإنما جُعِلت للتقرير⁽¹⁾، فقد خَرَجَ الاستفهام عن معناه الحرفي الظاهر إلى معنى آخر استلزامًا، وذلك لتقرير قوله: "يُرِيدُ أَنَّهُمْ خَيْرٌ هُوَ لَاءٌ"⁽²⁾، فهذا هو المعنى المستلزم والمقصود وقد أفاضَ الشَّاعر في وصفه وَرَادَ عن القدر المطلوب فَخَرَقَ بذلك مبدأ (الكَمِّ) بحسب القواعد الجرايبيَّة التي تنصُّ على جعلِ الكلام بالقدر المطلوب دون زيادةٍ في القول أو نقصانٍ.

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرْحَلٍ⁽³⁾

المِرْطُ: وهي أكيسةٌ من صوفٍ أو خَزٍ يُؤْتَرَزُ بِهِ⁽⁴⁾، المُرْحَلُ: "مِرْطٌ مُرْحَلٌ: عليه تصاوير الرِّحال"⁽⁵⁾

يقولُ الشَّاعر امرؤ القيس بحسبِ المعنى الحرفي الظاهر: إنَّه أخرجها من خدرها وهي تمشي وتجرُّ ورائنا مرطها المنقوش الذي عليه صورُ الرِّحال⁽⁶⁾، أمَّا المعنى المستلزم والمقصود، فيُرِيدُ به أنَّها "جرتُ ذيلها لئتمحو آثار أقدامنا"⁽⁷⁾ فَخَرَقَ بذلك مبدأ (الكَمِّ) لإطالته في وصف (ذيل رداؤها) فكان بالإمكان أن يقول: تجرُّ ورائنا الذَّيْلَ، دون زيادةٍ أو إطالةٍ في الوصف فَخَرَجَ بذلك الكلام من معناه الحرفي إلى المعنى المستلزم والمقصود.

إِلَى مِثْلِهَا يَزْنُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً إِذَا مَا اسْبَكْرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمَجْوَلٍ⁽⁸⁾

يقولُ امرؤ القيس: إنَّه إلى مثلِ محبوبته ينبغي للعاقل أن ينظر شوقًا لها وحنينًا إليها وذلك إذا امتدَّ طولها بين من تلبسُ الدِرْعَ وهو قميص المرأة، وبين من تلبسُ المَجْوَلَ وهو الثَّوب الذي تلبسه الجارية، وعلى هذا يكون المعنى الظاهر، أمَّا المعنى المستلزم والمقصود الذي يريده الشَّاعر ففيه كناية على أنَّها طويلةُ القِدِّ مديدةُ القامة، وهذا لتمام شبابها⁽⁹⁾، ففي قوله: (اسبكرت بين درعٍ ومجول) فيه خرقٌ لمبدأ (الكَمِّ) لإعطائه معلومات غير كافية، فلم تكن تلك المعلومات بالقدر المطلوب، وهذا الخرق هو الذي أدى إلى خروج الكلام من المعنى الأصلي إلى المعنى المستلزم والمقصود والذي تمَّ فهمه من سياق الكلام.

(1) يُنظر: شرح المَعْلَقَات العشر / 42.

(2) المصدر السَّابِق.

(3) ديوان امرئ القيس / 37.

(4) مختار الصَّحاح، الرَّازِي، مادَّة: مِرْطٌ / 547.

(5) لسان العرب، ابن منظور، مادَّة: رَحَلٌ / ج 5 / 171.

(6) يُنظر: شرح المَعْلَقَات السَّبْع / 21.

(7) جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي / 98.

(8) ديوان امرئ القيس / 46.

(9) يُنظر: شرح المَعْلَقَات السَّبْع / 30، ديوان امرئ القيس / 20.

ويَتَبَيَّنُ لنا كذلك خرق مبدأ (الكَمْ) في الحوار الذي جرى بين سيدنا موسى - عليه السَّلام - تمثَّل في قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَلْكَ بِبَيْمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْتَوُكَا عَلَيْهَا وَأَهْسُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَارَبُّ أُخْرَى﴾⁽¹⁾، فيه خروج عن مبدأ الكَمْ، حيث أفاض سيدنا موسى - عليه السَّلام - في إجابته عن سؤال ربِّه - عزَّ وجلَّ - فكان بالإمكان أن يُوجز في الإجابة فيقول: هي (عصاي) فقط دون إطالة في الكلام.

وَقَرَبَةَ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا . عَلَى كَاهِلٍ مِنِّي ذُلُولٍ مُرْحَلٍ⁽²⁾

يقول : "وربَّ قربة أقوام جعلت عصامها أو وكاءها على كاهل ذلول قد رحل مرَّة بعد مرَّة مِنِّي"⁽³⁾ والكاهل "وهو" مقدَّم أعلى الظَّهر ممَّا يلي العنق"⁽⁴⁾، فهذا هو المعنى الحرفي الظَّاهر، حيث "استعارَ حَمَلَ القربة لتحمل الحقوق، ثمَّ ذَكَرَ الكاهل؛ لأنَّه موضع القربة من حاملها"⁽⁵⁾، فجاء المعنى هنا بشكلٍ غير مباشرٍ عن طريق الاستعارة، أمَّا المعنى المستلزم والمقصود الذي فهمه المخاطب، فيأتي على معنيين: أحدهما تعوُّده تحمُّل الحقوق والنَّوائب، والثَّاني: يُريدُ به أنَّه يقومُ بخدمة أصحابه ورفقائه في السَّفر وقيامه بسُقيا الماء لهم⁽⁶⁾، فنَّمَّ بذلك خرق مبدأ (الكَمْ)؛ لأنَّ المخاطب أفادنا بزيادة في المعنى المقصود، فتعدَّدت المعاني المستلزمة، ممَّا أدَّى إلى خروج المعنى الحرفي الظَّاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود.

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزِلِ⁽⁷⁾

الصَّفْوَاءُ: الحجارة⁽⁸⁾ اللَّبْدُ: ما يوضع تحت السَّرَجِ⁽⁹⁾.

في هذا البيت يَصِفُ امرؤ القيس فرسه الكُمَيْتِ بأنَّه: يَزِلُّ لَبْدُهُ عن متنه كما يَزِلُّ الحجرُ الصُّلْبُ الأملس المطر النازل عليه، فمن خلال وصفه هذا يتبيَّن لنا المعنى الحرفي الظَّاهر، أمَّا المعنى المستلزم والمقصود الذي أراده من خطابه في هذا الموضوع، فيريدُ به اكتناز لحم فرسه وانملاس ظهره، الأمر الذي يؤدي إلى انزاله عن متنه كما يزلُّ الحجر الصُّلْبُ الأملس المطر النَّازل عليه⁽¹⁰⁾، فَخَرَقَ الشَّاعِرُ بذلك الكلام مبدأ (الكَمْ) لإطالته في وصف فرسه وتمدحه بها.

(1) طه: 16-17.

(2) ديوان امرئ القيس / 51.

(3) شرح المعلقات السَّبْع / 34.

(4) القاموس المحيط، مادَّة: كَهَلْ / 1442.

(5) المصدر السَّابِق

(6) يُنظر: المصدر السَّابِق.

(7) ديوان امرئ القيس / 55.

(8) مختار الصحاح، مادَّة: صَفَا / 321.

(9) المعجم الوجيز، مادَّة: لَبْدٌ / 549.

(10) يُنظر: شرح المعلقات السَّبْع / 38.

يُزَلُّ الْعُلَامُ الْخَفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ⁽¹⁾

الخَفَّ: خَفَّفَ الشَّيْءَ: جَعَلَهُ خَفِيفًا، الصَّهْوَةُ: مَوْضِعُ السَّرَجِ مِنْ ظَهْرِ الْفَرَسِ⁽²⁾.

أَلْوَى: وَأَلْوَتْ بِهِ: دَهَبَتْ بِهِ⁽³⁾.

يَصِفُ امْرؤُ الْقَيْسِ فَرَسَهُ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ هَذَا الْفَرَسَ يُزَلُّ وَيُزَلُّ الْغُلَامُ الْخَفِيفَ عَنْ مَقْعَدِهِ مِنْ ظَهْرِهِ وَيُرْمِي بِثِيَابِ الرَّجْلِ الْعَنِيفِ الثَّقِيلِ"⁽⁴⁾، فِي قَوْلِهِ: (وَيُرْمِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ) يَتِمَّنُّ الْمَعْنَى الْحَرْفِيَّ الظَّاهِرَ، أَمَّا الْمَعْنَى الْمُسْتَلْزَمُ وَالْمَقْصُودُ، فَيُرِيدُ بِهِ الشَّاعِرُ أَنَّ هَذَا الْفَرَسَ يُسْقَطُ مِنْ لَمْ يَكُنْ جَيِّدًا فِي الْفُرُوسِيَّةِ، وَيُرْمِي بِأَثْوَابِ الْفَارَسِ الْمَاهِرِ الْمُتَمَكِّنِ مِنَ الْفُرُوسِيَّةِ؛ لِشِدَّةِ عَدُوِّهِ وَجَرِيَّتِهِ⁽⁵⁾، وَهَذَا مَا فَهَمَهُ الْمَخَاطَبُ، فَحَرَّقَ الشَّاعِرُ مَبْدَأَ (الْكَمِّ) لِإِعْطَانِهِ مَعْلُومَاتٍ غَيْرِ كَافِيَةٍ، فَلَمْ تَكُنْ بِالْقَدْرِ الْمَطْلُوبِ، فَحَرَّجَ الْكَلَامَ مِنْ مَعْنَاهِ الْحَرْفِيِّ إِلَى مَعْنَاهِ الْمُسْتَلْزَمِ بِحَسَبِ السِّيَاقِ الْوَارِدِ فِيهِ.

لَهُ أَيُّطَلَا ظَبْيِي وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْحَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْقُلٍ⁽⁶⁾

شَبَّهَ امْرؤُ الْقَيْسِ أَيُّطَلِيَّ أَوْ خَاصِرْتِي فَرَسَهُ بِخَاصِرَةِ الظَّبْيِ، وَسَاقِيهِ بِسَاقِي النَّعَامَةِ، وَعَدُوَّهُ بِإِرْحَاءِ السِّرْحَانِ (الدَّبَبِ)، وَتَقْرِيْبِهِ بِتَقْرِيْبِ النَّتْقَلِ (التَّلْعَبِ)⁽⁷⁾، فِي هَذَا الْوَصْفِ يَتِمَّنُّ الْمَعْنَى الْحَرْفِيَّ الظَّاهِرَ، أَمَّا الْمَعْنَى الْمُسْتَلْزَمُ وَالْمَقْصُودُ فَيُرِيدُ بِهِ الشَّاعِرُ مِنَ التَّشْبِيهِ الْأَوَّلِ: بَيَانِ ضُمُورِ خَصْرِ فَرَسِهِ، وَمِنَ التَّشْبِيهِ الثَّانِي: انْتِصَابِ وَطُولِ فَرَسِهِ وَمِنَ التَّشْبِيهِ الثَّلَاثِ: سَهُولَةِ وَاسْتِرْسَالِ عَدُوِّهِ وَجَرِيَّتِهِ، وَمِنَ التَّشْبِيهِ الرَّابِعِ: قَفْزُهُ الشَّدِيدِ الَّذِي يُشْبَهُ التَّلْعَبَ الْخَائِفَ⁽⁸⁾ فَحَرَّقَ بِذَلِكَ مَبْدَأَ (الْكَمِّ) لِإِعْطَانِهِ مَعْلُومَاتٍ غَيْرِ كَافِيَةٍ وَلَمْ تَكُنْ بِالْقَدْرِ الْمَطْلُوبِ، وَلَكِنَّ الْمَخَاطَبَ فَهَمَّ مَقْصِدَ التَّكَلِّمِ وَمَرَادَهُ مِنَ تَشْبِيهِهِ فَحَرَّجَ الْكَلَامَ مِنْ مَعْنَاهِ الْحَرْفِيِّ إِلَى الْمَعْنَى الْمُسْتَلْزَمِ وَالْمَقْصُودِ وَالَّذِي تَمَّ فَهَمُهُ مِنْ خِلَالِ سِيَاقِ الْبَيْتِ.

(1) ديوان امرئ القيس، 57.

(2) المعجم الوجيز، مادة: خَفَّفَ/ 205، مادة: صَهْوٌ/ 372.

(3) أساس البلاغة، مادة: لَوَى، ج 2 / 185.

(4) شرح المعلقات السبع/ 40.

(5) يُنْظَرُ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

(6) ديوان امرئ القيس/ 58.

(7) يُنْظَرُ: شرح المعلقات السبع/ 41.

(8) يُنْظَرُ: العصر الجاهليُّ الأدب والنصوص والمعلقات / 99.

وكذا في حوارِ بين إبراهيم - عليه السَّلام - وقومه، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا عَلَيْكُمْ بَنَاءُ بُرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾⁽¹⁾، حيث جاءَ في قول إبراهيم - عليه السَّلام - استنكارٌ على ما هم عليه من الكفر والضَّلال وعبادة الأصنام، "ويُنكِرُ عليهم ما هم عليه من ضلالٍ، ويسألهم في عجبٍ واستنكارٍ: ما تعبدون؟"⁽²⁾ فخرَجَ هذا الأسلوب الطَّلبيّ من الاستفهام إلى التَّعجُّب والإنكار، وبذلك تمَّ خرقُ مبدأ (الكَمِّ)، ولأنَّه لا يتمُّ خرقُ مبدأ الكَمِّ بالأساليب الخبريَّة فقط وإنما أيضًا بالأساليب الإنشائيَّة الطَّلبيَّة مثل (الاستفهام)، "فلا يخرق قاعدة الكَمِّ بالخطاب الخبريِّ فحسب، بل يمكن أن يخرقها بالأفعال اللُّغويَّة الأخرى مثل الاستفهام..."⁽³⁾، وتولَّدَ عن هذا الخرق زيادةٌ وإطالةٌ في الإجابة بناءً على المبادئ التَّعاونيَّة الجرايسيَّة "إذ لو أُريدَ الإيجاز لَكَفَى"⁽⁴⁾ واقتصرَ على الإجابة بقوله: (أصنامًا) من دون الإطالة.⁽⁵⁾

فَأَلْحَفْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فِي صِرَّةٍ لَمْ تُزِيلِ⁽⁶⁾

يقول الشَّاعرُ امرؤ القيس: إِنَّ هَذَا الْفَرَسَ يَلْحَقُ (الهاديات) أَي: أوائلها⁽⁷⁾ من البقر الوحشيِّ ويتجاوزُ (جواحرها) أي المتخلفات دون أن يتفرَّق جمعُ القطيع، فهذا هو المعنى الحرفيُّ الظَّاهر من قوله، أمَّا المعنى المستلزم والمقصود فيريدُ به أن فرسه يُدركُ أوائل القطيع قبل تفرُّق جماعتها؛ وذلك لشدَّة جريه وعَدُوِّه⁽⁸⁾، فَخَرَقَ المتكلمُ بذلك الوصف مبدأ (الكَمِّ) لزيادته وإطالته في وصفه، فكان بالإمكان أن يقول: إِنَّ فَرَسَهُ شَدِيدَةُ الْعَدُوِّ وَالْجَزْيِ دُونَ الْإِطَالَةِ فِي الْكَلَامِ.

وفي قوله أيضًا:

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ⁽⁹⁾

فهذه الفرس قد أدركت صيدها من البقر الوحشيِّ فلم تعرق عرقًا شديدًا يغسلُ جسدها، ففي هذا الكلام يتمثَّل المعنى الحرفيُّ الظَّاهر، أمَّا المعنى المستلزم والمقصود الذي فهمناه من خلال السِّبَاق الوارد، أن هذا الفرس قد أدرك صيده دون معاناة مشقَّة ومقاساة شدَّة⁽¹⁰⁾، فَخَرَقَ المتكلمُ بذلك مبدأ (الكَمِّ) في قوله: (وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ) بحسب المعنى الحرفيِّ، فجاءت المعلومات قليلةٌ وغير كافية ممَّا أدَّى إلى خروج الكلام من معناه الحرفيِّ إلى معناه المستلزم والمقصود.

(1) الشُّعراء: 69- 71.

(2) في ظلال القرآن، مج5/ 2602.

(3) استراتيجيات الخطاب / 440.

(4) مفتاح العلوم / 283.

(5) يُنظر: المصدر السَّابق.

(6) ديوان امرئ القيس / 61.

(7) يُنظر: لسان العرب، ج15 / 61.

(8) يُنظر: شرح المعلقات السَّبْع/ 44.

(9) ديوان امرئ القيس / 62.

(10) يُنظر: المصدر السَّابق/ 45.

فَطَلَّ طُهَاهُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَنِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ⁽¹⁾

يقول الشَّاعِرُ امرؤ القيس: إِنَّ طُهَاهُ اللَّحْمِ أَوْ الْمُنْضِجُونَ صَنْفَانِ: صَنْفٌ يَقُومُونَ بِالشِّوَاءِ، وَصَنْفٌ يَطْبَخُونَ اللَّحْمَ فِي الْقِدْرِ وَفِي هَذَا يَتَمَثَّلُ الْمَعْنَى الْحَرْفِيُّ الظَّاهِرُ مِنْ وَصْفِهِ، وَلَكِنْ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى مَقْصِدِ الْمُتَكَلِّمِ وَمَا يَرِيدُ إِيْصَالَهُ لِلْمَخَاطَبِ يَتَبَيَّنُ لَنَا وَجُودَ مَعْنَى خَفِيٍّ تَمَثَّلَ فِي كَثْرَةِ الصَّيْدِ الَّذِي بَدُورُهُ يُؤَدِّي إِلَى كَثْرَةِ الشِّوَاءِ وَالطَّبْخِ⁽²⁾، وَبِذَلِكَ تَمَّ حَرْقُ مَبْدَأِ (الْكَمْ) لِإِطَالَتِهِ وَزِيَادَتِهِ فِي الْوَصْفِ وَالْمَدْحِ، فَخَرَجَ الْكَلَامُ مِنَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ إِلَى الْمَعْنَى الْمُسْتَلْزَمِ وَالْمَقْصُودِ، فَكَانَ بِإِمْكَانِهِ إِعْطَاءُنا مَعْلُومَاتٍ كَافِيَةً دُونَ إِطَالَةٍ فِي الْكَلَامِ.

فَعَدْتُ لَهُ وَصُحَّتِي بَيْنَ ضَارِحٍ وَبَيْنَ الْغُدَيْبِ بَعْدَ مَا مُتَّأَمِلِي
عَلَى قَطْنٍ بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَارِ فَيَذُبِلُ⁽³⁾

يَصِفُ امرؤ القيس السَّحَابَ بِأَنَّهُ يَمُرُّ عَلَى عِدَّةِ مَوَاضِعَ، عَلَى أَيْمَنِ (قَطْنِ) وَعَلَى أَيْسَرِ (السِّتَارِ وَيَذُبِلُ)⁽⁴⁾ فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيُّ الظَّاهِرُ مِنْ وَصْفِهِ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ مَعْنَى آخَرَ مُسْتَلْزَمًا وَمَقْصُودًا اقْتِضَاهُ سِيَاقَ الْكَلَامِ، فَهُوَ يَرِيدُ بِهِ وَصْفَ "عَظَمِ السَّحَابِ وَغِزَارَتِهِ وَغُمُومِ جُودِهِ"⁽⁵⁾، فَخَرَجَ الشَّاعِرُ بِكَلَامِهِ مِنَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ إِلَى الْمَعْنَى الْمُسْتَلْزَمِ وَالْمَقْصُودِ فَخَرَقَ بِذَلِكَ مَبْدَأَ (الْكَمْ) لِإِطَالَتِهِ فِي وَصْفِهِ لِلْسَّحَابِ وَالْمَطَرِ.

(1) ديوان امرئ القيس / 62.

(2) يُنْظَرُ: شَرْحُ الْمَعْلَقَاتِ السَّبْعِ / 45.

(3) ديوان امرئ القيس / 64، 65.

(4) يُنْظَرُ: شَرْحُ الْمَعْلَقَاتِ السَّبْعِ / 48.

(5) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

ثانياً- مبدأ الكيف.

يقول الشاعرُ:

كَدَأْبِكُ مِنْ أَمِّ الْحَوِيرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتَهَا أَمَّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ
إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيًّا الْقَرْنُفَلِ⁽¹⁾

يُخبرنا امرؤ القيس بأنَّ أمَّ الحويرث وأمَّ الرباب إذا قامتا (تضوَّع المسك) أي: فاحت ریح المسك. منهما (كنسيم الصبا)، وهي ریح تهبُّ من جهة المشرق إذا جاءت بعرفِ القرنفل، حيث شبَّه الشاعر طيب رِيَاهما بطيب النَّسيم إذا هبَّ على عُرفِ القرنفل وأتى بريحته الطَّيِّبَة.⁽²⁾

حَمَلَ البيت دلالتين: دلالة حرفية: وهي أنَّ رائحة المسك تفوحُ منهما كنسيم الصبا إذا مرَّت على عُرفِ القرنفل فينشُرُ رائحةً طيِّبَةً، ودلالةً مستلزمةً فُهمت من خلال السِّياق، وهي: تَعزُّلُهُ بهما لجمالهما وطيب رائحتهما التي تنتشر عند قيامهما وسيرهما كريح المشرق التي تمرُّ على عرف القرنفل فتنتشرُ رائحته الطَّيِّبَة، وبذلك يكونُ الشاعر قد خَرَقَ مبدأ (الكيف)، فلا يمكنُ لأَمِّ الرَّبَابِ وأمَّ الحويرث أن تكونا كالريح في نشر الرَّاخَة بمرورهما على عرفِ القرنفل، فكلامه لا يحتملُ الصِّدْقَ، وهو قولٌ كاذبٌ بعيدٌ عن الواقع.

إنَّ فهم المخاطب لنوايا ومقاصد المتكلم ضروريٌّ لإحداث العمليَّة التَّواصلية بينهما.

ويمكنُ أيضًا التَّمثيل لمبدأ الكيف ما جاء في قول الشاعر:

كَيْفَ ارْتَمَتْ حَوَافِرُ الْجَوَادِ
دُونَ أَنْ أَرَى النَّقَّاحَةَ
فِي ضَحْكَةِ النَّعْبَانِ.⁽³⁾

في هذا البيت خَرَقَ الشاعرُ مبدأ (الكيف) في قوله: (ضَحْكَةِ النَّعْبَانِ)؛ لأنَّ الضَّحْكَ خاصيَّة متعلِّقة بالإنسان دون غيره، فقوله هذا لا يحتملُ الصِّدْقَ من جهة المعنى الحرفيِّ، ولكن إذا نظرنا إليه من جهة المعنى المقصود لوجدنا أنَّه يحملُ معنىً آخر مستلزمًا قَصْدَهُ الشاعرُ، حيث "يستلهمُ المجاطيُّ هنا سورة الأعراف التي تضمَّنت إغراء الشيطان لحواء وأدم بأكل النَّقَّاحَة، فَحَقَّقَ بذلك هدفه وبقي يضحكُ فيها ضحكة الشَّامت المنتصر"⁽⁴⁾.

و يقول الشاعرُ:

أَصَاحَ تَرَى بَرَقًا أُرِيكَ وَمِيضَهُ كَلَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَيِّ مَكَلِّ
يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبِ أَمَالَ السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِ⁽⁵⁾

(1) ديوان امرئ القيس / 25.

(2) يُنظر: شرح المعلقات السَّبْع / 8، 9.

(3) ديوان الفروسيَّة، أحمد المجاطي / 28.

(4) أحمد المجاطي: الشاعر العاشق للنزوة الأميرة والسَّاكن في قرارة الكأس، امحمد برغوث، أنفاس نت.

(5) ديوان امرئ القيس / 63.

ينادي امرؤ القيس صاحبه فيقول له: "هل ترى برقاً أريك لمعانه وتألّفه في سحابٍ متراكمٍ صارَ أعلاه كالإكليلٍ لأسفله أو في سحابٍ مُتَبَسِّمٍ بالبرق يُشبهُ برقه تحريكَ اليدين؟"⁽¹⁾ فهذا هو المعنى الحرفي الظاهر، أمّا المعنى المستلزم والمقصود فيريدُ به الشّاعر بيانَ لمعان البرق وتلألؤه، فهو يُشبهه في تحركه لمعَ اليدين، وضوءه كضوء مصباح الرّاهب الذي يُصنّبُ عليه الرّيت ليبقى مضيئاً⁽²⁾، فخرّق الشّاعرُ بذلك التّشبيه مبدأ (الكيف) لتشبيهه لمعان البرق. وتحركه بتحريك اليدين، وضوءه بمصابيح الرّاهب، ف قوله هذا لا يحتملُ الصّدق.

يقول امرؤ القيس:

هَصْرْتُ بِفَوْدِي رَأْسَهَا فَتَمَائِلْتُ عَلَيَّ، هَضِيمَ الْكَشْحِ، رِيًّا الْمُخْلَخِلِ⁽³⁾

الهِصْرُ: وَهَصْرْتُ: جَذِبْتُ⁽⁴⁾، الْفُودَانُ: فُودُ الرَّأْسِ جَانِبَاهُ⁽⁵⁾، وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ (بِغُصْنِي دَوْمَةٍ)، حَيْثُ شَبَّهَ الشّاعِرُ مَحْبُوبَتَهُ (بَشَجَرَةِ الدَّوْمِ)، وَشَبَّهَ ذُؤَابَتَيْهَا (ظَفِيرَتَيْهَا) بِغُصْنَيْنِ، وَجَعَلَ مَا نَالَ مِنْهَا كَالْتَّمْرِ الَّذِي يُجْتَنَى مِنَ الشَّجَرِ، وَهَذَا التّشْبِيهِ خَرَجَ بِهِ الشّاعِرُ مِنَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيّ الظّاهِرِ إِلَى الْمَعْنَى الْمُسْتَلْزَمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: إِذَا طَلَبْتُ مِنْهَا مَا أَحْبَبْتُ أُعْطِنِي مَا أُرِيدُ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى الْمُرَادُ وَالْمَقْصُودُ، أَمَّا لَفْظَةُ (هَضِيمَ الْكَشْحِ) فَيُرِيدُ بِهَا أَنَّهَا دَقِيقَةُ الْخِصْرِ، وَلَفْظَةُ (رِيًّا الْمُخْلَخِلِ) يُرِيدُ أَنَّهَا: مِمْتَلِئَةٌ السّاقَيْنِ⁽⁶⁾، حَيْثُ "عَبَّرَ عَنْ كَثْرَةِ لَحْمِ السّاقَيْنِ وَامْتَلَأَهُمَا بِالرِّيِّ"⁽⁷⁾ فَخَرَّقَ الشّاعِرُ بِذَلِكَ مَبْدَأَ (الْكَيفِ)؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَصْدِيقَ قَوْلِهِ فِي تَشْبِيهِ مَحْبُوبَتِهِ بِالشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ، وَتَشْبِيهِ ظَفِيرَتَيْهَا بِأَغْصَانِ الشَّجَرِ، وَامْتَلَأَ سَاقِيهَا بِالرِّيِّ.

وفي موضعٍ آخر تجلّى مبدأ (الكيف) في قولِ عنترَةَ العبسيّ:

فَإِذَا ظَلِمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ⁽⁸⁾

شَبَّهَ الشّاعِرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ (الظُّلْمَ) بِأَنَّهُ بَاسِلٌ أَيْ (كَرِيهِ الطَّعْمِ)⁽⁹⁾ كَالْعَلَقَمِ، وَفِيهِ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ، حَيْثُ حَذَفَ الْمَشَبَّهَ بِهِ وَأَبْقَى عَلَى شَيْءٍ مِنْ لَوْزِمِهِ، وَقَدْ جَعَلَ عَنْتَرَةُ الظُّلْمَ كَأَنَّ شَيْءَ مَادِيٍّ رَائِحَتَهُ كَرِيهَةٌ وَمَذَاقُهُ مُرٌّ، فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيُّ الظّاهِرُ مِنَ الْكَلَامِ.

(1) شرح المعلقات السبع / 47.

(2) يُنظر: المصدر السابق / 47.

(3) ديوان امرئ القيس / 40.

(4) لسان العرب، ابن منظور، مادة: هَصَرَ / ج 15 / 97.

(5) مختار الصحاح، مادة: فَوْدٌ / 452.

(6) يُنظر: شرح المعلقات السبع / 22، 23.

(7) شرح المعلقات السبع / 23.

(8) ديوان عنترَةَ / 82.

(9) شرح ديوان عنترَةَ، أمين سعيد، الهامش / 5 / 125.

أما المعنى المستلزم والمقصود فيريدُ به أنه "من ظلمني عاقبته عقابًا بالغًا يكرهه كما يكره طعم العلقم من ذاقه"⁽¹⁾، وبذلك يكون الشاعر قد خرق مبدأ (الكيف)؛ لاستخدامه لفظ (الظلم) وجعله كشيءٍ ماديٍّ محسوسٍ رائحته كريهة ومذاقه مُرٌّ كالعلقم، فهذا القول لا يمكن تصديقه؛ لتعارضه مع مبدأ التعاون الذي جاء به جرابيس في أن يكون كلامك صادقًا صحيحًا، مُتجنبًا الكذب والخداع.

وفي قول الشاعر:

وَجِدِّ كَجِدِّ الرَّئِمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَضَّتْهُ وَلَا بِمُعْطَلٍ⁽²⁾

الرئيم: الخالص من الطيباء⁽³⁾، نضت: نضت الشيء: رفعه وأظهره⁽⁴⁾ شبه امرؤ القيس عنق محبوبته بعنق الطيبة في حال رفعها لعنقها، وأنه لا يُشبهه عنق الطيبة في تعطله عن الحلي⁽⁵⁾، فهذا هو المعنى الحرفي الظاهر، أما المعنى المستلزم والمقصود فيريدُ به الشاعر أن جيدها كجيد الطيب في طول عنقها، وبذلك تم خرق مبدأ (الكيف) لتشبيهه جيد محبوبته بجيد الطيبة وهادما لا يحتمل الصدق.

وَفَرَعٍ يَزِينُ الْمَثَنَ أَسْوَدَ فَاحِجٍ أَثَيْتِ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَتِكِلِ⁽⁶⁾

الفرع: الشعير النائم⁽⁷⁾، الأثيث: الشعير: غزر وطال⁽⁸⁾.

وصف الشاعر امرؤ القيس شعر محبوبته بأنه أسود فاحج طويل يُزين ظهرها إذا أرسلته عليه، حيث شبهه دوابئها بقنو النخلة المتعكل التي أخرجت قنوانها، وشبه نوائبها بالعناقيد، فهذا هو المعنى الحرفي الظاهر من كلامه أما المعنى المستلزم المقصود من قوله: (كقنو النخلة المتعكل)، فيريدُ بالقنوان تجعد شعرها وكثرت⁽⁹⁾، فخرق امرؤ القيس بذلك مبدأ (الكيف) لتشبيه شعرها بقنوان النخلة، وهذا مما لا يصح تصديقه.

(1) شرح معلقة عنتر بن شداد، عالم الأدب adabworld.com

(2) ديوان امرئ القيس /43.

(3) لسان العرب، مادة: رَأَم/ ج 5/ 83.

(4) المعجم الوجيز، مادة: نَضَّ/ 619.

(5) يُنظر: شرح المعلقات السبع/26.

(6) ديوان امرئ القيس /43.

(7) القاموس المحيط، مادة: فَرَع/ 1237.

(8) المعجم الوجيز، مادة: أَثَيْتَ/ 5.

(9) يُنظر: شرح المعلقات السبع/26.

كما تمثّل خرقُ مبدأ (الكيف) في قول المُرقّش الأصغر:

أَلَا حَبْدًا وَجَهُ ثَرِينًا بَيَاضَهُ وَمُسَدِّلَاتٌ كَالْمَثَانِي فَوَاجِمًا⁽¹⁾

حيث شبّه الشّاعر الدّوائب المنسدلة (المسترخية) بالمثاني أي (الحيال) السّوداء، فهذا هو المعنى الحرفي الظّاهر من البيت، أمّا المعنى المستلزم والمقصود فيريدُ به بيان انسداد واسترخاء نوابها وسوادها والتي تُشبهه الحبال⁽²⁾، حيث خَرَجَ الشّاعر من المعنى الحرفي إلى المعنى الضّميني، فخرقَ بذلك مبدأ (الكيف) لعدم الصّدق في كلامه من النّاحية الحرفيّة ممّا أوجبَ على المخاطب معرفة المعنى المستلزم والمقصود الذي أراده الشّاعر.

وفي موضعٍ آخر قال الشّافعيّ في قصيدته التي يصفُ فيها ظهور الشّيب واختفاء سواد الشّعر:

أَيَا بَوْمَةً قَدْ عَشَّشْتَ فَوْقَ هَامَتِي عَلَى الرَّغْمِ مِنِّي جِئْتَ طَارِعُ رَأْبِهَا⁽³⁾

إذا نَظَرْنَا في هذا البيت إلى المعنى الحرفي السّطحيّ لوجدنا أنّ الشّاعر قد نادى (البومة) التي عَشَّشَتْ فوق (هامته) أو رأسه، فهذا هو المعنى الحرفي المباشر من الكلام، حيث خَرَقَ الشّاعر بهذا المعنى مبدأ (الكيف) لعدم صدقه في مناداته من جانب المعنى الحرفي الظّاهر، فكيف له أن يُنادي (البومة)؟ فقله هذا لا يحتمل الصّدق، ولكنّه أراد معنىً آخر مستلزمًا ومقصودًا وهو أنّ "المراد بالبومة: الشّيب، والمراد بالغراب: سواد الشّعر"⁽⁴⁾، وهذا ما فهمناه من خلال سياق الكلام.

يقولُ امرؤ القيس:

وَكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيدِ مَحْصَرٍ وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيّ الْمُدَلِّلِ⁽⁵⁾

الجَدِيلُ: حبلٌ مَفْتُولٌ من أَدَمٍ أو شَعْرٍ يَكُونُ في عُنُقِ البَعِيرِ أو النَّاقَةِ.⁽⁶⁾

فالشّاعر يُشَبِّهُ خَصَرَ محبوبته كأنّه خُطَامًا مَتَّحَدًا من الأَدَمِ، وساقها كأنّه أَنْبُوبُ بَرْدِيٍّ بين نخيلٍ يُظَلُّه أغصانها، فهذا هو المعنى الحرفي الظّاهر من كلامه، أمّا المعنى المستلزم والمقصود من التّشبيه، فقد أراد به وصفَ ضمور خصرها أو بطنها، وشفاء لون ساقها وبياضه بأنبوب البرديّ الذي يُذَلَّلُ له الماء فيُسْقَى ويعيش بين النّخيل فلا تَوَيَّرَ فيه أشعّة الشّمس وتُغَيَّرُه⁽⁷⁾، فخرقَ بذلك مبدأ (الكيف) لعدم الصّدق في وصفه.

(1) المفضّلات، أبو العباس الصّبيّ / 117.

(2) يُنظر: دراسات في التّبعر الجاهليّ، نوري القيسي 4 / 27.

(3) ديوان الإمام الشّافعيّ، صالح الشّاعر / 17.

(4) المصدر السّابق، الهامش / 2 / 17.

(5) ديوان امرئ القيس / 44.

(6) لسان العرب، مادّة: جَدَلٌ، ج / 211.

(7) يُنظر: شرح المعلّقات السّبع / 27.

الْمُتَبَيِّلُ: (تَبَيَّلَ) إِلَى اللَّهِ: تَفَرَّغَ لِعِبَادَتِهِ. (2)

يقول امرؤ القيس: إِنَّ محبوبته تُضِيءُ ظلامَ اللَّيْلِ فكأنها مصباحُ راهبٍ منقطعٍ في منارته التي تُضِيءُ سراجها ولا يكادُ ينطفيءُ، ففي هذا القول يتمثل المعنى الحرفيُّ الظاهر، ولكنَّه أرادَ معنىً آخر متضمناً فهمناه من خلال السياق: أن نور وجهها يغلبُ ظلامَ اللَّيْلِ مثل نور مصباح الرَّاهب الذي لا ينطفيءُ⁽³⁾ فخرقَ بذلك مبدأ (الكيف) فكيف يمكن لنور وجهها أن يكون كمنارة الرَّاهب المتعبد؟، فهذا القول لا يحتمل الصدق.

ويمكن توضيح كيفية خروج الكلام من معناه الحرفيِّ الظاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾⁽⁴⁾، في قوله تعالى: (ألم تر؟) استفهامٌ خَرَجَ من معناه الأصليِّ إلى معنى آخر مستلزماً ومقصوداً غرضه (التعجب)، "وفي الكلام معنى التعجب"⁽⁵⁾؛ لأنَّ سَيِّدنا إبراهيم -عليه السَّلام- عندما حَاجَّ النُّمروذ-الملك الطاغية- في الإحياء والإماتة وبأنَّ الله هو الذي يحيي ويميت، تعجَّب من قول النُّمروذ: (قال أنا أحيي وأميت)، حيث خرقَ النُّمروذ (مبدأ الكيف) الذي ينصُّ على قول الحقيقة وعدم الكذب، فلم يكن صادقاً في قوله: "أنا أحيي وأميت"، فأبراهيم -عليه السَّلام- كان صادقاً في وصفه لرَبِّه من حيث الإحياء والإماتة، أمَّا النُّمروذ فاستعمل أسلوب الكذب والنَّمويه "وذكرَ الأصوليون في هذه الآية أنَّ إبراهيم -عليه السَّلام- كما وصفت رَبُّه تعالى بما هو صفةٌ له من الإحياء والإماتة لكنَّه أمرٌ له حقيقةٌ ومجازٌ، قصَدَ إبراهيم -عليه السَّلام- إلى الحقيقة، وفرغَ نُمروذ إلى المجاز وموَّة على قومه، فسلم له إبراهيم تسليم الجدال وانتقل معه من المثال وجاءه بأمرٍ لا مجاز فيه (فبهت الذي كفر) أي انقطعت حجَّته ولم يمكنه أن يقول: أنا الآتي بها من المشرق؛ لأنَّ نوي الألباب يُكذِّبونه"⁽⁶⁾.

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْحَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِيَّ (7)

السُّدُولُ: السِّدْلُ: السِّتْرُ. (8)

(1) ديوان امرئ القيس /46.

(2) المعجم الوجيز، مادة بتل/35.

(3) يُنظر: شرح المعلقات السبع/29، وديوان امرئ القيس/19.

(4) البقرة: 257.

(5) تفسير القرطبي، أبو عبد الله الأنصاري، ج2/1094.

(6) المصدر السابق، 1094.

(7) ديوان امرئ القيس /48.

(8) المعجم الوجيز، مادة: سدل/307.

إذا تمَّ النَّظَرُ إِلَى الْمَعْنَى الْحَرْفِيَّةِ الظَّاهِرِ فِي قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ نَجْدَهُ يَقُولُ: وَرُبَّ لَيْلٍ يُحَاكِي أَمْوَاجَ الْبَحْرِ فِي شِدَّةِ تَوْحُّشِهِ وَظَلْمَتِهِ وَكثافته وقد أرخى ستائره عليَّ مع أنواع الهموم والأحزان؛ ليختبرني على ما عندي من الصَّبْرِ والجَزَعِ، فشَبَّهَ ظلام اللَّيْلِ وصعوبته وهمومه وطوله بأَمْوَاجِ الْبَحْرِ، حيثُ أَرَادَ الشَّاعِرُ مِنْ وَرَاءِ هَذَا التَّشْبِيهِ مَعْنَى آخَرَ مُسْتَلْزَمًا وَمَقْصُودًا، وَهُوَ إِبْرَازُ شِكْوَاهُ مِنْ شِدَّةِ طَوْلِ اللَّيْلِ وَظَلَامِهِ⁽¹⁾، فَخَرَّقَ بِذَلِكَ مَبْدَأَ (الْكَيفِ)؛ لِأَنَّهُ كَيْفَ يُمْكِنُ لِلَّيْلِ أَنْ يَكُونَ كَمَوْجِ الْبَحْرِ؟ فَهَذَا الْقَوْلُ لَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ، فَخَرَجَ الْكَلَامُ مِنَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيَّةِ الظَّاهِرِ إِلَى الْمَعْنَى الْمُسْتَلْزَمِ وَالْمَقْصُودِ وَالَّذِي أَرَادَ الشَّاعِرُ إِيْصَالَهُ لِلْمَخَاطَبِ.

وفي قوله:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ⁽²⁾

يُنَادِي امْرؤُ الْقَيْسِ اللَّيْلَ وَيُخَاطِبُهُ وَيَأْمُرُهُ مَطَالِبًا إِيَّاهُ بِالْإِنْجِلَاءِ، وَأَنْ يَأْتِيَ الصُّبْحَ لِيُزِيلَ ظِلَامَ اللَّيْلِ الْمَلِيءِ بِالْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ، وَلَيْسَ الصُّبْحُ بِأَفْضَلَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّيْلِ⁽³⁾، فَهَذَا يَتِمُّنُّ الْمَعْنَى الْحَرْفِيَّةِ الظَّاهِرِ، أَمَّا الْمَعْنَى الْمُسْتَلْزَمُ وَالْمَقْصُودُ فَيُرِيدُ بِهِ "أَنَّ حَالَتَهُ فِي الصَّبَاحِ لَيْسَتْ بِأَفْضَلَ مِنْ حَالَتِهِ فِي اللَّيْلِ، فَهُوَ أَبَدًا مَهْمُومٌ"⁽⁴⁾، وَأَرَادَ بِمِنَادَاتِهِ لِلَّيْلِ بَيَانَ فِرْطٍ وَلِهَذَا وَشِدَّةَ تَحْيِيرِهِ، وَتَمَنَّى زَوَالَ ظِلَامِ اللَّيْلِ وَانْكَشَافَ الصَّبَاحِ⁽⁵⁾، لِأَنَّهُ أَرَادَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ التَّمَنِّيَّ "تَخَلُّصًا مِمَّا عَرَضَ لَهُ فِي اللَّيْلِ مِنْ تَبَارِيحِ الْجَوِّ، وَاسْتِطَالَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَأَنَّهُ لَا طَمَاعِيَّةَ لَهُ فِي انْجِلَائِهَا"⁽⁶⁾ فَخَرَّقَ الشَّاعِرُ مَبْدَأَ (الْكَيفِ) بِمِنَادَاتِهِ لِلَّيْلِ وَمَخَاطَبَتِهِ وَأَمْرَهُ إِيَّاهُ بِالْإِنْجِلَاءِ وَهُوَ مِمَّا لَا يَعْقُلُ، فَقَوْلُهُ هَذَا لَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ، مِمَّا أَدَّى إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيَّةِ الظَّاهِرِ (الْأَمْرُ) إِلَى الْمَعْنَى الْمُسْتَلْزَمِ وَالْمَقْصُودِ وَهُوَ (التَّمَنِّيُّ) حَيْثُ تَمَّ فَهْمُهُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ.

وفي قصيدة أحمد المجاطي (كبوة الرِّيح) يتجلى مبدأ الكيف:

عَلَى الْمُحِيطِ يَسْتَرِيحُ النَّلْجُ

وَالسُّكُوتُ

تَسْمَرَ الْمَوْجُ عَلَى الرِّمَالِ

وَالرِّيحُ زُورُقٌ⁽⁷⁾

فِي هَذَا الْبَيْتِ خَرَّقَ الشَّاعِرُ مَبْدَأَ (الْكَيفِ)، الَّذِي يَنْصَرُّ عَلَى الصِّدْقِ فِي الْكَلَامِ، وَذَلِكَ بِإِسْنَادِهِ الْفِعْلَ (اسْتِرَاحَ) إِلَى النَّلْجِ، وَالْفِعْلَ (تَسْمَرَ) إِلَى الْمَوْجِ، وَهَذَا الْفِعْلَانِ لَا يُسْنَدَانِ إِلَّا إِلَى الْفِعْلِ الْحَيِّ، وَلَكِنَّ الشَّاعِرَ أَسْنَدَهُمَا لِأَسْمَيْنِ لَا عِلَاقَةَ بِهِمَا بِصِفَةِ الْحَيَوِيَّةِ وَالْحَرَكِيَّةِ، مِمَّا أَدَّى بِالْمَخَاطَبِ إِلَى فَهْمِ قَصْدِ الشَّاعِرِ بِوُجُودِ قُوَّةِ إِنْجَازِيَّةٍ مُسْتَلْزَمَةٍ، تَمَثَّلَتْ فِي حَالَةِ السُّكُونِ وَالْعَدَمِيَّةِ الَّتِي تُحِيطُ بِالشَّاعِرِ⁽⁸⁾.

(1) يُنظر: شرح المعلقات السبع/31، وديوان امرئ القيس، هيثم هلال/20، والعصر الجاهلي، محمد الأشر/97.

(2) ديوان امرئ القيس/49.

(3) يُنظر: شرح المعلقات السبع/32.

(4) ديوان امرئ القيس / 21.

(5) يُنظر: شرح المعلقات السبع/33.

(6) شرح المختصر لسعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، في الهامش، ج 1/ 219.

(7) ديوان: الفروسيَّة / 21.

(8) يُنظر: النِّدَاوِيَّةُ أَصُولُهَا وَإِتِّجَاهَاتُهَا، جواد ختام/103.

فَأَضْحَى يَسْحُ الْمَاءَ حَوْلَ كُنْهَيْهِ يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنْهَيْلِ⁽¹⁾

يصف امرؤ القيس الغيث بأنه: يصب الماء فوق هذا الموضع المعروف بـ (كُنْهَيْفَة) ويُلقَى (الدَّوْح) أي: الأشجار العظيمة⁽²⁾ المعروفة بـ (الْكَنْهَيْلِ) وهي ضربٌ من شجر البادية على رؤوسها، فهذا هو المعنى الحرفي الظاهر من وصفه، وقد استعار الشَّاعر الأذقان في هذا البيت لأعالي الشَّجر، فكأنَّ هذا المطر الغزير أو السَّيل العظيم يكبُّ أعالي ورؤوس الشَّجر كما يكبُّ الأذقان فيُلْقَى بها على وجهها؛ لقوَّة وغزارة المطر فيقتلَع بذلك الأشجار العظام⁽³⁾ فهذا هو المعنى المستلزم والمقصود، وبذلك خَرَقَ الشَّاعر مبدأ (الكيف)، فكيف يمكنُ للشَّجر العظام أن تكون في انكبابها على وجهها كالأذقان؟ فهذا القول لا يحتمل الصِّدق.

ومن أمثله أيضاً قول الشَّاعر في وصفه بيته:

نَسَجَ التَّلُوجَ عَبَاءَةً

لَبَسَ الزَّوَابِعَ مِعْطَافًا⁽⁴⁾.

خَرَقَ الشَّاعر في هذا البيت مبدأ (الكيف) بكلامه هذا، فاستعمل لفظ (نَسَجَ) و (لَبَسَ)، فكأنَّ بيته ينسج التَّلُوج ويتخذُ منها عباءةً، ويلبس الزَّوَابِعَ فيجعل منها معطفاً، فهذا القول لا يمكن تصديقه، فكيف يمكن للبيت أن (ينسج ويلبس) فهذه الأفعال لها علاقة بالكائن الحيِّ (الإنسان) لا بغيره، فخرَجَ بقوله من المعنى الحرفيِّ الظَّاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود، الذي يريده الشَّاعر وهو تذكُّره وحبُّه وحنينه لبيته ووصف الذِّكريات التي عاشها فيه. ويقولُ الشَّاعرُ:

فَأَدْبُرْنَ كَالْجِرْعِ الْمُفْصَلِ بَيْنَهُ بَجِيدٍ مَعَمَّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخَوْلٍ⁽⁵⁾

شبهه امرؤ القيس البقر الوحشيَّ بالجرع (الخرز اليماني)⁽⁶⁾، الذي فيه سوادٌ وبياضٌ، وقد فصل هذا الخرز عن غيره من الجواهر في عنق صبيِّ كريم الأعمام والأخوال، وشبهها بالخرز اليماني لأنها تسودُّ أكارعها وخطوطها وباقي جسدها أبيض فهذا القول هو المعنى الحرفيُّ الظَّاهر، أمَّا إذا نظرنا إلى المعنى المستلزم والمقصود من قول الشَّاعر، نجده يُريدُ به وصفَ تفرُّق البقر الوحشيِّ كأنَّها قلادةٌ فيها خرزٌ أبيض وأسود وُضعت في عنق صبيِّ كريم الأعمام والأخوال⁽⁷⁾، فخرَقَ بذلك الوصف مبدأ (الكيف) فلا يمكن للبقر الوحشيِّ أن يكون كالخرز اليمانيِّ المعلق في جيد الصَّبيِّ فقله لا يحتمل الصِّدق.

(1) ديوان امرئ القيس / 65.

(2) القاموس المحيط، مادة: دَوْح / 573.

(3) يُنظر: شرح المعلقات السبع / 49، ديوان امرئ القيس / 27.

(4) قصائد نزار قبَّاني / 16.

(5) ديوان امرئ القيس / 61.

(6) مختار الصحاح، الرَّازي، مادة: جَرَع / 91.

(7) يُنظر: شرح المعلقات السبع / 44، ديوان امرئ القيس / 25.

ثالثاً- مبدأ الكَمِّ والكَيْفِ:

يقولُ الشَّاعرُ:

تَرَى بَعَرَ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَفِي عَيْنِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلٍ⁽¹⁾

شَبَّهَ امرؤ القيسَ بعَرَ (الطِّبَاءِ) المنثورة في ساحات الدِّيَارِ التي تركها أهلها (كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلٍ)، حيث حَمَلَ البيت دلالتين: أولها: حرفية: (كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلٍ)، فشَبَّهَ بعَرَ الطِّبَاءِ المنتشر في ساحات ديار محبوبته بحَبَّاتِ الفلفل الأسود المنتثر على الأرض، وثانيها: مستلزمة فهمت من خلال السِّيَاق، ويُقصدُ بها "أَنَّ الدِّيَارِ خَلَّتْ من ساكنيها فسكنها الوحشُ بعدهم من الطِّبَاءِ التي تركت بعرها دالاً على سُكَّانِهَا الدِّيَارِ"⁽²⁾، فهذا هو المعنى المستلزم والمقصود، وبذلك حَرَّقَ الشَّاعرُ مبدأ (الكَيْفِ)؛ لأنَّ كلامه لا يحتمل الصِّدْقَ، فخرج الكلام من معناه الحرفيِّ المباشر إلى المعنى غير المباشر هو الذي وَلَّدَ الاستلزام، وحَرَّقَ أيضاً مبدأ (الكَمِّ)، فلم تكن المعلومات التي أعطاها الشَّاعرُ بالقدر المطلوب في قوله: (حَبُّ فُلْفُلٍ).

كَأَنِّي عَدَاةُ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلٌ⁽³⁾

شَبَّهَ الشَّاعرُ دموعه المنهمرة من شدَّةِ البكاءِ بـ (ناقِفِ الحَنْظَلِ)، حيث حَمَلَ هذا البيت دلالتين: حرفية المتمثلة في تشبيه نفسه بـ (ناقِفِ الحَنْظَلِ) الذي يستخرج الحَبَّ من الحَنْظَلِ فتدمع عينه من شدَّةِ حرارتها، وأخرى: مستلزمة فهمت من خلال السِّيَاق، "فهو يبكي على آثار الدِّيَارِ وفراق أهلها لها وتجري دموعه كأنه ينقِفُ الحَنْظَلِ وناقِفِ الحَنْظَلِ لا يملك عينه أن يسيلَ منها الدَّمْعُ فلذلك شَبَّهَ نفسه به"⁽⁴⁾، فحَرَّقَ بذلك مبدأ (الكَيْفِ)؛ لأنَّ كلامه لا يحتمل الصِّدْقَ، وحَرَّقَ مبدأ (الكَمِّ) لإعطائه معلوماتٍ قليلةٍ وغير كافيةٍ في قوله: (ناقِفُ حَنْظَلِ)، بحسب المعنى الحرفيِّ، فحَرَّجَ الكلام عن معناه الحرفيِّ الظَّاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود الذي أراده الشَّاعرُ. وفي قوله:

وَإِنَّ شِفَائِي عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ⁽⁵⁾

لقد استخدمَ الشَّاعرُ أسلوباً إنشائيّاً طلبياً والذي بدوره دلَّ على معنيين: أولهما: حرفيٌّ ظاهرٌ تمثَّلَ في الاستفهام (القوَّةُ الإنجازيَّةُ الحرفيَّةُ) المتمثِّلُ لها بـ (هل)، وقوَّةُ مستلزمة ومقصودة تتضمَّنُ معنى (الإنكار)، ويقصدُ به الشَّاعرُ "أنَّه لا طائل في البكاءِ في هذا الموضع، لأنَّه لا يردُّ حبيباً ولا يُجدي على صاحبه بخير"⁽⁶⁾، حيث حَرَّقَ الشَّاعرُ بذلك مبدأ (الكَمِّ)؛ لأنَّه أفادنا بمعلوماتٍ غير كافيةٍ، ولم تكن بالقدر المطلوب.

(1) ديوان امرئ القيس / 22.

(2) ديوان امرئ القيس، هيثم هلال/ 11.

(3) ديوان امرئ القيس / 22.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر نفسه / 24.

(6) المصدر نفسه / 25.

وفي قوله: (وَإِنَّ شِفَائِي عِزَّةٌ مُهْرَاقَةٌ) خَرَقٌ لمبدأ (الكيف)، بحسب المعنى الحرفي الظاهر، فكيف يمكن أن يكون شفاؤه من الداء أو المرض أو ممًا داهمه وألَّم به بدمعٍ مصبوبٍ مسكوبٍ⁽¹⁾، فقوله هذا لا يحتمل الصِدْق، ولكنه أراد معنى آخر مستلزمًا ومقصودًا تمثل في أن البكاء هو الذي يخفِّق ويُهَوِّنُ عليه فراق ووداع أحبته، وعليه فقد خَرَجَ الكلام من معناه الحرفي الظاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود حوارياً.

وفي قوله - عليه الصلوة والسلام -: "العلمُ خليلُ المؤمن..."⁽²⁾، في هذا الحديث دالتان: أحدهما: حرفية تمثلت في قوله: "العلمُ خليلُ المؤمن..."، فكان العلم خليلٌ وصاحبٌ للمؤمن، لأن الخليل هو "المحبُّ الذي ليس في محبته خللٌ"⁽³⁾ وكما جاء في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾⁽⁴⁾ والأخرى: مستلزمة ومقصودة، فالألفاظ التي جاءت في النصِّ النبويِّ جاءت على سبيل الاستعارة، حيث خَرَجَت الألفاظ من معناها الحرفي إلى المعنى المستلزم والمقصود، فأراد النبيُّ بيان مقصده من أن (العلم خليل المؤمن) "الذي يأنس من الوحشة، ويسكن إليه في الوحدة، كما يأنس الخليل بخليله ويسكن الحميم إلى حميمه"⁽⁵⁾.

فبحسب ظاهر الكلام تمَّ خَرَقٌ مبدأ (الكم)؛ لأنَّ المعلومات غير كافية ولم تكن بالقدر المطلوب، كما تمَّ أيضاً خَرَقٌ مبدأ (الكيف)، فكيف يمكن للعلم أن يكون كالصديق المحبِّ والصاحب الذي ليس في صحبته شكٌّ؟، فهذا القول لا يحتمل الصِدْق، ولكن عند فهم مضمون النصِّ النبويِّ يتبيَّن المراد والغرض من قوله - عليه الصلوة والسلام- المتمثِّل في فضل العلم بالنسبة للمؤمن، فخرَجَ الكلام من معناه الحرفي إلى المعنى المستلزم والمقصود.

ويقولُ الشَّاعرُ:

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِثِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي⁽⁶⁾

يُخبرنا امرؤ القيس أن دموعه فاضت أي (سالت) (صبابةً) من كثرة شوقه وعشقه وحنينه إلى أم الخويرث وأمِّ الرِّباب.

لذا حمل هذا البيت دالتين: حرفية: وهي أن دموعه فاضت وسالت كالسيل على نحره حتى بلَّ دمه محمل سيفه ودلالة مستلزمة فهمت من خلال السياق، وهي: أن دموع عينيه سالت كنايةً عن شدة شوقه وحنينه إليهما حتى بلَّ دمه حمالة سيفه⁽⁷⁾ وهذا هو المعنى المقصود من قول امرئ القيس، فقد تمَّ بناءً على المبادئ التعاونية الجرايسية خَرَقٌ مبدأ (الكيف) لعدم الصِدْق في الكلام، حيث كان بإمكانه أن يُعبِّر عن شوقه وحنينه وعشقه لهما بقوله: بكيث شوقاً وحنيناً إليهما دون استخدام لفظة (فاضت)، وخَرَقٌ مبدأ (الكم) لإطالته وإطنابه في وصف حنينه وشوقه، وقد خُدَّ الإطنابُ بأنَّه: أداء المقصود من الكلام بأكثر من العبارات والجمل⁽⁸⁾، فكان بالإمكان أن يقول: اشتقتُ إليهما دون زيادةٍ أو إطالةٍ .

(1) ينظر: ديوان امرئ القيس /24.

(2) ضعيف الجامع، حديث موضوع، الحديث/ 3874 / 564.

(3) لسان العرب، مادة: خَلَّل، ج/ 4 / 203.

(4) النساء: 124.

(5) المجازات النبوية، الشَّريف الرضي/ 188.

(6) ديوان امرئ القيس / 25.

(7) يُنظر: شرح المعلقات السبع/ 9.

(8) يُنظر: مفتاح العلوم / 277.

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾⁽¹⁾

إذا نظرنا إلى المعنى الحرفي الظاهر لهذه الآية الكريمة لوجدناه بمعنى الكشف عن الساق، ولكن إذا نظرنا إليه من ناحية المعنى المستلزم والمقصود، لوجدنا فيه "كناية... عن الشدة والكرب، فهو يوم القيامة الذي يُشْمَرُ فيه عن الساعد ويُكشَفُ فيه الساق، ويشتدُّ فيه الكرب والصَّيق..."⁽²⁾، كما في قولنا: يده مغلولة، فيه كناية عن الشح والبخل، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ في معنى اشتداد الأمر وتفاقمه وتعسره يوم القيامة وهو الفرع الأكبر.⁽³⁾

وبناءً على ذلك تمَّ خرق مبدأ (الكيف) من حيث المعنى الحرفي الظاهر المتمثل في كشف الساق، أمَّا المعنى المستلزم والمقصود من وراء هذه الآية الكريمة فهو بيان اشتداد وتعسر ذلك اليوم (يوم القيامة)، كما تمَّ أيضًا خرق مبدأ (الكَم) من حيث المعنى الحرفي، فالمعلومات لم تكن بالقدر الكافي، فخرَجَ الكلام من معناه الحرفي إلى المعنى المستلزم والمقصود.

يقول امرؤ القيس أيضًا:

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيئِي فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمَّلِ⁽⁴⁾

في هذا البيت أسلوب نداء، وهو من الأساليب الإنشائية الطليبية، ويحمل دالتين: الأولى حرفية: تمثلت في أسلوب النداء (فيا عجبًا)، فنأدى (العجب) وهو ليس بعاقلي، والثانية: مستلزمة خرَجَ فيها النداء من معناه الحرفي الظاهر إلى معنى آخر أورده السياق، حيث قصد الشاعر مناداة قومه، والتقدير: "يا هؤلاء أو يا قوم شاهدوا عجب من كورها المتحمل فتعجبوا منه"⁽⁵⁾ فحذفت المنادى، فماداته (للعجب) ليس على سبيل الحقيقية وإنما على سبيل المجاز والاتساع⁽⁶⁾، ومقصده من ذلك ليس مناداة العجب وإنما مناداة قومه، ولبيان تعجبه من العذارى "كيف أطقن حمل الرّحل في هودجهن؟ وكيف رَحَلنَّ إبلهنَّ على تنعمهنَّ ورفاهة عيشهنَّ؟"⁽⁷⁾، فحذفت المنادى لأنَّ السياق يقتضي ذلك وتمَّ خرق مبدأ (الكَم) لإيجازه وإعطائه معلومات غير كافية، ولأنَّ أساس هذا المبدأ هو جعل مشاركتك في الحوار بالقدر المطلوب من غير زيادة أو نقصان، ولتأدية الغرض وإيصال الفكرة للمخاطب، وخرق أيضًا مبدأ (الكيف) في قوله: (فيا عجبًا)، فلم يكن صادقًا إذا نظرنا إليه من ناحية الدلالة الحرفية، فكيف له أن ينادي ما ليس يعقل؟ فكلامه لا يحتمل الصدق، أمَّا إذا نظرنا إليه من ناحية الدلالة المستلزمة لوجدنا أنه قصد مناداة قومه وأهله؛ ليظهر تعجبه من حمل العذارى لمطيئته، وفي هذا يتجلى المعنى المستلزم والمقصود.

(1) القلم: 42.

(2) في ظلال القرآن، مج6/ 3667، 3668.

(3) يُنظر: الكتّاف، ج4/ 147.

(4) ديوان امرئ القيس/ 26.

(5) شرح المعلقات السبع/ 10.

(6) يُنظر: شرح المعلقات العشر/ 35، 36.

(7) شرح القصائد العشر، التبريزي/ 39.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾⁽¹⁾، دالتان: أولهما: حرفية، والثانية: مستلزمة ومقصودة، فالحرفية تمثلت في أن المنافقين إذا خلوا فيما بينهم عضوا عليكم الأنامل (أطراف الأصابع)، لأنهم يُظهرون المودة والمحبة للمؤمنين، ويبتنون خلاف ذلك، فهذا هو المعنى المفهوم من ظاهر الآية الكريمة، أما المستلزمة والمقصود في قوله: (عضوا عليكم الأنامل)، فيه كناية عن شدة الغيظ والحنق والكرهية والحسد على المؤمنين⁽²⁾ "والعضُّ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه"⁽³⁾.

لقد تمَّ بظاهر الآية الكريمة خرق مبدأ (الكَم)؛ لأنَّ المعلومات كانت غير كافية بحسب الدلالة الحرفية، فخرَج الكلام من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم والمقصود.

وتمَّ أيضاً خرق مبدأ (الكيف)؛ لأنَّ هذا القول لا يحتمل الصِّدق، فكيف يمكن لهم أن يعضوا أناملهم غيظاً؟ ولكنَّ هذا جاء على سبيل الكناية وليس على سبيل الحقيقة، وذلك لشدة كرههم وحقدهم وغيظهم على المؤمنين، وهو ما فهم من سياق الكلام.

يقول امرؤ القيس:

وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مَيِّ خَلِيقَةٌ فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِ⁽⁴⁾

إنَّ الشَّاعر هنا يُخاطب محبوبته، ويأمرها أن تستخرج ثيابه من ثيابها إذا رأت منه سوءاً في أخلاقه، حيث تمَّ فهم المعنى الظاهر على (الثياب الملبوسة)، فهذه هي الدلالة الحرفية، أما الدلالة المستلزمة من الكلام، فلأنه "كئى بتباين الثياب وتباعدها عن تباعدهما"⁽⁵⁾، والمعنى المقصود أي: إذا رأيت مئى سوءاً في أخلاقي ففارقيني وصارميني وباعديني، وهناك من حمل (الثياب) في البيت على (القلب)، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ﴾⁽⁶⁾، والمراد به (القلب)، فكأنه بالمعنى الحرفي أراد أن (تستخرج قلبه من قلبها) بناءً على المعنى الظاهر، أما المعنى المستلزم فيه كناية عن المفارقة والمصارمة، وهذا هو المعنى المقصود⁽⁷⁾، فخرَق امرؤ القيس مبدأ (الكَم) بإعطائه معلومات قليلة ليست بالقدر المطلوب، ولكنَّ المخاطب فهم مقصد الشَّاعر ومراده فتعددت المعاني استلزاماً، "وذلك أن اتَّساع دائرة التفسير وما رافقها من اختلافات قد سمَّح في المستوى الثاني بتوفير معانٍ كثيرةٍ غير ما يفهم من ظاهر اللفظ، أي أن المتكلم قد خرَق قاعدة الكَم وفتح المجال واسعاً أمام القارئ ليتخلَّص ما كان مستلزمًا من المعاني النوانى"⁽⁸⁾.

(1) آل عمران: 119.

(2) يُنظر: تفسير القرطبي، ج3/ 1424، وتفسير ابن كثير، ج2/ 103.

(3) تفسير القرطبي، ج3/ 1424.

(4) ديوان امرئ القيس/ 33.

(5) شرح المعلقات السبع/ 17.

(6) المدثر: 4.

(7) يُنظر: شرح المعلقات السبع/ 16، 17.

(8) الاستلزام التَّخاطبي في الأمثال العربية، عبد الله الحقباني/ 407.

كما خَرَقَ أيضًا مبدأ (الكيفِ)، فكيف يمكن له أن يستخرج ثيابه من ثيابها أو يستخرج قلبه من قلبها؟ فهذا القول لا يحتمل الصدق.

أَغْرَكَ مِنِّي أَنَّ حَبَّكَ قَاتِلِي وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ⁽¹⁾

في هذا البيت استخدم امرؤ القيس أسلوباً إنشائياً طلبياً وهو (الاستفهام)، ولكنه استفهام غير حقيقي، خَرَجَ الشاعر بهذا الاستفهام (القوة الحرفية) إلى غرضٍ بلاغيٍّ آخر والذي تضمن معنى دَلَّ عليه السياق وهو (التقرير) ويُمثل (القوة المستلزمة)، وذلك لتقرير قوله: "أنه مهما تأمري قلبي بفعلٍ فإنه مُطيعٌ لك،.. وأنتك مالكةٌ له وأنا لا أملك قلبي"⁽²⁾ فهذا هو المعنى المستلزم والمقصود، أما الدلالة الحرفية لهذا البيت فهي بمعنى "أتوهمت وحسبت أن حبك يقتلني وأنتك مهما تأمري قلبي بشيءٍ يفعله"⁽³⁾، فتمَّ خَرَقَ مبدأ (الكَمِّ)؛ لأنَّ الشاعر أفاضَ وأطالَ في خطابه، فكان بإمكانه أن يُوجزَ، ويمدِّنا بمعلومات كافية وبالقدر المطلوب.

وخَرَقَ مبدأ (الكيف) حيث جعل امرؤ القيس (الحبَّ) كأنه قاتلٌ، وهذا ممَّا لا يعقل؛ لأنَّه حوَّلَ الشيء المعنوي إلى ماديٍّ وهو أمرٌ مستحيل ولا يحتمل الصدق.

وفي قوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾⁽⁴⁾، معنيان: حرفيٌّ مباشر يُفهم من ظاهر الآية الكريمة والمتمثِّل في تشبيهه - سبحانه وتعالى - طَلَعَ أي (تمر) شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، ولكن عند إمعان النظر في قوله سبحانه يتبيَّن المعنى المستلزم والمقصود، الذي عبَّرَ عنه الجرجاني بالمعنى الثَّاني، فقد شبَّه - سبحانه وتعالى - طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، لما فيها من بشاعةٍ وقبحٍ وكراهيةٍ في المنظر، ولأنَّ تلك الرؤوس مفزعة ومرعبة، فبمجرد تصوُّرها تُفزع النَّفس وتُرعبها، فالصورة القبيحة تُشبَّه بصورة الشيطان، بخلاف الصورة الحسنة فإنَّها تُشبَّه بالملائكة⁽⁵⁾.

من خلال المعنى الحرفيِّ الظاهر تمَّ خَرَقَ مبدأ (الكَمِّ)، لوجود قدرٍ قليلٍ من المعلومات، فخرَجَ الكلام من المعنى الحرفيِّ إلى المعنى المستلزم والمقصود، وتمَّ كذلك خَرَقَ مبدأ (الكيف)؛ لعدم التَّصديق في كون ثمار تلك الشجرة (كأنها رؤوس الشياطين)، ولكن من وراء المعنى الأوَّل معنى ثانٍ هو المراد والمقصود والمتمثِّل في قبح وبشاعةٍ وكراهيةٍ المنظر.

يقول امرؤ القيس أيضًا:

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمِ ثِيَابَهَا لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبِسَةِ الْمُتَقَضِّلِ⁽⁶⁾

(1) ديوان امرئ القيس /33.

(2) ديوان امرئ القيس، هيثم هلال/15.

(3) شرح المعلقات السبع/16.

(4) الصَّافَّات:65.

(5) يُنظر: تفسير ابن كثير، ج6/17، والقرطبي، ج8/5530، وفي ظلال القرآن، مج5/2988.

(6) ديوان امرئ القيس /37.

نَضَّتْ: "نَضَا الثُّوبُ الصَّبَغَ عَنِ نَفْسِهِ إِذَا أَلْفَأَهُ، وَنَضَّتِ الْمَرْأَةُ ثَوْبَهَا"⁽¹⁾ أي: نَزَعَتْ، الْمُتَفَضِّلُ: "تَفَضَّلَتْ الْمَرْأَةُ إِذَا لَبِسَتْ ثِيَابَ مِهْنَتِهَا أَوْ كَانَتْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ"⁽²⁾.

يقولُ الشَّاعِرُ: إِنَّهُ جَاءَ مَحْبُوبَتَهُ عِنْدَمَا نَزَعَتْ وَأَلْقَتْ ثِيَابَهَا أَتَاءَ النَّوْمِ، وَبَقِيَتْ بِلِبْسَةٍ وَاحِدَةٍ تَنْتَظِرُهُ عِنْدَ السَّنَرِ فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيُّ الظَّاهِرُ، أَمَّا الْمَعْنَى الْمَسْتَلْزَمُ وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ، "أَنَّهَا خَلَعَتْ ثِيَابَهَا لِثُرْيِ أَهْلِهَا أَنَّهَا تُرِيدُ النَّوْمَ"⁽³⁾ وبهذا خَرَجَ الشَّاعِرُ مِنَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ إِلَى الْمَعْنَى الْمَسْتَلْزَمِ، وَالَّذِي نَجَدُ فِيهِ خَرْقًا لِمَبْدَأِ (الْكِيفِ)، لِعَدَمِ صَدَقِهَا فِي أَنَّهَا تُرِيدُ النَّوْمَ.

وَخَرَقَ أَيْضًا مَبْدَأَ (الْكَمْ) فِي قَوْلِهِ: (لِبِيسَةِ الْمُتَفَضِّلِ) بِحَسَبِ الْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ، فَالْمَعْلُومَاتُ كَانَتْ قَلِيلَةً وَغَيْرَ كَافِيَةٍ.

وفي قوله:

كَبِكْرُ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلَّلِ⁽⁴⁾
المقناة: وَقَانَاهُ خَلَطُهُ⁽⁵⁾، النَّمِيرُ: وَمَاءٌ نَمِيرٌ: عَذْبٌ نَاجِعٌ⁽⁶⁾.

في هذا البيت ثلاثة معانٍ أولها: أَنَّ لَوْنَ مَحْبُوبَتِهِ كَبِكْرَ بِيضِ النَّعَامِ الَّتِي تُخَالَطُ بِيَاضَهَا صُفْرَةً، وَهُوَ أَجْمَلُ الْوَانِ النَّسَاءِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَثَانِيهَا: أَنَّهَا كَبِكْرُ الصَّدْفَةِ الَّتِي اخْتَلَطَ بِيَاضُهَا بِصُفْرَةٍ، أَوْ كَالدَّرَّةِ الَّتِي لَمْ يُرْ مَثَلُهَا، وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ كَبِكْرُ الْبَرْدِيِّ الَّتِي يَشُوبُ بِيَاضُهَا صُفْرَةً، وَأَنَّهُ غَذَاهُ مَاءٌ نَمِيرٌ لَمْ يَكُنْ حُلُولَ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَسَلِمَ مِنَ الْكَدْرِ فَلَمْ يُغَيَّرْ لَوْنُ الْبَرْدِيِّ، فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيُّ الظَّاهِرُ مِنَ الْكَلَامِ، أَمَّا الْمَعْنَى الْمَسْتَلْزَمُ وَالْمَقْصُودُ مِنَ التَّشْبِيهِ فَيُرِيدُ بِهِ بَيَانَ بِيَاضِ مَحْبُوبَتِهِ وَصَفَاءِ وَنِقَاءِ لَوْنِهَا الَّتِي تَخَالَطُهَا صُفْرَةً، أَوْ كَالدَّرَّةِ الْمَصُونَةِ فِي بِيَاضِهَا الْمَشُوبِ بِصُفْرَةٍ لِشَدَّةِ صَفَاءِ لَوْنِهَا، أَوْ كَالْبَرْدِيِّ الَّتِي غَذَاهُ صَافِيًا لَمْ يُكْذِرْهُ حُلُولَ النَّاسِ عَلَيْهِ⁽⁷⁾، فَخَرَقَ بِذَلِكَ مَبْدَأَ (الْكَمْ) لِكَثْرَةِ الْمَعَانِي الْحَرْفِيَّةِ فَقَدَ أَفَاضَ الشَّاعِرُ وَأَطَالَ فِي تَشْبِيهِهِ فَكَانَ بِالْإِمْكَانِ وَصَفَهَا بِالْبِيَاضِ وَالصَّفَاءِ دُونَ الْإِطَالَةِ فِي ذَلِكَ، وَخَرَقَ مَبْدَأَ (الْكِيفِ) لِعَدَمِ الصِّدْقِ فِي كَلَامِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَعْنَى الْحَرْفِيِّ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَحْبُوبَتُهُ فِي صَفَاءِ لَوْنِهَا وَبِيَاضِهَا كَبِيضِ النَّعَامِ أَوْ كَالدَّرَّةِ أَوْ كَالْبَرْدِيِّ؟

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾⁽⁸⁾.

حَمَلَتْ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ دَلَالَتَيْنِ: حَرْفِيَّةً: تَمَثَّلَتْ فِي خَفَضِ جَنَاحِ الذُّلِّ وَكَأَنَّ لِلذُّلِّ جَنَاحَ كَجَنَاحِ الطَّائِرِ "وَضَرَبَ مِثْلًا لَجَنَاحِ الطَّائِرِ حِينَ يَنْتَصِبُ بِجَنَاحِيهِ لَوْلَدِهِ"⁽⁹⁾، وَهَذَا الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ الْمَعْنَى الْحَرْفِيُّ الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ

(1) لسان العرب، مادة: نَضَا/ ج14/ 181.

(2) المصدر السابق، مادة: فَضَّلَ/ ج10/ 282.

(3) شرح المعلقات السبع/ 20.

(4) ديوان امرئ القيس/ 41.

(5) القاموس المحيط، مادة: قَنَى/ 1376.

(6) أساس البلاغة، مادة: نَمَرَ، ج2/ 304.

(7) يُنْظَرُ: شرح المعلقات السبع/ 32.

(8) (الإسراء: 24).

(9) تفسير القرطبي، ج6/ 3860.

وقد حُمِلَ المعنى على الخضوع والتواضع وعدم الترفع والرفق في معاملة الوالدين، بحسب مفهومنا للآية لأنه يستحيل أن يكون للإنسان أجنحة⁽¹⁾، ولأنَّ فيه "استعارة في الشفقة والرَّحمة بهما والتذلل لهما تدلُّ الرعيَّة للأمير والعبيد للسادَّة"⁽²⁾ والتواضع لهما وعدم التَّكبر عليهما والتلطُّف معهما قولاً وفعلاً، وبذلك تمَّ خرق مبدأ (الكيف) لعدم تصديق القول الظاهر في أنَّ للذَّلِّ جناح كجناح الطائر، ولكن كان وراء هذا المعنى الحرفي الظاهر معنى آخر مستلزماً ومقصوداً تمثَّل في الرفق والتواضع والتلطُّف بالوالدين والرَّحمة بهما، وتمَّ أيضاً خرق مبدأ (الكَمِّ)، فالمعلومات لم تكن بالقدر الكافي من حيث الدلالة الحرفيَّة، فخرَج الكلام من المعنى الحرفي الظاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود بحسب سياق الآية الكريمة.

وجاء في قول الشاعر:

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِأَمْرَاسٍ كِتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ⁽³⁾

الجندل: مكانٌ في مجرى النَّهر فيه حجارة يشدُّ عندها جريان النَّهر.⁽⁴⁾

في هذا البيت نادى امرؤ القيس اللَّيْلَ وخاطَبَ غير العاقلِ بقوله: فَيَا عَجَبًا مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ رُبِطَتْ وَشُدَّتْ بِأَمْرَاسٍ وَحِبَالٍ مِنْ كِتَّانٍ إِلَى صَخُورٍ صَلَابٍ، فشَبَّه اللَّيْلَ بنجوم رُبِطَتْ بحبالٍ مِنْ كِتَّانٍ إِلَى صَخُورٍ صُلْبَةٍ، فهذا هو المعنى الحرفي الظاهر، أمَّا المعنى المستلزم والمقصود الذي خَرَجَ فِيهِ النَّدَاءُ إِلَى معنى آخر وهو استعطالة ليله الذي لا ينتهي لمعاناته الهموم والأحزان فيه، ولبيان ما في نفس الشاعر من قلقٍ وهمٍّ⁽⁵⁾، فخرَقَ الشاعر مبدأ (الكيف) لمناداته ومخاطبته اللَّيْلَ وهو غير عاقلٍ، وكذلك تشبيهه ليله بنجوم رُبِطَتْ بحبالٍ مِنْ كِتَّانٍ إِلَى صَخْرَةٍ صَلْبَةٍ صَمَاءً وكأنَّها لا تُريدُ الحراك والفرار، فقوله هذا لا يحتملُ الصِّدْقَ، وفي قوله: "بأمراسٍ كِتَّانٍ، يعني رُبِطَتْ، فحدَفَ الفعل لدلالة الكلام على حذفه"⁽⁶⁾، ولأنَّ السِّيَاقَ يقتضيه، فتمَّ بذلك خرق مبدأ (الكَمِّ)؛ لأنَّ المعلومات غير كافية ولم تكن بالمستوى المطلوب.

وفي قول الشاعر نزار قبَّاني:

يَا وَطَنِي الْحَزِينُ

حَوْلْتَنِي بِالْحُظَّةِ.

مِنْ شَاعِرٍ يَكْتُنُبُ شِعْرَ الْحَبِّ وَالْحَبِينِ

لِشَاعِرٍ يَكْتُنُبُ بِالسِّكِّينِ.⁽⁷⁾

(1) يُنظر: مباحث في علوم القرآن /258.

(2) تفسير القرطبي، ج6/3859.

(3) ديوان امرئ القيس /50.

(4) المعجم الوجيز /120، 121.

(5) يُنظر: شرح المعلقات السبع/33.

(6) المصدر السابق.

(7) مختارات من شعر نزار قبَّاني، مصطفى طلاس/460.

حيث استخدم الشاعر أسلوب النداء في قوله: (يا وَطْنِي)، فخرَج به من غرض النداء وهو المعنى الحرفي الظاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود بحسب السياق، والذي يُعبر به عن مدى حسرته وأساه جرأ سياسة الظلم والقهر الذي يُعاني منها وطنه وأُمَّته العربيَّة⁽¹⁾. إنَّ الخروج من المعنى الحرفي الظاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود هو الذي أدَّى إلى خرق مبدأ (الكيف) في قوله: (لشاعرٍ يَكْتُبُ بالسِّكِّينِ)، فكلامه لا يمتُّ للواقع بشيءٍ، وفيه خروج عن مبدأ الصِّدق، فالكتابة لا تكون بالسِّكِّينِ، وإِنَّمَا قَصَدَ به الشاعر "التَّعبير عن مدى الغضب والكُره اللذين يحملهما اتِّجاه العدو، وكان غرضه من هذا الخرق محاولة إيصال المعنى بشكلٍ تامٍّ للمتلقِّي حتَّى يكون أكثر وقَعًا في نفسه"⁽²⁾.

وخرق أيضًا مبدأ (الكم) بحسب المعنى الحرفي الظاهر، فالمعلومات التي قدَّمها لنا لم تكن بالقدر المطلوب في قوله (يكتبُ بالسِّكِّينِ).

وَقَدْ أَعْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدَ الْأَوَابِلِ هَيْكَلٍ⁽³⁾

الوكنات: (الوكن) عُشُّ الطَّائِرِ⁽⁴⁾، قَيْدُ الْأَوَابِدِ: يُقَيِّدُ طَرِيدَهُ لِسِرْعَتِهِ⁽⁵⁾ الهَيْكَلُ: المَرْتَفَعُ⁽⁶⁾

في هذا البيت يقول امرؤ القيس: بأنَّه ينهض باكراً قبل نهوض الطير من مواقعها بفريس منجردٍ قصير الشعر، وقيدَ الوحوش بالقيود لأنَّه يسبقها فيمنعها من أن تسبقه أو تفوته، فهذا هو المعنى الحرفي الظاهر من الكلام أمَّا المعنى المستلزم والمقصود فيريدُ به الشاعر مدح فرسه التي يمتطيها، وأرادَ وصفَ سرعتها التي قيدت الوحوش وحالت دون اللحاق به، فلا يمكنه أن تسبقه أو تفوته⁽⁷⁾، فخرق بذلك مبدأ (الكم) لأنَّ معلوماته التي قدَّمها لم تكن بالقدر المطلوب، وخرق مبدأ (الكيف) لكون فرسه قد قيدت الوحوش لسرعتها، وهذا ممَّا لا يحتمل الصِّدق، فالمتكلم تعمَّد إعطاءنا وصفاً غير صادقٍ ليصل بالمخاطب إلى معرفة مقصده ومراده المتمثِّل في مدح فرسه وقوتها. وفي قوله:

مِكْرٍ مِفْرٍ مُفِيلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ⁽⁸⁾

(1) يُنظر: نظريَّة الاستلزام الحواريِّ في شعر نزار قبَّاني، دراسة تداوليَّة، دنيا عطية/58.

(2) المصدر السَّابِق.

(3) ديوان امرئ القيس/53.

(4) مختار الصحاح، مادَّة: وَكَن/648.

(5) المعجم الوجيز، مادَّة: وَبَد/2.

(6) أساس البلاغة، مادَّة: هَكَل/ج2/377.

(7) يُنظر: شرح المعلَّقات السَّبْع/37، وديوان امرئ القيس/33.

(8) ديوان امرئ القيس/54.

يَصِفُ الشَّاعِرَ فَرَسَهُ بِأَنَّهُ قَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ الْكُرُّ وَالْفَرُّ وَالْإِقْبَالُ وَالْإِدْبَارُ، وَشَبَّهَهُ بِأَنَّهُ كَجُلْمُودِ أَي: كَحَجَرٍ صَلْبٍ عَظِيمٍ أَوْ كِ (الصَّخْرِ)⁽¹⁾ الَّذِي أَلْقَاهُ السَّيْلُ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ إِلَى حَضِيضٍ⁽²⁾، فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيُّ الظَّاهِرُ مِنَ الْكَلَامِ أَمَّا الْمَعْنَى الْمُسْتَلْزَمُ وَالْمَقْصُودُ الَّذِي أَرَادَ الشَّاعِرُ إِيْصَالَهُ إِلَى الْمَخَاطَبِ فَهُوَ مَدْحُ فَرَسِهِ وَبَيَانُ قُوَّتِهِ وَقَدْرَتِهِ وَسُرْعَتِهِ الَّتِي شَبَّهَهَا بِأَنَّهُا (كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهَ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ)، أَوْ كَأَنَّهُ يُقْبَلُ وَيُدْبِرُ فِي آنٍ وَاحِدٍ⁽³⁾، فَخَرَقَ بِذَلِكَ مَبْدَأَ (الْكَمْ) لِإِطَالَتِهِ فِي وَصْفِ فَرَسِهِ وَمَدْحِهِ إِيَّاهُ، وَلِأَنَّ الْمَدْحَ يَقْتَضِي الْإِطَالَهَ، وَخَرَقَ مَبْدَأَ (الْكَيْفِ) لِتَشْبِيهِهِ سُرْعَةَ فَرَسِهِ بِصَخْرِ ضَخْمٍ عَظِيمٍ أَلْقَاهُ السَّيْلُ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ، فَقَوْلُهُ هَذَا لَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾⁽⁴⁾.

دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى مَعْنِيَيْنِ أَوْلَاهَا: حَرْفِيٌّ مَبَاشِرٌ تَمَثَّلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾، وَالتَّانِي: ضَمْنِيٌّ مُسْتَلْزَمٌ تَمَثَّلَ فِي إِحَاطَةِ وَإِطْبَاقِ الْكُفَّارِ بِالْمُسْلِمِينَ وَتَمَكُّنِهِمْ مِنْهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَنَشْرَهُمْ لِلرُّوعِ وَالْخَوْفِ وَالْكَرْبِ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ فِيهِ مَعْنِيَانِ أَيْضًا أَوْلَاهُمَا: حَرْفِيٌّ تَمَثَّلَ فِي بَلُوغِ وَوَصُولِ الْقُلُوبِ لِلْحَنَاجِرِ، فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيُّ الظَّاهِرُ، أَمَّا التَّانِي الْمُسْتَلْزَمُ وَالْمَقْصُودُ فَيُرَادُ بِهِ تَصْوِيرُ حَالَةِ الْخَوْفِ وَالضِّيقِ وَالْكَرْبِ الَّتِي رُسِمَتْ عَلَى الْوُجُوهِ وَحَرَكَاتِ الْقُلُوبِ⁽⁵⁾، وَقَدْ تَمَّ هُنَا خَرَقُ مَبْدَأِ (الْكَمْ)؛ لِأَنَّ الْمَعْلُومَاتِ لَمْ تَكُنْ بِالْقَدْرِ الْمَطْلُوبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾، وَتَمَّ أَيْضًا خَرَقُ مَبْدَأِ (الْكَيْفِ)، فَكَيْفَ لِلْقُلُوبِ أَنْ تَبْلُغَ الْحَنَاجِرَ؟ فَقَوْلُهُ هَذَا لَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ، وَلَكِنْ كَانَ هُنَاكَ مَعْنَى آخَرَ مُسْتَلْزَمًا غَرَضُهُ بَيَانُ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا الْمَدِينَةُ وَأَهْلِهَا.

فَعَنَّ لَهُ سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مَلَاءٍ مُدْبِلٍ⁽⁶⁾.

يَقُولُ امْرَأُ الْقَيْسِ مَشَبِّهًا: إِنَّهُ (عَنَّ) أَي: ظَهَرَ⁽⁷⁾ لَنَا قَطِيعٌ مِنْ إِنَاثِ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ كَأَنَّهَا عَذَارَى (وَالْعَذْرَاءُ: هِيَ الْبِكْرُ)، يَطْفَنَ حَوْلَ (دَوَارٍ) وَهُوَ "حَجْرٌ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْصُبُونَهُ وَيَطُوفُونَ حَوْلَهُ"⁽⁸⁾، وَيَلْبَسْنَ مَلَاءَةً ذِيُولَهَا طَوِيلَةٌ فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيُّ الظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِهِ، أَمَّا عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى الْمَعْنَى الْمُسْتَلْزَمِ وَالْمَقْصُودِ نَجْدُ أَنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ بِهِ بَيَانَ بِيَاضِ لَوْنِ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ كَالْعَذَارَى الْمَصُونَاتِ وَالْمَحْفُوظَاتِ فِي خَدُورِ هُنَّ لَا يُغَيِّرُهُنَّ حَرُّ الشَّمْسِ، كَمَا أَنَّ

(1) لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ: جَلَمَدٌ، ج/ 2/ 340.

(2) يُنْظَرُ: شَرْحُ الْمَعْلَقَاتِ السَّبْعِ/ 37، وَالْعَصْرِ الْجَاهِلِيَّ/ 245.

(3) يُنْظَرُ: شَرْحُ الْمَعْلَقَاتِ السَّبْعِ/ 37.

(4) الْأَحْزَابِ/ 10.

(5) يُنْظَرُ: فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ، مَج/ 5/ 2837.

(6) دِيْوَانُ امْرِئِ الْقَيْسِ/ 60.

(7) الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، مَادَّةُ: عَنَّ/ 1154.

(8) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ، مَادَّةُ عَذَرَ/ 1064.

حُسْنَ مشيبيها فيه تبختر كتبختر العذارى في مشيبيهن⁽¹⁾، فخرق بذلك مبدأ (الكَم)؛ لأنَّ في تشبيهه ومدحه زيادةً في الكلام، ولأنَّ المدح يقتضي ذلك، وخرق مبدأ (الكيف) لتشبيهه قطيع إناث البقر الوحشي كالعذارى التي تطوف في ملاءٍ طويل، فهذا القول لا يحتمل الصدق.

وينكشف المعنى الحرفي الظاهر والمستلزم والمقصود في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ الصَّدَقَةَ لُتْطَفِيءُ غَضَبَ الرَّبِّ..."⁽²⁾، حيث نجد فيه داليتين: أولها: حرفية فهمت من ظاهر النص، والمتمثلة في أنَّ الصَّدَقَةَ كالماء الذي يُطفأ به النَّار.

وثانيها: مستلزما ومقصودا، ففي قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ الصَّدَقَةَ لُتْطَفِيءُ غَضَبَ الرَّبِّ..." استعارة حيث جعل -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- الصَّدَقَةَ كالماء الذي يُطفئ النَّار إذا اشتدَّت وزاد لهيبها⁽³⁾.

بناءً على الدلالة الظاهرة للنص النبوي تبين حدوث خرق لمبدأ (الكَم)؛ لأنَّ المعلومات لم تكن بالقدر الكافي وكانت موجزة بحسب المعنى الحرفي، أمَّا المعنى المستلزم والمقصود فأراد به -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- بيان فضل الصَّدَقَةِ وكيف أنَّها تُطفئ الخطايا والدُّنُوب كما يُطفئ الماء النَّار، فخرج الكلام من معناه الحرفي إلى المعنى المستلزم والمقصود.

وتبين أيضاً حدوث خرق لمبدأ (الكيف)، لعدم احتمال حدوث الصدق، فلا يمكن للصدقة أن تُطفئ الغضب كما يُطفئ الماء النَّار، فخرج الكلام من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم والمقصود، والذي أراد به -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- بيان فضل الصَّدَقَةِ وأثرها الخير على الإنسان.

ويقول امرؤ القيس أيضاً:

أَيْقُتُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي. وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ⁽⁴⁾.

في هذا البيت استخدم الشاعر أسلوباً إنشائياً طلبياً تمثل في (الاستفهام)، ولكنه استفهام غير حقيقي، خرج الشاعر بهذا الاستفهام (القوة الحرفية) إلى غرض بلاغي آخر وهو (الإنكار)، والذي يُمثل القوة المستلزما، "فقوله: (أَيْقُتُنِي) إنكارٌ للقتل وأنه لن يكون نظراً لما معه من العدة المتمثلة في السيف المشرفي والسهم المحدودة النصال"⁽⁵⁾، وهذا هو ما دلَّ عليه سياق البيت.

(1) يُنظر: شرح المعلقات السبع/43.

(2) حديث صحيح رواه الترمذي في سننه/664/167.

(3) يُنظر: المجازات النبوية/184.

(4) ديوان امرئ القيس، هيثم هلال/127.

(5) المعاني التي يخرج إليها الاستفهام، المكتبة الشاملة، al-maktaba.org

وقد شبّه الشاعر سيفه المحدّد الصّافي بأنياب الأغوال والشّياطين، بحسب الدّلالة الحرفيّة الظّاهرة من البيت أمّا الدّلالة المستلزمة والمقصودة، فيريدُ بها الشّاعر بيان شناعة وبشاعة سيفه التي شبّهها بشناعة وبشاعة خلق الأغوال والشّياطين⁽¹⁾، فخرّق بذلك مبدأ (الكيف)، فقوله لا يحتمل الصّدق، وبعيدٌ كلّ البعد عن الواقع، فلا يمكن لسيفه أن يكون محدّدًا كأنياب الأغوال، وخرّق بذلك مبدأ (الكَم) في قوله: (كأنياب أغوال)؛ لإعطائه معلومات ليست بالقدر المطلوب فكانت المعلومات قليلة موجزة وغير كافية، وهذا الخرق أدّى إلى الخروج من المعنى الحرفيّ الظّاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود.

وينكشف مبدأ (الكَم والكيف) أيضًا في قوله-صلّى الله عليه وسلّم-: "الدُّعاء سلاحُ المؤمن"⁽²⁾.

عند النظر إلى المعنى الحرفيّ الظّاهر من النّصّ النبويّ يتبيّن أنّه-عليه الصّلاة والسّلام- قد جعل الدّعاء سلاح المؤمن، ولكن إذا نظرنا إلى المعنى الضّمينيّ لوجدنا المراد من قوله -عليه الصّلاة والسّلام-: "أنّ المؤمن يستدفع بالدُّعاء كيدَ الكائدين، وظلمَ الظّالمين، فيقوم له مقام السّلاح الذي يُريقُ الدّماء ويُغلُّ الأعداء"⁽³⁾.

فمن خلال المعنى الحرفيّ للنّصّ، نجد أنّه تمّ خرق مبدأ (الكيف)، فكيف يمكن للدّعاء أن يكون كالسّلاح الفئّاك الذي يراقُ به الدّماء ويُقتلُ به الأعداء؟! فهذا القول لا يمكن تصديقه، فخرّج الكلام من المعنى الحرفيّ الظّاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود والذي تمّ فهمه من سياق الحديث.

كما تمّ كذلك خرق مبدأ (الكَم)، فالمتكلّم -عليه الصّلاة والسّلام- قدّم لنا معلوماتٍ غير كافيةٍ، لم تكن بالقدر المطلوب بحسب ظاهر النّصّ، ولكن عند معرفة مقصد المتكلّم وفهم المعنى الضّمينيّ المستلزم، تبيّن أنّ دعاء المؤمن ربّه يُساعد على دفع البلاء و جلب الخيرات، فخرّج الكلام من معناه الحرفيّ الظّاهر إلى معناه المستلزم والمقصود.

رابعًا- مبدأ الكيف والمناسبة:

يقول امرؤ القيس:

فَتَوْضِحَ فَأَلْمِقْرَةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالٍ⁽⁴⁾

لقد حملَ صدرُ البيت دلالتيْن: الأولى حرفيّة، والثّانية مستلزمة، تمثّلت الأولى في قوله: (لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا) فكأنّ آثار الموضوعين (توضيح والمقراة) قد رُسمت رسمًا أو نُقِشت نُقشًا وكأنّها لوحةٌ فنيّةٌ، فعلى هذا يتمثّل المعنى الحرفيّ الظّاهر من قوله، أمّا المعنى المستلزم فيقصدُ به امرؤ القيس أنّه "لم يَسمح أن تُرَها من قلبه"⁽⁵⁾، وقيل إنّه لم يَسمح

(1) يُنظر: ديوان امرئ القيس، هيثم هلال/ 127.

(2) ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث موضوع/3001/ 440.

(3) المجازات النبويّة، الشّريف الرّضي/ 201.

(4) ديوان امرئ القيس/ 22.

(5) شرح المعلّقات العشر، الثّبريزي/ 51.

أثرها بسبب " ما لصق بالأرض من آثار الدَّار مثل البعر والرَّماد وغيرهما" (1).

أما في عجز البيت (لَمَّا نَسَجْتَهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالٍ)، "فيستعيرُ النَّسجَ لاختلاف الرِّياح وتعاقبها على الرَّسْم" (2)، وبذلك حَمَلَ البيت دلالتين: الأولى حرفيَّة: تَمَثَّلَتْ في (نَسجِ الرِّيحِ)، فكيف يمكن للجَمادِ (الرِّيحِ) أَنْ تَنسُجَ؟! حيث استعملَ (النَّسجَ) وأرادَ به معنىً آخر مستلزماً ومقصوداً فهمناه من سياق الكلام، فالمعنى المقصود والمراد هو: الرِّيحُ تَسْتُرُ التُّرابَ مرَّةً وتكشفه مرَّةً أخرى، وبذلك يكون الشَّاعر قد خَرَقَ مبدأ (الكيفِ)، فلا يمكن للرِّيحِ أَنْ تَنسُجَ لعدم تعلقها بهذه الخاصيَّة، فكلامه لا يحتمل الصِّدقَ، وخَرَقَ مبدأ (المناسبة) لعدم مطابفة الكلام للموضوع، فالنَّسجُ لا يتناسب مع الرِّيحِ وبذلك استطاع المخاطبُ فهم قصد المتكلمِ، فلم يعتمد على الكلام الحرفيِّ الظَّاهر، وإنما اعتمد في فهمه على مضمون الكلام.

وفي قوله:

فَطَلَّ العَدَاوَى يَرْتَمِينَ بِحُمِّهَا وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ المُفْتَلِّ (3)

في هذا البيت "شَبَّهَ شَحْمَ هذه النَّاقَةِ وهؤلاء الجوّاري يترامينه -أي يتهادينه- بهُدَّابِ الدَّمَقْسِ، وهو غزل الإبريسم المفتول" (4)، فشَبَّهَ الشَّاعر شَكْلَ ناقته التي تَمَّ عقرها كأنَّها تُشَبُّهُ طرف النَّوْبِ الحريريِّ المُفْتَلِّ، فهذا هو المعنى الحرفيُّ الظَّاهر من الكلام، وهذه هي الدَّلالة الحرفيَّة، أمَّا الدَّلالة المستلزمة فيقصدُ بها الشَّاعر هنا تشبيهه جمال ناقته وهذا المعنى المراد هو الذي نجدُ فيه خرقاً لمبدأ (الكيفِ)، فكلامه لا يحتمل الصِّدقَ، لأنَّه لكي يتحقَّق الحوار النَّاجح بين المتخاطبين، جَعَلَ جِرايس إلتزام الصِّدق شرطاً لتحقيق هذا المبدأ، وتَمَّ أيضاً خرق مبدأ (المناسبة) لعدم مطابفة كلامه للموضوع، فما علاقة الشَّحم بالنَّوْبِ الحريريِّ؟، ولأنَّ مناسبة المقام للمقال يُعَدُّ شرطاً لتحقيق الحوار الهادف المفيد.

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ العُغَيْبُ بِنَا مَعَا عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ القَيْسِ فَاَنْزَلِ
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زَمَامَهُ وَلَا تُبْجِدِينِي مِنْ جِنَاكِ المُعَلَّلِ (5)

في هذه الأبيات حوارٌ بين امرئ القيس ومحبوبته حيث يقول: "كانت هذه المرأة تقول لي في حالة إمالة الهودج أو الرَّحْلِ إيانا: قد أدبَرْتَ بعيري فانزل عن البعير" (6)، فيقول لها: "هَوْنِي عَلَيْكَ وَلَا تَكْتَرْتِي للبعيرِ أَعْقَرَ أم لم يُعْقَرَ وقَرَّبيني منك لأجتني منك القُبْلَ الطَّيِّبَةَ، ودَعِيَ الرِّمَامِ واتركي البعير يمشي وحده" (7).

(1) شرح المعلقات السبع /5.

(2) العصر الجاهلي /85.

(3) ديوان امرئ القيس /27.

(4) شرح المعلقات العشر / 69.

(5) ديوان امرئ القيس /29.

(6) شرح المعلقات السبع /12.

(7) ديوان امرئ القيس، هيثم هلال /14.

نجدُ هنا أسلوبَ نهْيٍ وهو من الأساليب الإنشائيَّة الطَّليبة، حيث يُفهم من ظاهر البيت أنَّه جعلَ العشيقة مثل الثَّمرة التي تُجتنى من الشَّجرة، فهذه هي الدَّلالة الحرفيَّة الظَّاهرة، أمَّا الدَّلالة المستلزمة والمقصودة والتي فُهمت من سياق الحوار، فقد أراد بها نهْيَ محبوبته من إبعاده عن عناقها وتقبيلها وشمِّها، فخالف أو خَرَقَ بذلك مبدأ (الكيف) فلا يمكن لمحبوبته أن تكون كالشَّجرة المثمرة؟! فهذا القول لا يحتمل الصِّدق، وخالف مبدأ (المناسبة) لعدم مطابقة كلامه للموضوع فما علاقة ومناسبة العشيقة وحبِّها بالثَّمرة؟
ويقولُ أيضًا:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ (1).

إنَّ المعنى الحرفيَّ أو الدَّلالة الحرفيَّة الظَّاهرة من هذا البيت تمثَّلت في قول الشَّاعر إنَّه: "ما بكيتِ إلا لتجرحي قلبًا معشَّرًا أي مكسَّرًا"⁽²⁾ ولكنَّ امرأ القيس أراد معنى آخر يقصده وهو أنَّه "استعار لِلْحُظِّ عينيها ودمعها اسم السَّهم لتأثيرهما في القلوب وجرحهما إيَّها كما أنَّ السَّهام تجرحُ الأجسادَ وتؤثِّر فيها"⁽³⁾، فالشَّاعر قصَدَ أنَّ ما دمعَتْ عيناكِ وذرفتُ إلا لتصيدي قلبي الذي عشقكِ وأحبَّكِ بسَهْمَيْ دمع عينيكَ⁽⁴⁾، وبذلك تمَّ خرقُ مبدأ (الكيف) لجعل دموع عينيها كالسَّهام التي تخترقُ الأجساد، فقوله هذا لا يحتمل الصِّدق، وخَرَقَ مبدأ (المناسبة) لعدم تناسب دموعها مع السَّهام، وهذا المبدأ أكَّده البلاغيُّون عند قولهم: إنَّ لكلِّ مقامٍ مقال، فعدم تناسب هذا المبدأ يودِّي إلى خرقه ومن تمَّ يتولَّد عنه ما يُعرف بالاستلزام الحواري الذي جاء به جرابيس في نظريته الحديثة.

وَبَيْضَةُ خَدْرِ لَا يُرَامُ حَبَاؤُهَا تَمْتَعْتُ بِهَا مِنْ لَهْوٍ غَيْرِ مُعَجَّلٍ (5)

وصَفَ امرؤ القيس محبوبته (بالبيضة)، فهذا هو المعنى الحرفيُّ الظَّاهر للبيت، أمَّا المعنى المستلزم فيريدُ به أي: "وربَّ امرأةٍ كالبيض في سلامتها من الافتضاض أو في الصَّون والسيِّتر أو في صفاء اللَّون ونقائه أو بياضها المشوب بصُفرةٍ يسيرة، ملازمةٍ خدرها غير خراجةٍ ولأجاةٍ انتفعتُ باللَّهو بها على تمكُّثٍ وتلبُّثٍ لم أعجلُ عنها ولم أشغلُ عنها بغيرها"⁽⁶⁾ حيث شبَّه الشَّاعر المرأة (بالبيضة) في صيانتها وسترها؛ لأنَّ دأبَّ العرب في الجاهليَّة أنَّهم كانوا يمنعون فتياتهم من الاختلاط بالذكور، ويحبسونَّ ويستروهنَّ في خدورهنَّ أو خيامهنَّ، فهي في خدرها (كالبيضة) مصونةٌ مستورةٌ⁽⁷⁾ وبهذا خرَّجَ الشَّاعر من المعنى الحرفيِّ الظَّاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود الذي فهمناه من خلال السِّياق والذي نجدُ فيه خرقًا لمبدأ (الكيف) لوصفه محبوبته (بالبيضة) فهو قولٌ لا يحتمل الصِّدق وخرقًا أيضًا لمبدأ (المناسبة) لعدم مناسبة وملاءمة تشبيهه محبوبته بالبيضة.

(1) ديوان امرئ القيس / 34.

(2) ديوان امرئ القيس، هيثم هلال / 15.

(3) شرح المعلقات السَّبْع / 17.

(4) يُنظر: المصدر السَّابق.

(5) ديوان امرئ القيس / 35.

(6) شرح المعلقات السَّبْع / 18.

(7) يُنظر: ديوان امرئ القيس، هيثم هلال / 15.

ويمثّل مبدأ (المناسبة) ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ﴾⁽¹⁾، فقد اشتملت الآية الكريمة على حوار بين سيّدنا محمّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "وبين مجموعة من قومه عندما سألوه عن خَلْقِ الْأَهْلِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: (يسئلونك عن الأهله)، وهي جمع هلال، (قل هي مواقيت للناس والحج)⁽²⁾، حيث أخبر الله عنه أنّ الحكمة في زيادته ونقصانه زوال الالتباس عن أوقات الناس في حجّهم ومجلّ ديونهم، وعدّد نسانهم وأجور أجرائهم...⁽³⁾.

لقد تمّ في هذا المثال خرق مبدأ (المناسبة)، والتي تنصّ على أنّ لكلّ مقامٍ مقالٍ يناسبه ويلائمه، فلم تكن إجابة رسولنا الكريم مناسبة للسؤال الوارد من أهله وأصحابه، فقد كان قصدهم معرفة الأهله ومواقبتها، ولكنّ السؤال خرّج عن معناه الحرفيّ الظاهر إلى معنى آخر مستلزمًا ومقصودًا؛ وذلك لبيان الغرض من خَلْقِ الْأَهْلِ المتمثّل في معرفة مواقيت صوم رمضان للمسلمين وإفطارهم فيه وحجّهم وغيرها، فعدم الملاءمة بين السؤال والجواب سبّب في خرق مبدأ (المناسبة) بحسب قواعد النّعاون الجرايسية.

مُهِفَفَةٌ بِيضَاءٍ غَيْرِ مُفَاضَةٍ تَرَايِبُهَا مَصْفُوءَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ⁽⁴⁾

المُهِفَفَةُ: ضامرة البطن⁽⁵⁾، المُفَاضَةُ: امرأةٌ مفاضةٌ: ضخمة البطن مسترخية اللحم خلاف المجدولة⁽⁶⁾ الترائب: عظام الصّدر ممّا يلي الترفوتين⁽⁷⁾.

يقول امرؤ القيس عن محبوبته إنّها: "امرأةٌ دقيقة الخصر ضامرة البطن غير عظيمة البطن ولا مسترخيته"⁽⁸⁾ وشبه صدرها أنّه: "براق اللون متألّيء الصّفاء كتألؤ المرأة"⁽⁹⁾.

حيث شبه الشّاعر ترائب محبوبته (بالسّجّجِل) وهي المرأة، فهذا هو المعنى الحرفيّ الظاهر من الكلام، أمّا المعنى المستلزم والمقصود الذي أراده الشّاعر هو كون ترائب محبوبته متألّئًا وصافيًا وبراقًا كتألؤ المرأة، فاستمدّ إشراق صدرها ونحرها من لمعان المرأة⁽¹⁰⁾، وبذلك تمّ خرق مبدأ (الكيف)، فلا يمكن أن تكون ترائب محبوبته كالمرأة فهذا القول لا يحتمل الصّدق، وخرق مبدأ (المناسبة) لعدم ملاءمة وصف ترائبها بالمرأة، فخرّج الكلام من معناه الحرفيّ الظاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود.

(1) البقرة: 188.

(2) يُنظر: تفسير ابن كثير، ج 1/ 398.

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن الواحدي، ج 2/ 153.

(4) ديوان امرئ القيس / 40.

(5) القاموس المحيط، مادّة: هَفَفَتْ/ 1699.

(6) أساس البلاغة، مادّة: فَيَضُ، ج 2/ 44.

(7) المعجم الوجيز / 73.

(8) شرح المعلّقات السّبع / 23.

(9) المصدر السّابق / 23.

(10) يُنظر: الأدب الجاهليّ / 120.

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ فَفَرَّقَ قَطَعْتُهُ بِهِ الدَّنْبُ يَعْرِي كَالْخَلِيعِ الْمُعِيلِ⁽¹⁾

الْخَلِيعُ: الْمَاجِنُ.⁽²⁾

شَبَّهَ امرؤ القيس هذا الوادي في قفره وخلائه من النَّبَاتِ وَالْإِنْسِ، فيقول: "وَرُبَّ وَادٍ يُشْبِهَ (جَوْفَ الْعَيْرِ) وادي الحمار في الخلاء من النَّبَاتِ وَالْإِنْسِ، أو يُشْبِهُ بطن الحمار فطويته سيرًا وقطعته، وكان الدَّنْبُ فيه من فرط الجوع كالمقامر الذي كثر عياله وبطالونه بالنَّفَقَةِ، وهو يصيحُ بهم ويُخاصمهم إذ لا يجدُ ما يُرضيهم به"⁽³⁾، وعلى هذا يتمثل المعنى الحرفي الظاهر، أما المعنى المستلزم والمقصود فيريدُ به أن واديه مكانٌ لا يُنتفعُ به ولا يُستفادُ منه فخرقٌ بذلك التشبيه مبدأ (الكيف) لعدم الصدق في قوله؛ لأنَّ (الكيف) مبدأ من مباديء التَّعاون الجرايسية التي تنصُّ على أن يكون الكلام صادقًا صحيحًا مبتعدًا فيه عن الكذب والخداع، مع إثبات الدليل والبرهان في القول، وخرقٌ مبدأ (المناسبة) لعدم الانتفاع والاستفادة من المكان (الوادي) لا يتناسب مع تشبيهه، ممَّا سبَّب انتهاكًا وخرقًا لمبدأ (المناسبة) التي تنصُّ على ضرورة مناسبة الكلام للموضوع، فلكلِّ مقامٍ مقالٌ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يُمُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِدْ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا قَالَ آتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾⁽⁴⁾ حوارٌ بين سيدنا موسى-عليه السَّلام - وقومه عندما طلبوا منه أن يأتي لهم بطعامٍ آخر، كالقوم والعدس والبصل وغيره، فهُم لا يصبرون على طعام واحد وإمَّا قالوا على طعام واحد وهم يأكلون المنَّ والسَّلوى لأنَّه لا يتبدل ولا يتغيَّر كلَّ يومٍ⁽⁵⁾، حيث جاء على لسان سيدنا موسى-عليه السَّلام - ﴿آتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ المعنى الحرفي الظاهر المتمثل في (الاستفهام) أمَّا المعنى المستلزم والمقصود فقد جاء على سبيل (التَّعجُّب) بحسب سياق الكلام، وبذلك تمَّ خرقٌ مبدأ (المناسبة) لأنَّ إجابته-عليه السَّلام - لم تكن مناسبة للمقام الذي هم فيه، ولأنَّ إجابته أيضًا فيها "تفريعٌ لهم وتوبيخٌ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنيئة مع ما هم عليه من العيش الرَّغيد والطعام الهنيء الطَّيب النَّافع"⁽⁶⁾، "فتعتبر إجابته في نظر جرايس انتهاكًا لمبدأ (المناسبة)"⁽⁷⁾.

عَلَى الدَّبْلِ جِيَّاشٌ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهُ غَلِيٌّ مِرْجَلٌ⁽⁸⁾

- (1) ديوان امرئ القيس / 51.
- (2) المعجم الوجيز، مادة: خَلَع / 208.
- (3) شرح المعلقات السبع / 35.
- (4) البقرة: 60.
- (5) تفسير ابن كثير، ج 1 / 176.
- (6) المصدر السابق، ج 1 / 177.
- (7) الاستلزام الحوارية وديناميكية التَّخاطب في مفهوم جرايس، عبد القادر البار / 123.
- (8) ديوان امرئ القيس / 55.

الدَّبَلُ: دَبَلُ الفرسِ: ضَمَرَ، جَيَّاشُ: جَأَشُ: رُوعُ القلبِ إذا اضطربَ عند الفزع⁽¹⁾. الجَمِيُّ: حَمِيُّ النَّهَارِ... (حَمِيًّا) اشْتَدَّ حَرُّهُ، المَرْجَلُ: قَدْرٌ من نحاسٍ⁽²⁾.

ففي المعنى الحرفيِّ الظَّاهر للبيت يصفُ الشَّاعر فرسه بأنَّها على الرَّغم من ذبول خَلْفِهِ وضَمْرِ بطنه فإنَّه تَغلي فيه حرارة نشاطه، ثمَّ يُشْبِهُه تكسُّرَ سهيله في صدره بغليان القَدْرِ⁽³⁾، أمَّا المعنى المستلزم من وصفه وتشبيهه فَيُرِيدُ به بيان قوَّة فرسه وزيادة نشاطه، فَخَرَقَ بذلك مبدأ (الكيفِ) لتشبيهه تكسُّرَ صوتِ فرسه بغليان القَدْرِ، فقوله هذا لا يحتملُ الصِّدْقَ وَخَرَقَ مبدأ (المناسبة) لعدم ملاءمة ومطابقة كلامه لموضوعه.

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمْرُهُ تَتَابِعُ كَفَيْهِ بِخَيْطٍ مُوصِلٍ⁽⁴⁾

الدَّرِيرُ: دَرِيرًا: عَدَا شديداً، أو عَدُوًّا سهلاً، الخُذْرُوفُ: شيءٌ يُدَوِّرُهُ الصَّبِيُّ بخيطٍ في يديه فيسمعُ له دَوِيٌّ⁽⁵⁾.

شَبَّه امرؤ القيس دوران فرسه بدوران خُذروفِ الصَّبِيِّ الذي أَحْكَمَ فَنَلَّ خَيْطِهِ، فهذا هو المعنى الحرفيُّ الظَّاهر، أمَّا المعنى المستلزم الذي يُرِيدُ الشَّاعر إيصاله للمخاطب من خلال هذا التَّشْبِيهِ، بيان سرعة فرسه وشدَّة عَدُوِّه وجزيه، فسرعة فرسه ومواصلة جريه وعَدُوِّه لا يقطع كخُذروفِ الصَّبِيِّ الذي فَنَلَّ خَيْطَهُ واتَّصل⁽⁶⁾، فبكلامه هذا تَمَّ خَرَقَ مبدأ (الكيفِ) لتشبيهه سرعة فرسه ومواصلتها بخُذروفِ الصَّبِيِّ المَعْلَقُ على رأسه، فهذا القول لا يحتملُ الصِّدْقَ، وَخَرَقَ مبدأ (المناسبة) فكلامه لا يتناسب مع موضوعه، فما علاقة شدَّة سرعة الفرس بدوران خُذروفِ الصَّبِيِّ.

كَأَنَّ عَلَى المَثْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلَايَةَ حَنْظَلٍ⁽⁷⁾

الشَّاعر في هذا البيت يصفُ فرسه بأنَّ ظهره كمدالكِ عروسٍ وهو: الحجر الذي يتَّمُّ به سحقُ الطَّيِّبِ وغيره فيخرجُ دُهْنُهُ على ذاك الحجر، أو كصَلَايَةَ حَنْظَلٍ وهو عبارة عن حجرٍ أَمْلَسٍ يُسْحَقُ عليه الحنظل، فمن هذا التَّشْبِيهِ يتجسَّدُ لنا المعنى الحرفيِّ الظَّاهر، ولكنَّ الشَّاعر أَرَادَ معنىً آخر مستلزمًا ومقصودًا وهو انملاس ظهر فرسه وصفائه واكتناز لحمه⁽⁸⁾، وبهذا يكون الشَّاعر قد خَرَقَ مبدأ (الكيفِ)، فكلامه لا يحتملُ الصِّدْقَ، فلا يمكن أن يكون

(1) القاموس المحيط، مادة: دَبَلُ/586، مادة: جَأَشُ/230.

(2) مختار الصحاح، مادة: حَمِيُّ/139، مادة: رَجَلُ/207.

(3) يُنظر: شرح المعلقات السَّبْعِ/38.

(4) ديوان امرئ القيس/57.

(5) القاموس المحيط، مادة: دَرَزَ/535، مادة: خُذْرَفُ/446.

(6) يُنظر: شرح المعلقات السَّبْعِ/40.

(7) ديوان امرئ القيس/59.

(8) يُنظر: شرح المعلقات السَّبْعِ/42، ديوان امرئ القيس، هيثم هلال/24.

انملاس ظهر فرسه واكتناز لحمه كالحجر الذي تَسْحَقُ به العروس الطَّيب، أو كالحجر الذي يُسْحَقُ به الحنظل، وخرق مبدأ (المناسبة) فكلامه لا يتناسب مع موضوعه.

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَائِينَ وَبِلِهِ كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُرْمَلٍ⁽¹⁾

استعار امرؤ القيس العرائين أي: (الأنوف) لأوائل المطر، وشبه ثبيرًا وهو جبلٌ بعينه، في أوائل المطر وكأنه سيدٌ كبيرٌ لأناسٍ وقد تَزَمَّلَ وتَلَفَّفَ في كساءٍ أو ثوبٍ مخطَّطٍ، فشبه تغطيته بالمطر بتغطّي وتلّفّف هذا الرجل بالكساء، ففي كلامه هذا نجدُ المعنى الحرفي الظاهر، أمّا المعنى المستلزم والمقصود فتتمثل في قوّة المطر وعظمتِه وغازتِه⁽²⁾، فخرق الشاعر بذلك مبدأ (الكيف) لعدم صدق كلامه بكون هذا المطر كالسيد الذي تَزَمَّلَ بكساءٍ مخطَّطٍ وخرق مبدأ (المناسبة) لعدم مطابقة ومناسبة كلامه مع موضوعه .

كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجِيمِرِ غُدُوَّةٌ مِنْ السَّيْلِ وَالْأَغْثَاءِ فَلَكَةُ مَغْزَلٍ⁽³⁾

شبه امرؤ القيس استدارة المُجيمِر وهي أكمةٌ بعينها، أو رأس هذه الأرض من كثرة ما أحاطَ بها من أغثاء السيل باستدارة فلكة المغزل⁽⁴⁾، فمن هذا القول يتجلّى المعنى الحرفي الظاهر، أمّا المعنى المستلزم والمقصود فيريدُ به الشاعر بيان قوّة هذا السيل وغازتِه، فخرق بذلك مبدأ (الكيف) لعدم صدق تشبيهه، فكيف يمكن أن يكون رأس الأرض كفلكة المغزل؟ وخرق مبدأ (المناسبة) لعدم مطابقة كلامه للموضوع، فلا توجد ملاءمة وعلاقة بين كلٍّ من رأس الأرض والمغزل.

وفي قوله:

وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَيْبِ بَعَاغَهُ نُزُولَ الْيَمَانِيِّ ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمَّلِ⁽⁵⁾

الغيبط: أرضٌ واسعةٌ مستويةٌ يرتفع طرفاها⁽⁶⁾، البعاع" ثقلُ السحاب من المطر، والعياب: ما يُجعلُ فيه الثياب"⁽⁷⁾.

شبه امرؤ القيس في هذا البيت أيضًا "نزول هذا المطر بنزول التاجر اليماني، وشبه ضروب الثياب الناشئة من هذا المطر بصنوف الثياب التي نثرها التاجر عند عرضها للبيع"⁽⁸⁾، فهنا يتمثل المعنى الحرفي الظاهر، ولكنّه

(1) ديوان امرئ القيس /67.

(2) يُنظر: شرح المعلقات السبع /50، 51.

(3) ديوان امرئ القيس /67.

(4) يُنظر: شرح المعلقات السبع /51.

(5) ديوان امرئ القيس /67.

(6) لسان العرب، مادة: عَبَطُ، ج/10/14.

(7) القاموس المحيط، مادة: بَعَعَ/143، مادة: عَيْبَ/1165.

(8) شرح المعلقات السبع /51.

أَرَادَ مَعْنَى آخِرِ مُسْتَلْزَمًا وَمَقْصُودًا فَهَمَنَاهُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ، وَهُوَ بَيَانُ أَثَرِ الْمَطَرِ الَّذِي يَنْشُرُهُ فِي الصَّحْرَاءِ فَيُنْبِتُ الْكَلَأَ وَأَلْوَانَ الْأَزْهَارِ وَالنَّبَاتِ⁽¹⁾، فَخَرَقَ بِذَلِكَ مَبْدَأَ (الْكَيفِ) لِعَدَمِ صَدَقِ قَوْلِهِ، وَخَرَقَ مَبْدَأَ (الْمُنَاسِبَةِ)، لِعَدَمِ مِطَابَقَةِ وَمِلَامَةِ كَلَامِهِ لِلْمَوْضُوعِ.

وَفِي قَوْلِهِ:

كَأَنَّ مَكَائِي الْجَوَاءِ عُذِيَّةٌ صُبِحْنَ سُلَاقًا مِنْ رَجِيْقٍ مُفْلَلٍ⁽²⁾

شَبَّهَ الشَّاعِرُ طَيُورَ الْمَكَائِيِّ وَكَأَنَّهَا قَدْ سُقِيَتْ بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْخَمْرِ الْمَفْلَلِ صَبَاحًا وَغَدَاةً فِي هَذِهِ الْأُودِيَةِ، فَمِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ يَتَبَيَّنُ لَنَا الْمَعْنَى الْحَرْفِيَّ الظَّاهِرَ، وَلَكِنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ إِيْصَالَ مَعْنَى آخِرِ مُسْتَلْزَمًا وَمَقْصُودًا، فَجَعَلَ نَشَاطَ الطَّيْرِ وَفَرِحَتِهَا بِرُؤْيَا الْمَطَرِ وَخُصُوبَةِ الْأَرْضِ كَالسُّكَّارِي، وَجَعَلَ كَثْرَةَ تَغْرِيدِهَا وَجِدَّةَ أَلْسِنَتِهَا مِنْ حَذْيِ الشَّرَابِ الْمَفْلَلِ إِيَّاهَا لِسَعَادَتِهَا بِقُدُومِ الْمَطَرِ⁽³⁾، فَتَمَّ بِذَلِكَ خَرَقَ مَبْدَأَ (الْكَيفِ)، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ، وَخَرَقَ مَبْدَأَ (الْمُنَاسِبَةِ) لِعَدَمِ تَنَاسُبِ تَشْبِيهِهِ فَرِحَةَ الطَّيْرِ بِنَزُولِ الْمَطَرِ (بِالسُّكَّارِي)، وَجِدَّةَ تَغْرِيدِهَا بِحَذْيِ الشَّرَابِ الْمَفْلَلِ.

كَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرْقَى عَشِيَّةٌ بِأَرْجَانِهِ الْفُصُؤَى أَنَابِيْشُ عُصْلٍ⁽⁴⁾

هِنَا شَبَّهَ الشَّاعِرُ هَذِهِ السَّبَاعَ وَهِيَ غَرْقَى فِي سَيُولِ هَذَا الْمَطَرِ عَشِيَّةً بِأَنَابِيْشٍ: وَهُوَ مَا كَانَتْ أَصُولُهُ تَحْتَ الْأَرْضِ⁽⁵⁾، (عُصْلٍ) وَهُوَ الْبِصَلُ الْبَرِّي، حِينَ تَلَطَّخَهُ بِالطِّينِ وَالتُّرَابِ، فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْحَرْفِيَّ الظَّاهِرَ مِنَ الْكَلَامِ لَكِنَّهُ أَرَادَ مَعْنَى آخِرِ مُسْتَلْزَمًا وَمَقْصُودًا تَمَثَّلَ فِي بَيَانِ قُوَّةِ الْمَطَرِ وَشِدَّتِهَا الَّتِي جَعَلَتْ السَّبَاعَ تَغْرُقُ فِي الطِّينِ وَالتُّرَابِ⁽⁶⁾، فَخَرَقَ الشَّاعِرُ مَبْدَأَ (الْكَيفِ) لِعَدَمِ صَدَقِ كَلَامِهِ، فَلَا يُمْكِنُ لِلْسَّبَاعِ أَنْ تَكُونَ كَالْبِصَلِ الْبَرِّيِّ، وَخَرَقَ مَبْدَأَ (الْمُنَاسِبَةِ) لِعَدَمِ تَنَاسُبِ وَتَلَاوُمِ كَلَامِهِ مَعَ مَوْضُوعِهِ، فَمَا عِلَاقَةُ السَّبَاعِ الْغَرْقَى بِالْبِصَلِ الْبَرِّيِّ؟

(1) يُنظَر: شَرَحَ الْمَعْلَقَاتِ الْعَشْرِ /79.

(2) دِيْوَانُ امْرِئِ الْقَيْسِ /68.

(3) يُنظَر: شَرَحَ الْمَعْلَقَاتِ السَّبْعِ /52، دِيْوَانُ امْرِئِ الْقَيْسِ، هَيْثُمْ هَلَالٌ/29، شَرَحَ الْمَعْلَقَاتِ الْعَشْرِ /80.

(4) دِيْوَانُ امْرِئِ الْقَيْسِ /69.

(5) لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةٌ: نَبَشٌ، ج/14 /20.

(6) يُنظَر: شَرَحَ الْمَعْلَقَاتِ السَّبْعِ /52.

خامساً - مبدأ الكم والكيف والمناسبة:

يقول الشاعر في وصف محبوبته:

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أُسَيْلٍ وَتَنْقِي
بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجِرَّةٍ مُطْفِلٍ⁽¹⁾

الصدُّ: (صدَّ عنه): أَعْرَضَ⁽²⁾، والإبداء: أي: ظَهَرَ⁽³⁾.

يُخبرنا امرؤ القيس أنَّ محبوبته تُعرض عنه وتُظهر عن أسيلٍ، ويُراد به: عن خدِّ أسيلٍ أي (لئِنْ الخدَّ طوبله)⁽⁴⁾ فَحَذَفَ الموصوف لدلالة الصِّفة عليه، وَحَذَفَ المضاف من قوله: من وحشٍ وجرةٍ، أي من نواظر وحشٍ وجرة فَحَرَقَ الشَّاعر مبدأ (الكمِّ)؛ لأنَّ خطابه ووصفه جَاءَ ناقصًا، فلم يُعطينا قدرًا وافيًا من المعلومات، واستعمل الحذف، فَحَرَجَ الكلام من معناه الحرفيِّ إلى المعنى المستلزم بحسب السِّياق الوارد فيه، ووصفها بأنَّها تجعل حاجزًا بينها وبينه في موضع الوحش الذي له طفلٌ، فشَبَّهَ نظرتها بنظرة الوحش الذي له طفلٌ، فهنا يتمثَّل المعنى الحرفيِّ الظاهر من الكلام، أمَّا المعنى المستلزم فيريدُ به الشَّاعرُ أنَّها حين إعراضها عنه تُظهرُ له خدًّا طويلًا وتستقبله بعينٍ مثل عيون طباءٍ وجرة اللواتي لها أطفال ينظرون إليهم نظرة عطفٍ وشفقة⁽⁵⁾، " فشَبَّهَها في حُسن عينيها بظبية مطفلٍ أو بمهاة مطفلٍ"⁽⁶⁾ وهذا هو المعنى المقصود، وبذلك تمَّ خرق مبدأ (الكيف) لتشبيهه عيونها بعين الوحش فهذا لا يحتمل الصدق، وَحَرَقَ مبدأ (المناسبة) لعدم تناسب حُسن عينيها بنظرة الوحش.

ويقول أيضًا:

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ عَجْرٍ شُننٍ كَأَنَّهُ
أَسَارِيغٌ ظَبْيِيٍّ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحَلٍ⁽⁷⁾

الرَّخْصُ: الشيءُ النَّاعِمُ.⁽⁸⁾

شَبَّهَ امرؤ القيس محبوبته وهي (تَعْطُو) تتناولُ الأشياء بأنامل رَخْصٍ لئِنْ ناعِمٍ غير غليظٍ بهذا النوع من الدُّود وهو الئيسروع، أو بهذا النوع من المساويك التي تُتَخَذُ من أغصان هذا النوع من الشَّجر وهو (الإسحل) فهذا هو المعنى الحرفيِّ الظاهر من وصفه، ولكنَّه أرادَ معنىً آخر مستلزمًا ومقصودًا غير ظاهرٍ فهمناه من السِّياق، المتمثَّل في أنَّ أصابعها ناعمةٌ طريَّةٌ بيضاء كالئيسروع وكمساويك إسحلٍ، وقد تمَّ خرق مبدأ (الكمِّ) فالمعلومات لم تكن بالقدر المطلوب في قوله: (أساريغٌ ظبِّي) أو (مساويك إسحلٍ)، وَحَرَقَ مبدأ (الكيف) لعدم الصدق في وصف أناملها، فكيف

(1) ديوان امرئ القيس / 42.

(2) مختار الصحاح، مادة: صَدَدَ / 314.

(3) المصدر السابق، مادة: بَدَا / 38.

(4) المصدر نفسه، مادة: أُسِّلَ / 14.

(5) يُنظر: شرح المعلقات السبع / 25.

(6) المصدر السابق.

(7) ديوان امرئ القيس / 45.

(8) القاموس المحيط، مادة: رَخَصَ / 628.

يمكن أن تكون كاليُسروع أو كمشاويك إسحل⁽¹⁾، وخرق مبدأ (المناسبة) فالعبارات لم تكن مناسبة وملائمة للموضوع.

فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَتْ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّكَ⁽²⁾

تَمَطَّى وَ(تَمَطَّطَ) تَمَدَّدَ⁽³⁾، الإرداف: رَدِفَهُ: تَبِعَهُ⁽⁴⁾، الكلكل: الصَّدْر⁽⁵⁾.

يقول امرؤ القيس: مخاطبًا الليل الذي اُمْتَدَّ وَأَفْرَطَ طوله، وازدادت مآخيره امتدادًا، وأبعد صدره⁽⁶⁾، "فاستعار ليل صلبًا واستعار لظوله لفظ التَّمْيِي لِإِلْتِمَاصِ الصُّلْبِ، واستعار لأوائله لفظ الكلكل ولمآخيره لفظ الأعجاز"⁽⁷⁾ فهذا هو المعنى الحرفي الظاهر، ولكنه أراد معنى آخر مستلزمًا من وراء قوله، وهو أن ليله الطويل المليء بالأحزان والهموم كالبعير الذي تمدد على الأرض، فناءت وابتعدت أوائله وازدادت وأخره تطاولًا، فالمهموم ليله طويل، والمسرور ليله قصير⁽⁸⁾ وبذلك نجدُ خرقًا لمبدأ (الكَمِّ) بحسب المعنى الحرفي؛ لأنَّ المعلومات لم تكن بالقدر المطلوب فكان هناك إيجاز في كلامه وخرقًا لمبدأ (الكيف) لأنه لا يمكن لليل أن يكون كالبعير فهذا القول لا يحتمل الصدق، وخرقًا لمبدأ (المناسبة) لعدم تناسب كلامه مع موضوعه، فما علاقة طول الليل بالبعير؟!

سادسًا- مبدأ الكَمِّ والكيفِ والطريقة:

يقول امرؤ القيس:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخُدْرَ خُدْرَ عُنْبِرَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي⁽⁹⁾

إن في قول عنيزة: (لَكَ الْوَيْلَاتُ) حَمَلْتُ هذه العبارة دلالتين: الأولى: حرفية، بمعنى لك الويل والهلاك "إِنَّكَ تُصَيِّرُنِي رَاجِلَةً لِعَفْرِكَ ظَهَرَ بَعِيرِي"⁽¹⁰⁾، فهذا من باب الدعاء عليه بحسب الدلالة الحرفية المباشرة، والثانية مستلزمة يُقصدُ بها المدح والثناء، وهذه من الأدعية التي استعملها العرب على العكس، وذلك أن ظاهرها ذمُّ (دعاءً عليه) وفي الحقيقة أنها (مدحٌ وثناءٌ) أو دعاءٌ له⁽¹¹⁾، من مثل قولهم: "قاتله الله ما أفصحه"⁽¹²⁾، وبذلك تمَّ خرق مبدأ (الكيف)

(1) يُنظر: شرح المعلقات السبع /19، وديوان امرئ القيس، هيثم هلال/28.

(2) ديوان امرئ القيس /48.

(3) مختار الصحاح /551.

(4) القاموس المحيط، مادة: رَدِفَتْ/632.

(5) المصدر السابق، مادة: كَلَّلَ/1431.

(6) يُنظر: شرح المعلقات السبع /32.

(7) المصدر السابق.

(8) يُنظر: المصدر نفسه.

(9) ديوان امرئ القيس /27.

(10) شرح المعلقات السبع /12.

(11) يُنظر: شرح القصائد العشر، التبريزي/41.

(12) شرح المعلقات السبع /11.

لعدم صدق كلامه من ناحية الدلالة الحرفية، كما أنّ الشاعر أفاض وأطنب في وصفه لمحبوته و ما دارَ بينهما من حوارٍ فخرقَ بذلك الإطناب مبدأ (الكَمِّ)، فلم يُعطينا معلومات بالقدر الكافي والمطلوب، وإنّما كانت هناك زيادة في قوله ذلك، فخرَجَ الكلام من معناه الحرفي إلى المعنى المستلزم حوارياً، فهو "يُرِيدُ أَنْ هَذَا الْيَوْمَ كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَيَّامِ الصَّالِحَةِ الَّتِي نَلْتَمِسُ مِنْهَا أَيْضًا"⁽¹⁾. وقد خَرَقَ الشَّاعِرُ مَبْدَأَ (الطَّرِيقَةِ) فِي قَوْلِهَا: (لَكَ الْوَيْلَاتُ)، حَيْثُ تَمَّ تَقْدِيمُ الْخَبَرِ (لَكَ) عَلَى الْمَبْتَدَأِ (الْوَيْلَاتُ) فَعَدَمَ التَّرْتِيبَ هُنَا أَدَّى إِلَى خَرَقِ مَبْدَأِ الطَّرِيقَةِ؛ لِأَنَّ مِنْ شُرُوطِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ التَّعَاوُنِيَّةِ الْجَرَائِيسِيَّةِ تَحْرِييَ التَّرْتِيبِ فِي الْكَلَامِ.

"ويروى في الأخبار الواردة في غزاة بدرٍ أنّ النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان سائراً بأصحابه يقصدُ بدرًا فلقبهم رجلاً من العرب، فقال: ممّن القوم؟ فقال النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: من ماء، فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء، لينظر أيّ بطون العرب يُقال لها ماء، فسار النبيّ لوجهته، وكان قصده أن يكتم أمره. وهذا من المغالطة المثليّة، لأنّه يجوز أن يكون المراد أنّ خلقهم من ماء"⁽²⁾.

عليه فقد تمَّ خرق مبدأ (الطريقة) لوقوع الالتباس والغموض في الإجابة، فخرَجَ الكلام من معناه الحرفي الظاهر إلى المعنى المستلزم والمقصود حوارياً بحسب سياق الحديث، والذي أراد به رسولنا الكريم سريّة خروجه لغزوة بدرٍ وكتمان أمره.

"وكذلك وردَ بعض قول العراقيين يهجو رجلاً كان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - ثمّ انتقل إلى مذهب أبي حنيفة - رضي الله عنه - ثمّ انتقل إلى مذهب الشافعيّ - رضي الله عنه - :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الْوَجِيهَ رِسَالَةً	وَإِنْ كَانَتْ لَا تُجِدِي لَدَيْهِ الرِّسَائِلُ
تَمَّذْهَبْتَ لِلنُّعْمَانِ بَعْدَ بِنِ حَنْبَلٍ	وَفَارَقْتَهُ إِذْ أَعُوَزْتُكَ الْمَأْكَلُ
وَمَا اخْتَرْتَ رَأْيِي الشَّافِعِيَّ تَدْبِيئًا	وَأَكْبَمًا تَهْوَى الَّذِي مِنْهُ حَاصِلُ
وَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ لَا شَكَّ صَائِرٌ	إِلَى مَالِكٍ فَافْطِنْ لِمَا أَنَا قَائِلُ

ومالك هو مالك بن أنس المذهب - رضي الله عنه - ومالك هو خازن النار، وهذه مغالطة لطيفة⁽³⁾ . فتَمَّ

بذلك الكلام خرق مبدأ (الطريقة) لغموض الكلام والتباسه، فخرَجَ من معناه الحرفي الظاهر إلى معناه المستلزم والمقصود حوارياً المتمثّل في مالك بن أنس - رضي الله عنه - والذي فهمناه من خلال سياق الأبيات.

(1) شرح المعلقات العشر / 38.

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير/ 79.

(3) المصدر السابق/ 78.

الخاتمة

تمّ الوصول إلى نهاية الرسالة بحمد الله وميّه، وكان لزاماً علينا الإشارة إلى مجموعة من النتائج التي تمّ التوصل إليها من خلال تطبيق المبادئ التعاونية الأربعة نوجزها فيما يلي:

- عدم التزام امرؤ القيس التزاماً حرفياً بهذه المبادئ، بل كثيراً ما يخرقها ليولّد معاني إضافية (استلزامات حوارية) أضافت حسناً وجمالاً لشعره.
- خرق مبدأ (الكَم) بإعطائه معلومات أكثر من اللازم (إطناب) أو معلومات غير كافية (إيجاز) في موضع آخر، من خلال وصف محبوبته، ووصف فرسه، ووصف السحاب والمطر؛ ليخلق معاني غير مباشرة (جمالية، وجدانية فخرية).
- استعمال امرؤ القيس التشبيه، والاستعارة، والكناية كثيراً وبشكل مباشر، حيث خرق بتلك الأساليب البلاغية مبدأ: الكَم، والكيف، والمناسبة كلُّ هذا ولّد استلزامات ومعاني ضمنية تمثلت في: شدة حزنه وفراقه، وتجميل صورة محبوبته، وإبراز فروسيته.
- إنَّ الأساليب الإنشائية الطليية عند امرؤ القيس كالأمر، والنداء، والاستفهام، وغيرها، استخدمت لإظهار المعاني الخفية غير المباشرة أكثر من كونها أساليب حرفية مباشرة.
- حدوث خرق لمبدأ الطريقة من حيث التقديم والتأخير جعل الترتيب غامضاً غير مباشر، لإنتاج استلزامات شعرية يستطبع المخاطب الوصول إلى معانيها الضمنية الخفية.

تلك هي أهم النتائج التي توصل إليها البحث، فنسأل الله تعالى المعونة والتوفيق في كلِّ أمورنا وأعمالنا.

- التوصيات:

- كما توصي الباحثة الدارسين والباحثين في مجالات اللسانيات التداولية ب:
- مواكبة التطورات والمستجدات المتعلقة بالنظريات اللسانية التداولية، ومعرفة الروابط التي تربطها بتراثنا العربي الأصيل.
- دراسة المزيد من الدواوين الشعرية قديماً وحديثاً، وإبراز جهود الشعراء العرب المعاصرين عمومًا والشعراء الليبيين خصوصاً، ومحاولة تطبيقها على الجوانب التداولية لوجود النقص في هذا المجال؛ وذلك لإثراء مكتبتنا العربية.

الفهارس العامّة

- أ- فهرس الآيات القرآنيّة.
- ب- فهرس الأحاديث النبويّة والأخبار الواردة.
- ج- فهرس الأبيات الشعريّة.
- د- فهرس المصنّادر والمراجع.
- هـ- فهرس الموضوعات.

أ - فهرس الآيات القرآنية:

ت	نص الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة في البحث
1	﴿فَاتَّوَا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾	البقرة	22	63
2	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَيَّ طَعَامٍ وَحَدٍ﴾	البقرة	60	109
3	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾	البقرة	134	14
4	﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	البقرة	134	14
5	﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْإِنسَانِ الَّذِي يَدْعُو بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾	البقرة	171	59
6	﴿فَمَنْ كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾	البقرة	183	14
7	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾	البقرة	186	21
8	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَلِهَةِ﴾	البقرة	188	108
9	﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾	البقرة	209	63
10	﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾	البقرة	253	16
11	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾	البقرة	257	92
12	﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾	البقرة	285	22
13	﴿وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَالَمَهُمُ الْأَنْعَامَ مِنَ الْعَيْظِ﴾	آل عمران	119	98
14	﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾	آل عمران	140	3
15	﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾	آل عمران	159	65
16	﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾	آل عمران	193	20
17	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾	النساء	3	64

30-64	10	النساء	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾	18
30	23	النساء	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾	19
28	91	النساء	﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾	20
28	91	النساء	﴿وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَيَّ أَهْلِيهِ﴾	21
96	124	النساء	﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾	22
21	52	الأعراف	﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾	23
23	66	التوبة	﴿لَا تَعْتَدِرُوا قَدِّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾	24
63	87	هود	﴿أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ﴾	25
29	82	يوسف	﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾	26
21	32	إبراهيم	﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَيَّ النَّارِ﴾	27
16	27	الحجر	﴿وَالجَانَّ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾	28
15	30	النحل	﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾	29
29	23	الإسراء	﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفَّ﴾	30
100	24	الإسراء	﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ﴾	31
55	34	الكهف	﴿وَكَانَ لَهُ نُمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾	32
55	37	الكهف	﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾	33
14	93	الكهف	﴿فَمَا إِسْطَعُوا أَنْ يُظْهِرُوهُ﴾	34
18	4	مريم	﴿رَبِّ إِيَّاهِ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾	35
84	17-16	طه	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾	36
22	92	طه	﴿يَبْنُومٌ لَا تَأْخُذُ بِلِحْيَتِي﴾	37
26	63-62	الأنبياء	﴿قَالُوا يَا أَيْدِيَاهُ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ﴾	38

14	19-18	المؤمنون	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾	39
20	42	الشُّعْرَاءُ	﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى الْقُوا﴾	40
86	71 -69	الشُّعْرَاءُ	﴿وَأَاتِلْ عَلَيْهِم نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾	41
22	102	الشُّعْرَاءُ	﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ﴾	42
23	20	النَّمْلُ	﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهَدْيَ﴾	43
29	3	الرُّومُ	﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾	44
103	10	الأحزاب	﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾	45
59	33	سبأ	﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾	46
99	65	الصَّافَّاتِ	﴿ظَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾	47
23	18	الرُّمُرُ	﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مِنَ النَّارِ﴾	48
16	28	غافر	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾	49
22	36	غافر	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهَامَنُ﴾	50
14	73 -72	الرُّحُوفِ	﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾	51
21	46	الدُّخَانِ	﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾	52
22	11	الحجرات	﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾	53
15	56	الدَّارِيَّاتِ	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	54
20	14	الطُّورِ	﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾	55
50	19	الحديد	﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾	56
55	1	المجادلة	﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾	57
28	3	المجادلة	﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾	58
97	42	القلم	﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾	59

98	4	المَدَّثَر	﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرُ﴾	60
23	1	الشَّرْح	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	61

ب - فهرس الأحاديث النبوية والأخبار الواردة:

رقم الصّفحة في البحث	نصّ الحديث	ت
104	"إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ"	1
64	"إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ "	2
105	"الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ"	3
96	"الْعِلْمُ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ"	4
81	" فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسَنْتَ بِقَاتِلِي... "	5
115	"فَلَقِيَهُمْ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالَ: مَمَّنَ الْقَوْمُ؟"	6
64	"مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ"	7
64	" وَضِعَ عَنِ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانُ "	8

ج - فهرس الأبيات الشعريّة مرتّبة حسب أوائلها:

ت	النّص	الصفحة في الديوان	الصفحة في البحث
1	أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك ولا تُعطين الناس ما أنا قائل	460	63
2	إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا	64	24
3	إذا قامتا تصوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل	25	88
4	إذا مطرت منهم ومنك سخائب فوابلهم طل وطلك وابل	376	19
5	أرى كل ذي ملك إليك مصيره كاتك بحر والملوك جدول	376	19
6	أصاح ترى بزفا أريك وميضه كلمع اليتيم في حبي مكمل	63	88
7	أعيدها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن سخمه وزم	332	24
8	أعرك مبي أن حبك قاتلي وأنت مهما تأمري القلب يفعل	33	99
9	إلى مثلها يرئو الخليم صباية إذا ما استكرت بين درع ومجول	46	83
10	ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل	49	93
11	ألا حبذا وجه ثرينا بياضه ومُسَدَلَات كالمثاني فواجما	117	91
12	ألسنم خير من ركب المطايا وأندى العالمينا بطون راح	85	82
13	أيا بومة قد عشتت فوق هامتي على الرغم مبي حين طار غرابها	17	91
14	أيقنلي والمشرقي مضاجعي. ومسئونة زرق كاتياب أحوال	127	104
15	ترى بحر الأرام في عرصاتها وقبعانها كأنه حب فلفل	22	95
16	تصد وتبدي عن أسيل وتنقي بناظرة من وحش وجرة مطول	42	113
17	نضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبذل	46	92
18	نقول وقد مال الغيب بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل	29	106

ت	النص	الصفحة في الديوان	الصفحة في البحث
19	خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرِنَا ذَيْلٌ مِرْطٍ مَرَحَلٍ	37	83
20	دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَانِي السَّبَلَاءُ ءِ وَالْمَوْتُ مَيِّ كَحَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَوْهَنَ رَجُلِي ثَقُلَ الْحَدِيدِ	54	18
21	دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَالِيدِ أَمْرُهُ تَتَابَعُ كَفَيْهِ بِخَيْطٍ مَوْصَلٍ	57	110
22	طَافَتْ أَمَامَهُ بِالرُّكْبَانِ أَوْنَةً يَا حُسْنَهُ مِنْ قَوَامٍ مَا وَمُنْتَقَبًا!	21	59
23	عَلَى الذَّبْلِ جَبَاشٍ كَأَنَّ اهْتِرَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهُ عَلَيَّ مَرْجَلٍ	55	109
24	عَلَى قَطَنِ بِالشَّيْمِ أَيْمُنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَى السَّاتِرِ قَيْدُبِلٍ	65	87
25	عَلَى الْمَحِيطِ يَسْتَرِيحُ التَّلْجُ وَالسُّكُوتُ تَسَمَّرَ الْمَوْجُ عَلَى الرِّمَالِ وَالرِّيحُ زُرُوقٌ	21	93
26	غَدَائِرُهُ مُسْتَشْرَرَاتٌ إِلَى الْعُلَا تَصِلُ الْعِقَاصُ فِي مُتْنِي وَمُرْسَلٍ	43	82
27	فَأَدْبُرُنْ كَأَجْرِعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ بِجِيدٍ مَعَمٍ فِي الْعَشِيرَةِ مَحْوَلٍ	61	94
28	فَإِذَا ظَلِمْتُ فَإِنَّ ظَلَمِي بَاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ	82	89
29	فَأَضْحَى يَسُخُ الْمَاءِ حَوْلَ كُنَيْفَةٍ يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دُوخُ الْكَنْهَبِلِ	65	94
30	فَالْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاجِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تُرَيْلِ	61	86
31	فَنُوضِحُ فَاَلْمِفْرَاةَ لَمْ يَغْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجْتَهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالٍ	22	105
32	فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمِ ثِيَابِهَا لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَقَصِّلِ	37	99
33	فَطَلَّ الْعَدَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِ	27	106
34	فَطَلَّ طَهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيْفَتِ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلِ	62	87
35	فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثُورٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يُنْضِخْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ	62	86
36	فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُفَارِقٌ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ.	106	21

ت	النص	الصفحة في الديوان	الصفحة في البحث
37	فَعَنَّ لَهُ سِرْبٌ كَانَ نَعَاجَهُ عَدَارَى دَوَارٍ فِي مَلَأٍ مُدْبِلٍ	60	103
38	فَقَاضَتْ دُمُوعَ الْعَيْنِ مَيِّ صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي	25	96
39	فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْحِي زَمَامَهُ وَلَا تُبْعِدِينِي مِنْ جِنَاكِ الْمَعْلَلِ	29	106
40	فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّ	48	114
41	فَبَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِأَمْرَاسٍ يَكْتَانِ إِلَى صَمِّ جَنْدَلِ	50	101
42	فَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِحِ وَبَيْنَ الْعُدَيْبِ بَعْدَ مَا مُتَأَمَّلِي	64	87
43	فَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسْفِطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَخَوْلِ	21	80
44	كَأَنَّ نَبِيرًا فِي عَرَائِينِ وَثِلِهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُرْمَلِ	67	111
45	كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَبِّيرِ غُدُوءَ مِنَ السَّيْلِ وَالْأَغْنَاءِ فَلَكَّةَ مَعَزَلِ	67	111
46	كَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرْقَى عَشِيَّةَ بِأَرْجَانِهِ الْقُصُوى أَنَابِيشُ غُضَلِ	69	112
47	كَأَنَّ عَلَى الْمُتَنِينِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَلَايَةَ حَنْظَلِ	59	110
48	كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْتِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ	22	95
49	كَأَنَّ مَكَائِي الْجَوَاءِ غُدِيَّةَ صُبْحَنَ سَلَاقًا مِنْ رَجِيْقٍ مُفْقَلِ	68	112
50	كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَدَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَلِّ	41	100
51	كَدَابِكِ مِنْ أُمِّ الْخَوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَاسَلِ	25	88
52	كُمَيْتِ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفُوءُ بِالْمُنْتَزِلِ	55	84
53	كَيْفَ ارْتَمَتْ حَوَافِرُ الْجَوَادِ دُونَ أَنْ أَرَى التُّفَاحَةَ فِي ضَحْكَةِ الشُّعْبَانِ	28	88
54	لَا تَيَأْسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ فَلَرَبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثُمَّ ارْتَقَى	60	63
55	لَهُ أُيْطَلَا ظَبْيِي وَسَاقًا نَعَامَةٍ وَإِرْحَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْفَلِ	58	85

ت	النص	الصفحة في الديوان	الصفحة في البحث
56	مِكْرٍ مَقْرٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِيٍّ	54	102
57	مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْوَجِيهَ رِسَالَةً وَإِنْ كَانَتْ لَا تُجِدِي أَدِيهِ الرَّسَائِلُ	127	104
58	مُهْفَهْفَةٌ بَيْضَاءَ غَيْرِ مَفَاصَئِهِ تَرَايِبُهَا مَصْفُورَةٌ كَالسَّجْنَجْلِ	40	108
59	نَسَجَ التَّلُوجَ عَبَاءَةً لَبَسَ الزَّوَابِعَ مَعْطَفًا	16	94
60	هَصْرَتْ بِفَوْدِي رَأْسِهَا فَتَمَائِلَتْ عَلَيَّ، هَضِيمَ الْكَنْجِ، رِيًّا الْمُخْلَخِلِ	40	89
61	وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْعَبِيطِ بَعَاغَهُ نُزُولَ الْيَمَانِيِّ ذِي الْعِيَابِ الْمُحَمَّلِ	67	111
62	وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِ	33	98
63	وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ	24	95
64	وَبَيْضَةُ خَدْرٍ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمْتَعْتُ بِهَا مِنْ لَهْوٍ غَيْرِ مُعْجَلِ	35	107
65	وَتَعْطَوُ بِرَخْصٍ غَيْرِ شَنْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيْعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْجَلِ	45	113
66	وَتُضْجِي فَتِيْبُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نُؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَن تَفْضُلِ	44	82
67	وَجِدِّ كَجِدِّ الرَّئِمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَضْنَتْهُ وَلَا بِمُعْطَلِ	43	90
68	وَفِرْعَ يَزِينُ الْمَثْنَ أَسْوَدَ فَاجِمٍ أَثِيْبُ كَقَبْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَكِّلِ	43	90
69	وَقَدْ أَعْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِلِ هَيْكَلِ	53	102
70	وَقَرَبَةَ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عَصَامَهَا عَلَى كَاهِلِ مِنِّي ذَلُولِ مَرَحَلِ	51	84
71	وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَمَلِ	24	81
72	وَكَشْحٍ لَطِيْفٍ كَالْجَدِيدِ مُخَصَّرِ وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمَذَلِّ	44	91
73	وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُورَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لَيْسَ بَبْلِي	48	92
74	وَمَا ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمِيكَ فِي أَعْنَارِ قَلْبِ مُقْتَلِ	34	107
75	وَمَالِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي، وَعَفْوُكَ، إِنَّ عَفْوَتَ وَحُسْنَ ظَنِّي	425	19

ت	النص	الصفحة في الديوان	الصفحة في البحث
76	وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ فَقَرٍ قَطَعْتُهُ بِهِ الدُّنْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعَيَّلِ	51	109
77	وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخُدْرَ خُدْرٌ عُنْبِرَةٌ فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي	27	114
78	وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَدَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمَّلِ	26	97
79	يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو هُ لِدَهْرِي: قَطَعْتَ مَتْنِ الرَّجَاءِ!	23	24
80	يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ	332	24
81	يَا دَارَ عَيْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعَمِي صَبَاحًا دَارَ عَيْلَةٍ وَسَلَّمِي	80	20
82	يَا وَطَنِي الْحَزِينُ حَوَّلْتَنِي بِلِحْظَةٍ.. مِنْ شَاعِرٍ يَكْتُبُ شِعْرَ الْحُبِّ وَالْحَنِينِ لِشَاعِرٍ يَكْتُبُ بِالسِّكِّينِ	376	101
83	بُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبِ أَمَالِ السَّلِيطِ بِالدَّبَالِ الْمُفَتَّلِ	63	88
84	يَطْنُ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ، إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي	425	19
85	يُزِلُّ الْغَلَامَ الْخَفَّ عَنْ صَهْوَاتِهِ وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيْفِ الْمُنْقَلِ	57	85

د - فهرس المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم: برواية قالون عن نافع.
- 1- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002 م.
 - 2- الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي (551هـ - 631هـ)، بيروت - لبنان، ط1، 1405هـ - 1985م.
 - 3- أدب الدين والدنيا، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (364هـ - 450هـ)، اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، دار المنهاج، 1434هـ - 2013م.
 - 4- الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، غازي طليمات، عرفات الأشقر، دار الإرشاد بحمص ط1 1412هـ - 1992م.
 - 5- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني (250هـ - 1834م)، تح: محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط4، 1432هـ - 2011م.
 - 6- أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: 538هـ)، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.
 - 7- أساس البيان في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، أستاذ النحو في جامعة الشارقة.
 - 8- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ط2، 1399هـ - 1979م.
 - 9- استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 2004م.
 - 10- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي أدراوي، دار الأمان، الرباط، ط1، 1432هـ - 2011م.
 - 11- الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو - فقه اللغة - البلاغة، تمام حسّان، عالم الكتب القاهرة 1420هـ - 2000م.
 - 12- الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني، والبيان، والبدیع، الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد (ت: 739هـ) وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1 1424هـ - 2003م.
 - 13- بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، موسى إبراهيم الإبراهيم، رئيس قسم الدراسات القرآنية، كلية المعلمين أبعها، دار عمّار، عمّان - الأردن، ط1، 1416هـ - 1996م.
 - 14- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (745هـ - 794هـ)، تح: أبي الفضل الدمياطي دار الحديث، القاهرة، 1427هـ - 2006م.
 - 15- تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبدالرحمن، أستاذ المنطق وفلسفة اللغة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط - المغرب، المركز الثقافي العربي، ط2.

- 16- تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظريّة المسالك والغايات، محمّد محمّد يونس علي، دار كنوز المعرفة عمّان - الأردن، ط 1، 1437هـ - 2016م.
- 17- التّحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التّنوير، بيروت - لبنان، ط 1، 1993م.
- 18- التّداوليّة أصولها واتّجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمّان - الأردن، ط 1، 1437هـ - 2016م.
- 19- التّداوليّات علم استعمال اللّغة، حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط 2 - 2014م.
- 20- التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في الثّراث اللّسانيّ العربيّ، مسعود صحراوي أستاذ بقسم اللّغة العربيّة جامعة الأغواط، الجزائر، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ط 1، 2005م.
- 21- تفسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المّان، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي، قدّم له: محمّد بن صالح العثيمين تح: مجدي السّيد، ومصطفى شّان، المكتبة التّوفيقيّة.
- 22- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، الحافظ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، دار الأندلس، بيروت - لبنان، ط 5، 1404هـ - 1984م.
- 23- تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري (ت: 671هـ)، دار الرّيان للثّراث، طبعة خاصّة بتصريح من دار الشّعب.
- 24- تيسير التّحرير شرح محمّد أمين المعروف بأمير بادشاه على كتاب التّحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفيّة والشّافعيّة، كمال الدّين محمّد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود الشّهير بابن همام الدّين الإسكندري (ت 861هـ)، مؤسّسة جواد للطّباعة والتّصوير، بيروت - لبنان.
- 25- الجملة العربيّة والمعنى، فاضل صالح السّامرّائي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط 1، 1421هـ - 2000م.
- 26- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمّد بن أبي الحطاب القرشي، دار صادر، بيروت - لبنان.
- 27- الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكيّة، أحمد بن عبد الرّحمن الصّويان، دار الوطن، الرّياض، ط 1، 1413هـ.
- 28- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: 392هـ)، تح: محمّد علي النّجار، المكتبة العلميّة، دار الكتب المصريّة.
- 29- دراسات في الثّعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي، الاستاذ المساعد في كليّة الآداب بجامعة بغداد.
- 30- دراسات في نحو اللّغة الوظيفي، أحمد المتوكّل، دار النّقافة، الدّار البيضاء - المغرب، ط 1، 1406هـ - 1986م.
- 31- الدّرس التّداولي في ضوء علم اللّغة الحديث، محمّد محمود السّيد أبو حسين، الجامعة الخليجيّة بالبحرين، دار الفكر العربي بالقاهرة، 2010م.
- 32- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجانيّ النّحويّ (ت: 471هـ - أو 474هـ)، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمّد شاكِر.
- 33- ديوان الإمام الشّافعيّ، مع مختارات من روائع حكمه، تدقيق وتعليق: صالح الشّاعر، مكتبة الآداب، ط 2، 1427هـ - 2006م.
- 34- ديوان ابن الرّومي، أبو الحسن علي بن العبّاس بن جريح، تح: حسين نصّار، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة، ط 3 منقّحة، 1424هـ - 2003م.
- 35- ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، 1406هـ - 1986م.
- 36- ديوان امريء القيس، اعتنى به وشرحه: هيثم جمعة هلال، دار مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، ط 1، 1433هـ - 2012م.

- 37- ديوان امريء القيس، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط 2، 1425 هـ 2004 م.
- 38- ديوان بشّار بن برد، جمع وشرح محمّد الطاهر بن عاشور، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربيّة 2007 م.
- 39- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1406 هـ - 1986 م.
- 40- ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصحّحه وشرحه ورتّبه: أحمد أمين، دار العودة، بيروت - لبنان.
- 41- ديوان الحطيئة، رواية وشرح ابن السكيت (186 هـ - 246 هـ)، تح: نعمان محمّد أمين طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط1، 1407 هـ - 1987 م.
- 42- ديوان عنتره، مطبعة الآداب لصاحبها أمين خوري، بيروت 1893 م.
- 43- ديوان الفروسيّة، أحمد المجاطي، منشورات المجلس القومي للثقافة العربيّة، ط 1، 1987 م.
- 44- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403 هـ - 1983 م.
- 45- رياض الصّالحين من حديث سيّد المرسلين، محيي الدّين بن شرف النّووي (ت: 676 هـ)، حقّقه، وضبط نصّه وخرّج أحاديثه: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، ط 1، 1421 هـ.
- 46- زوائد الأصول على منهاج الوصول، جمال الدّين عبد الرّحمن بن الحسن الأسنوي (ت: 704 هـ - 772 هـ)، تح محمّد سنان سيف الجبلاي.
- 47- سنن التّرمذي، محمّد بن عيسى بن سورة التّرمذي (ت: 279 هـ)، حكم على أحاديثه وأثاره وعلّق عليه: محمّد ناصر الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور، مكتبة المعارف، الرّياض، ط 1.
- 48- السّيّاق والنّصّ الشّعريّ من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، دار الثقافة، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء ط1، 1421 هـ - 2000 م.
- 49- شرح التّلاخيص، أكمل الدّين محمّد بن محمّد بن محمود بن أحمد البابرّي (ت: 786)، تح: محمّد مصطفى رمضان صوفيه، المنشأة العامّة للنّشر والتّوزيع والإعلان، طرابلس - ليبيا، ط1، 1392 و- 1983 م.
- 50- شرح دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ (ت: 471)، محمّد إبراهيم شادي، دار اليقين، مصر - المنصورة ط2 1434 هـ - 2013 م.
- 51- شرح ديوان عنتره بن شدّاد، ابن معاوية بن قراد العبسي، صحّحه: أمين سعيد، المطبعة العربيّة بمصر.
- 52- شرح ديوان المتنبي، وصفه: عبد الرّحمن البرقوقيّ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1407 هـ - 1986 م.
- 52- شرح المختصر لسعد الدّين التّفنّازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، في المعاني والبيان والبديع، رتّبه وعلّق عليه: عبد المتعال الصّعيدي، المطبعة المحموديّة التّجاريّة بالأزهر - مصر، 1356 هـ.
- 53- شرح القصائد العشر، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمّد بن الحسن بن محمّد بن موسى الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي (421 هـ - 502 هـ)، تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مكتبة محمّد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر مطبعة السّعادة بمصر.
- 54- شرح المعلّقات السّبع، الزوزني، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 1، 2013 م.
- 55- شرح المعلّقات العشر، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان 1983 م.

- 56- الصّاح، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت - لبنان، ط 4، 1407هـ - 1987م.
- 57- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفري البخاري (194هـ - 256هـ)، علّق عليه أحمد علي السهارةفوري، وأبو الحسن محمّد بن عبد الهادي السندي، طبعة جديدة ملونة، جمعية البشري، 1437هـ 2016م.
- 58- ضعيف الجامع الصّغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة المجدّدة والمزينة والمنقحة.
- 59- الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني مطبعة المقتطف بمصر، دار الكتب الخديويّة.
- 60- العصر الجاهلي، الأدب والنّصوص، المعلّقات، محمّد صبري الأشتر، مديريّة الكتب والمطبوعات الجامعيّة جامعة حلب، 1414هـ - 1994م.
- 61- العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط 11، القاهرة.
- 62- علم أصول الفقه وخالصة التّشريع الإسلامي، عبد الوهاب خلاف، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م.
- 63- علم الدّلالة، أحمد مختار عمر، علا الكتب، القاهرة، ط 5، 1998م.
- 64- علم التّخاطب الإسلامي، دراسة لسانيّة لمناهج علماء الأصول في فهم النّص، محمّد محمّد يونس علي، دار المدار الإسلامي، ط 1، 2006م.
- 65- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النّهضة العربيّة، بيروت - لبنان، ط 1، 1430هـ - 2009م.
- 66- فواتح الرّحموت، عبد العلي محمّد بن نظام الدّين اللكنوي (ت: 225هـ) بشرح مُسلم التّبوت، محب الله بن عبد الشّكور البهاري (ت: 1119هـ)، ضبطه وصحّحه: عبد الله محمود محمّد عمر، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط 1 1423هـ - 2002م.
- 67- في ظلال القرآن، سيّد قطب، طبعة جديدة مشروعة، دار الشّروق، ط 11، 1405هـ - 1985م.
- 68- في اللّسانيّات التّداوليّة، مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربيّ القديم، خليفة بوجادي، دار بيت الحكمة، ط 1 2009م.
- 69- القاموس المحيط، مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، راجعه: أنس محمّد الشّامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث - القاهرة، نسخة منقّحة، 1429هـ.
- 70- قصائد نزار قبّاني، ط 25، 1981م.
- 71- كتاب التّعريفات، علي بن محمّد الشّريف الجرجانيّ (740هـ - 816هـ)، مكتبة لبنان - بيروت، 1985م.
- 72- كتاب سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1411هـ 1991م.
- 73- الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الرّمخشريّ الخوارزميّ (467هـ - 538هـ)، دار الفكر.
- 74- اللّغة العربيّة معناها ومبناها، تَمّام حسّان، دار النّقافة، الدّار البيضاء - المغرب، 1994م.
- 75- لسان العرب، ابن منظور (630هـ - 711هـ)، دار إحياء الثّراث العربيّ، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، بيروت - لبنان طبعة ملوّنة، اعتنى بتصحيحها: أمين محمّد عبد الوهّاب، محمّد الصّادق العبيدي، ط 1، 1416هـ - 1995م.

- 76- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، دار المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء)، ط 1، 1998م.
- 77- اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 2، 2010م.
- 78- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 3، 1421هـ - 2000م.
- 78- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، طبعة جديدة منقحة، دار الفكر، دمشق، ط 3، 1429هـ - 2008م.
- 79- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، وبدوي طبانه دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة- القاهرة.
- 80- المجازات النبوية، محمد بن حسين الشريف الرضي، تصحيح: مهدي هوشمند، مكتبة لسان العرب، دار الحديث للثقافة، ط 1، 1422هـ.
- 81- محاضرات في لسانيات النص، جميل حمداوي، ط 1، 2015م.
- 82- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة علوي، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ط 1 2004م.
- 83- مختارات من شعر نزار قباني، اختارها وقدم لها: مصطفى طلاس، مكتبة دار طلاس، ط 1- 2000م.
- 84- مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط 1- 2004م.
- 85- مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، حسني خالد، مكتبة نوميديا، منشورات أنفو برانت.
- 86- مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة، دار قباء، القاهرة.
- 87- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، دارالمدار الإسلامي، بيروت لبنان طبعة جديدة ومنقحة، ط 2 - 2007م.
- 88- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (260هـ - 360هـ)، تح: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، 1415هـ - 1995م.
- 89- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية والألمانية، جميل صليبا، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1982م.
- 90- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط 1، 1400 - 1980م.
- 91- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد ابن علي السكاكي (ت: 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1403هـ - 1983م.
- 92- المفضلّيات، أبو العباس المفضل بن محمد الضبي، ضبطها وشرحها: حسن السندي، المكتبة التجارية، مصر ط 1، 1345هـ - 1926م.
- 93- من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تبسيط التداولية، بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع القاهرة ط 1، 2010م.
- 94- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي وهو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت: 790هـ) ضبطه وعنى به: محمد عبدالله دراز.
- 95- النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة ط 1، 2013م.
- 96- النظرية التداولية وأثرها في الدراسات التحويّة المعاصرة، أحمد فهد صالح شاهين، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ط 1- 2015م.

- 97- نظريّة المعنى في البّراسات النّحويّة، كريم حسين ناصح خالدي، دار صفاء، عمّان - الأردن، 1427هـ - 2006م.
- 98- هندسة الحوار، عبد القادر بن عبد الحافظ الشبخلي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرّياض، ط1 1432هـ - 2011م.
- 99- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت: 468هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي دار الفلم، دمشق، الدّار السّاميّة، ط1، 1415م - 1995م.
- 100- الوظائف النّداوليّة في اللّغة العربيّة، أحمد المتوكّل، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، ط1، 1405م - 1885م.

• الكتب المترجمة إلى اللّغة العربيّة:

- 1- النّداوليّة، جورج يول، تر: قصي العنّابي، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، ط1، 1431هـ - 2010م.
- 2- النّداوليّة من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر حباشة، دار الحوار، اللّاذقيّة - سورية، ط1، 2007م.
- 3- النّداوليّة اليوم علم جديد في التّواصل، آن روبول، وجاك موشلار، تر: سيف الدّين دغفوس، ومحمّد الشّيباني المنظّمة العربيّة للتّرجمة، دار الطّليعة، بيروت - لبنان، ط1، 2003م.
- 4- دور الكلمة في اللّغة، ستيفن أولمان، تر: كمال محمّد بشير، مكتبة الشّباب.
- 5- مدخل إلى اللّسانيّات النّداوليّة، لطلبة المعاهد اللّغة العربيّة وآدابها، تر: محمّد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيّة السّاحة المركزيّة - بن عكنون - الجزائر.
- 6- المقاربة النّداوليّة، فرانسواز أرمينكو، تر: سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي.
- 7- الملفوظيّة، جان سيرفوني، تر: قاسم المقداد، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، 1998م.

• المجلّات والمؤتمرات العلميّة:

- 1- الاستلزام النّخاطبيّ في الأمثال العربيّة، كتاب مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا، عبدالله بن سعد بن فارس الحقباني مجلّة كليّة دار العلوم، العدد 148، 2024م.
- 2- الاستلزام النّخاطبيّ في ضوء المقاربة الوظيفيّة، أحمد المتوكّل، محمّد يزيد سالم، جامعة محمّد خيضر بسكرة الجزائر، اللّسانيّات - العدد 24.
- 3- الاستلزام الحواريّ وديناميّة النّخاطب في مفهوم جرابيس، عبد القادر البار، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، مجلّة مقاليد العدد 14 - 2018م.
- 4- النّداوليّة، دراسة في المجالات والفروع، علجيّة آيت بوجمعة، جامعة مولود معمري، تيزي - وزو، 2016م.
- 5- جهود أحمد المتوكّل في اللّسانيّات النّداوليّة - الوظائف النّداوليّة أنموذجًا، سمّيّة غول، المركز الجامعي مرسلي عبدالله بيتازة (الجزائر)، أفانين الخطاب، المجلّد: 01 / العدد: 02 / 2021م.
- 6- الحوار بين أتباع المذاهب الإسلاميّة، محمّد جبر الألفي، الدّورة 21 لمؤتمر مجمع الفقه الإسلاميّ الدّولي، الرّياض 1434هـ - 2013م.

- 7- ملامح اللسانيات الوظيفية في مقولات المخزومي، كتابة في النحو العربي قواعد وتطبيق الصّورة، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 13-2017م.
- 8- المنهج التداولي في فكر طه عبدالرحمن، سنار جبر محمود الأعرجي، محمّد حمزة إبراهيم، مجلة كلية الدراسات الإنسانية الجامعة، العدد 2 - 2012م.
- 9- النظرية التداولية التحليلية عند تشومسكي، حنان مقدادي، جامعة طيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة آداب ذي قار - العدد 32 - 2020م.

• الرسائل و الأطروحات الجامعية:

- 1- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، عطا محمّد محمود موسى، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1992م.
- 2- نظرية الاستلزام الحوارية في شعر نزار قبّاني دنيا عطية، دنيا بورنان، رسالة ماجستير، جامعة 8 ماي 1945م قالمة 2020م - 2021م.
- 3- نظرية المقاصد بين الأصوليين واللّسانيات التداولية، فطومة لحمادي، أطروحة دكتوراه، جامعة محمّد خيضر بسكرة 2010م - 2011م.

• المواقع الإلكترونية:

- 1- أحمد المجاطي الشّاعر العاشق للنزوة الأميرة والسّاكن في قرارة الكأس، امحمد برغوث، أنفاس نت، 12 / مارس 2009 / الزّيارات: 1978.
- 2- أغراض الخبر www.tarbika.com
- 3- الحوار في النّبع العربي القديم، شعر امريء القيس أنموذجاً، محمّد سعيد مرعي، مدوّنة العيد جلولي الأدبية السبت 24- أغسطس - 2013م Blogger.com.
- 4- الحوار في القرآن الكريم، مصطفى عطية جمعة، شبكة الألوكة www.alukah.net ، تاريخ الإضافة 16 / 9 / 2017م - 25 / 12 / 1438هـ ، الزّيارات: 239537.
- 5- شرح معلّفة عنتر بن شدّاد، عالم الأدب adabworld.com
- 6- المطلق والمقيّد في الشّريعة، مفهومها وحكمها، والعلاقة بينهما، إبراهيم السّلمي، تاريخ الإضافة: 25 / 9 / 2008م / 25 / 9 / 1429هـ ، الزّيارات: 786690 ، شبكة الألوكة الشّرعية www.alukah.net
- 7- المعاني التي يخرج إليها الاستفهام، المكتبة الشّاملة، Maktaba.org أرشيف منتدى الفصيح 2.
- 8- مفهوم الاستلزام النّحاطبي في الفكر اللّغويّ، يوسف تغزاوي، منتديات تخاطب، بتاريخ 4/4 / 2012م takhatub ahlam.montada.com

هـ - فهرس الموضوعات :

الصفحة	الموضوع
أ	المقدمة
1	التمهيد
3	أولاً: مفهوم التداوليّة لغةً.
4	ثانياً: مفهوم التداوليّة اصطلاحاً.
7	ثالثاً: أهميّة التداوليّة.
10	الفصل الأول: التمهيد.
11	المبحث الأول: التداوليّة في التراث العربيّ.
12	أولاً: عند أهل اللغة.
17	ثانياً: عند البلاغيّين
26	ثالثاً: عند الأصوليين.
31	المبحث الثاني: التداوليّة عند العلماء المحدثين.
32	أولاً: عند علماء الغرب.
37	ثانياً: عند علماء العربيّة.
45	المبحث الثالث: جوانب البحث التداوليّ.
46	أولاً: الافتراض المسبق.
47	ثانياً: الإشاريّات.
49	ثالثاً: الأفعال الكلاميّة.
51	رابعاً: الاستلزام الحواريّ.

52	الفصل الثّاني: نظريّة الاستلزام الحواريّ.
53	التّمهيد
54	مفهوم الاستلزام الحواريّ.
54	أولاً: لغةً.
55	ثانياً: اصطلاحاً.
56	ثالثاً: نبذة عن امريء القيس.
58	المبحث الأوّل: الاستلزام الحواريّ بين الأصالة والحدّاتة.
59	أولاً: عند اللّغويّين.
60	ثانياً: عند البلاغيّين.
64	ثالثاً: عند الأصوليّين.
66	رابعاً: عند العرب المحدثين.
70	المبحث الثّاني: الاستلزام الحواريّ عند الغربيّين.
71	أولاً: جرايس والاستلزام الحواريّ.
71	ثانياً: أنواع المعنى عند جرايس.
73	ثالثاً: مبادئ التّعاون وقواعد المحادّثة.
76	رابعاً: خصائص الاستلزام الحواريّ.
79	المبحث الثّالث: تطبيق الاستلزام الحواريّ في معلّقة امريء القيس.
80	أولاً: مبدأ الكمّ.
88	ثانياً: مبدأ الكيف.
95	ثالثاً: مبدأ الكمّ والكيف.
105	رابعاً: مبدأ الكيف والمناسبة.
113	خامساً: مبدأ الكمّ والكيف والمناسبة.

114	سادساً: مبدأ الكَمِّ والكَيْفِ والطَّرِيقَةِ.
116	الخاتمة.
117	الفهارس العامّة.
118	فهرس الآيات القرآنيّة.
122	فهرس الأحاديث النبويّة والأخبار الواردة.
123	فهرس الآيات الشعريّة.
128	فهرس المصادر والمراجع.
135	فهرس الموضوعات.

ملخص الرسالة:

يُعدُّ الاستلزام الحواريُّ عند جرابيس حقلاً من حقول النَّظريَّة التَّداويَّة وجانباً من جوانبها، الذي يسعى للوصول إلى المعنى المراد عن طريق السِّياق الذي أنجز فيه الحدث الكلامي، عليه فقد تمَّ اختيار (الاستلزام الحواريُّ في ديوان امرئ القيس- دراسة تداويَّة)، عنواناً لهذه الدِّراسة.

أمَّا عن هيكل البحث فقد اشتمل على: مقدِّمة، وتمهيد، وفصلين احتوى كلاً منهما على ثلاثة مباحث، تليهما خاتمة مذيِّلة بفهرس.

وبالنسبة للمقدِّمة فقد تناولت أسباب اختياري لهذا الموضوع، والهدف من الدِّراسة، والمناهج المتَّبعة وإشكاليَّات البحث، وتقسيماته، والصُّعوبات التي واجهتني، وتناولت أيضاً أهم الدِّراسات السَّابقة ذات الصِّلة بهذا البحث، وقد تمَّ الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع التي استفدت منها، ك (كتاب سيبيويه، والخصائص لابن جني، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ومفتاح العلوم للسكاكي، والإحكام في أصول الأحكام للأمدي وأساس البلاغة للزُّمخشري، وبعض التَّفاسير: كالقرطبي، وابن كثير، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، وبعض المعاجم اللُّغويَّة: كالصِّحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط الفيروز آبادي، وبعض الكتب المتعلِّقة بالتَّداويَّة مثل: التَّداويَّة عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، والنَّظريَّة التَّداويَّة وأثرها في الدِّراسات النَّحويَّة المعاصرة لأحمد شاهين وغيرها، وبعض الكتب المترجمة إلى اللُّغة العربيَّة مثل: التَّداويَّة من أوستن إلى غوفمان لفيليب بلانشيه، والملفوظيَّة لجان سيرفوني، والتَّداويَّة لجورج يول، وتمَّت الاستعانة ببعض المجلَّات العلميَّة مثل الاستلزام الحواريُّ وديناميكيَّة التَّخاطب في مفهوم جرابيس لعبد القادر البار، والاستلزام النَّحاطبيُّ في ضوء المقاربة الوظيفيَّة لأحمد المتوكِّل وغيرها.

ثمَّ تلت المقدِّمة تمهيداً تناول مفهوم التَّداويَّة لغَةً واصطلاحاً، مع بيان أهميَّة التَّداويَّة.

واشتمل البحث على فصلين وستة مباحث:

الفصل الأوَّل: عُنون بـ (التَّداويَّة بين الأصالة والحدائثة)، وقُسم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: التَّداويَّة في التُّراث العربيّ: وقد تناول: التَّداويَّة عند أهل اللُّغة، وعند البلاغيِّين، وعند

الأصوليين.

أمَّا المبحث الثَّاني، فقد اختصَّ بالتَّداويَّة عند العلماء المحدثين، وتناول التَّداويَّة عند علماء الغرب، وعند

علماء العربيَّة.

أمَّا المبحث الثَّالث: فتمثَّل في جوانب البحث التَّداويِّ، وهي: الافتراض المسبق، الإشاريَّات، الأفعال

الكلاميَّة الاستلزام الحواريُّ.

وبالنسبة للفصل الثَّاني فُوسم بـ (نظريَّة الاستلزام الحواريِّ) واشتمل على:

التمهيد: الذي تناول مفهوم الاستلزام الحواريِّ لغَةً واصطلاحاً، مع نبذة مختصرة عن امرئ القيس.

وقد تمَّ تقسيم هذا الفصل أيضاً إلى ثلاثة مباحث:

أما المبحث الأول: فحمل عنوان: الاستلزام الحوارى بين الأصالة والحدائثة، وتضمّن الاستلزام الحوارى عند اللغويين، وعند البلاغيين، وعند الأصوليين، وعند العرب المحدثين.

واختصّ المبحث الثانى: بالاستلزام الحوارى عند الغربيين، الذى تناول: جرايس والاستلزام الحوارى وأنواع المعنى عند جرايس، ومبدأ التعاون وقواعد المحادثة، وخصائص الاستلزام الحوارى.

وأما المبحث الثالث: فتضمّن تطبيق الاستلزام الحوارى فى معلّقة امرىء القيس الذى تمّ فيه تطبيق مبادئ التعاون الجرايسية على هذه المعلّقة، والتمثّل فى: مبدأ الكمّ، الكيف، والطريقة والمناسبة.

أما الخاتمة: فاحتوت على أهمّ النتائج التى انتهى إليها البحث وتوصياته.

Summary of the Dissertation:

Conversational implicature, as proposed by Grice, is a fundamental aspect of pragmatics that seeks to uncover the intended meaning through the context in which a speech event occurs. Based on this, the study is titled "**Conversational Implicature in the Poetry Collection of Imru' al-Qais.**"

The structure of the research comprises an **introduction, a preliminary section, two chapters (each containing three sections), and a conclusion followed by an index.**

The **introduction** discusses the reasons for selecting this topic, the study's objectives, the adopted methodologies, the research problem, its subdivisions, and the challenges encountered. It also reviews significant previous studies relevant to the research. The study relies on various sources, including classical linguistic and rhetorical works such as *Sibawayh's Book, Al-Khasa'is* by Ibn Jinni, *Dala'il al-I'jaz* by Abd al-Qahir al-Jurjani, *Miftah al-'Ulum* by al-Sakkaki, and *Asas al-Balaghah* by al-Zamakhshari. Additionally, it incorporates Islamic exegeses like those of *al-Qurtubi, Ibn Kathir*, and *Sayyid Qutb's Fi Zilal al-Qur'an*, as well as linguistic dictionaries such as *Al-Sihah* by Al-Jawhari, *Lisan al-'Arab* by Ibn Manzur, and *Al-Qamus al-Muhit* by Al-Firuzabadi. Moreover, the research references pragmatic studies, including *Pragmatics in the Works of Arab Scholars* by Masoud Sahrawi and *Pragmatic Theory and Its Impact on Contemporary Syntactic Studies* by Ahmed Shahin, alongside translated works like *Pragmatics from Austin to Goffman* by Philippe Blanchet, *Utterance Analysis* by Jean Cervoni, and *Pragmatics* by George Yule. It also draws on scholarly articles, including *Conversational Implicature and the Dynamics of Discourse in Grice's Perspective* by Abdelkader Al-Baar and *Conversational Implicature in Light of the Functional Approach* by Ahmed Al-Mutawakkil.

Following the introduction, a **preliminary section** explores the concept of pragmatics both linguistically and terminologically, highlighting its significance.

The study is divided into **two chapters and six sections:**

Chapter One: Pragmatics Between Tradition and Modernity

This chapter consists of three sections:

1. **Pragmatics in Arabic Heritage** – This section examines pragmatics in the works of linguists, rhetoricians, and Islamic legal theorists.

2. **Pragmatics in Modern Scholarship** – This section discusses pragmatics as studied by Western and Arab scholars.
3. **Aspects of Pragmatic Research** – This section covers presupposition, deixis, speech acts, and conversational implicature.

Chapter Two: The Theory of Conversational Implicature

This chapter includes:

- **A preliminary section** defining conversational implicature linguistically and terminologically, along with a brief biography of Imru' al-Qais.
- **Three sections:**
 1. **Conversational Implicature Between Tradition and Modernity** – This section examines its development in linguistic, rhetorical, and Islamic legal scholarship, as well as its treatment by modern Arab scholars.
 2. **Conversational Implicature in Western Thought** – This section focuses on Grice's theory, types of meaning, the cooperative principle, maxims of conversation, and characteristics of conversational implicature.
 3. **Application of Conversational Implicature in the Mu'allaha of Imru' al-Qais** – This section applies Grice's cooperative principle to the poem, analyzing the maxims of quantity, quality, manner, and relevance.

Finally, the **conclusion** summarizes the key findings and recommendations of the research.